

مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى
ت ٧٤٩هـ - ١٣٤٩م

الجزء العاشر
القسم الثاني
(بقية المغنين)

تحقيق
أ. د. محمد عبد القادر خريسات
د. عصام مصطفى عقلة
د. يوسف أحمد بني ياسين



مركز زايد للتراث والتاريخ

مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار

رقم التصنيف	:	ديوي 927.78 ــ المغنّون ــ تراجم ــ الشعر الغنائي الموسيقى العربية
المؤلف ومن هو في حكمه	:	ابن فضل الله العمري شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى ت ٧٤٩ هـ ــ ١٣٤٩م
تحقيق	:	أ د. محمد عبد القادر خريسات - د. عصام مصطفى عقله - د. يوسف أحمد بني ياسين
عنوان الكتاب	:	الجزء العاشر القسم الثاني (بقية المغنين)
الموضوع الرئيس	:	أكبر موسوعة لأصحاب الغناء العربي منذ بداية وحتى القرن الثامن الهجري وفيه تراجمه لـ ١٢٧ مغنٍّ ومغنّية وفيه تراجم لأصحاب الغناء المغاربة والأندلسيين
قيد الكتاب	:	تم قيد الكتاب بوزارة الاقتصاد، مكتب المصنفات الفكرية رقم (٧٨ - ٢٠٠٨م) تاريخ ٢٠٠٨/٢/٦
الناشر	:	مركز زايد للتراث والتاريخ - العين - دولة الإمارات العربية المتحدة ــ ص.ب: ٢٣٨٨٨
ملتزم الطبع	:	دار البارودي ــ أبو ظبي ص.ب ٤٢٨٦٠
توصيف الكتاب	:	مقاس ١٧ × ٢٤، عدد الصفحات ٣١٤ صفحة
الرقم الدولي	:	ISBN 9948 - 06- 155 -1

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م



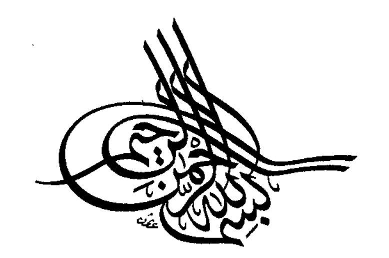
مركز زايد للتراث والتاريخ

ZAYED CENTER FOR HERITAGE AND HISTORY

ص. ب. ٢٣٨٨٨ العين - الإمارات العربية المتحدة - هاتف : ٧٦١٥١٦٦ - ٣ - ٩٧١ - فاكس: ٧٦١٥١٧٧ - ٣ - ٩٧١

P.O. BOX: 23888 AL AIN - U. A. E. - TEL: 971 - 3 - 7615166, - FAX: 971 - 3 - 7615177

E-mail: zc4HH@zayedcenter.org.AE


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

يسر مركز زايد للتراث والتاريخ أن يقدم للقراء العرب، وبخاصة المهتمين بالتراث العربي الإسلامي، واحداً من أضخم الأعمال الموسوعية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية عبر عصورها، ألا وهو كتاب «**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**» لأحمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ ـ ١٣٤٩م).

وقد تبنى المركز نشر هذه الموسوعة بتوجيهات كريمة من **سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء، حيث حرص سموه على الاعتناء بالتراث العربي المخطوط ونشره ليكون في متناول أيدي الباحثين والمختصين لذلك تأتي هذه الموسوعة التاريخية الهامة ضمن خطة المركز الطموحة لنشر التراث العربي الأصيل وتقريبه للقارىء العربي وخدمته.**

وقد اعتمد المركز نشر الكتاب من خلال خطة تقوم على الحفاظ بداية على تجزئة الكتاب كما أراده المؤلف وسيكون بعون الله في ٢٨ مجلداً تتبعها الفهارس العامة للكتاب ولما كانت الموسوعة بهذه الضخامة والأهمية فقد قام المركز بتكليف أساتذة أكاديميين من ذوي الخبرة بإشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات لتحقيق الكتاب وجمع مخطوطاته لمقارنتها مع بعضها بعضاً للوصول إلى أكمل نسخة من الكتاب، وكذلك فلا بد من تقديمها مع دراسة تجلي الجوانب المختلفة من حياة مؤلفها، وتبين أهمية الكتاب ومنهج المؤلف وأسلوبه مع دراسة كاملة لمخطوطات الموسوعة المستخدمة في التحقيق التي ستكون بعون الله في المجلد الأول حيث لا يمكن إنجاز هذه الدراسة إلا بعد استكمال تحقيق أجزاء الكتاب كاملة.

والمركز إذ يقدم هذه الموسوعة التاريخية الجغرافية الأدبية فإنه يأمل بذلك أن

يكون قد خدم المكتبة العربية بهذا المرجع الضخم، وأن يقع من نفوس القراء والباحثين الموقع الحسن، نسأل الله أن يوفقنا إلى خدمة تراثنا وتاريخنا رمز حضارتنا العربية والإسلامية، ومبعث افتخارنا واعتزازنا.

والله ولي التوفيق

د. حسن محمد النابودة

مدير المركز

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اعتمدنا في تحقيق هذا السفر من أسفار موسوعة مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري، وهو الجزء العاشر/ القسم الثاني، والمتعلق بأصحاب الغناء في المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي على مخطوط وحيد، هو المخطوط الباقي من هذا الجزء، وقد نشره فؤاد سزكين بالتصوير الشمسي عن مخطوطة تركيا، وهو جزء من نسخة الملك لمؤيد شيخ الذي وقفه على ومسجده بالقاهرة، وهي نسخة جميلة الخط، إلَّاَ أنها مليئة بالتصحيفات والتحريفات والسقط مما جعل عملية تحقيقه مرهقة.

وأمتاز هذا الجزء مثل غيره من إجزاء موسوعة المسالك بميزات عديدة منها:

١ ـ يعد هذا القسم وسابقه أكبر موسوعة لأصحاب الغناء العربي منذ بدايته وحتى القرن الثامن الهجري، ولا يوجد نظير له في ذلك في المصادر الإسلامية.

٢ ـ قام المصنف بإيراد تراجم لأصحاب الغناء المغاربة والأندلسيين، انفرد بها فلا يوجد متابعات لمعظمها في المصادر، مما يعني أنه المصدر الوحيد المختص بهذه المسألة ولولاه لضاعت تراجم وإبداعات الموسيقيين الأندلسيين والمغاربة.

٣ ـ قام المصنف بإيراد تراجم لأصحاب الغناء ممن عاصرهم، فكان أول من ترجم لهم واحتفظ بمعلومات قيمة عنهم، وكان شاهد عيان لأخبارهم.

٤ ـ اعتمد على مصادر مفقودة لا يوجد نقول عنها إلَّا في كتابنا هذا، من مثل كتاب ابن ناقيا وغيره.

٥ ـ اعتمد على رواة مشاهير لأخبار بعض الموسيقيين ممن لم يعاصرهم أو عاصرهم ولم يشاهدهم فحفظ لنا بذلك رواياتهم لتلك الأخبار.

٦ ـ أورد في هذا القسم العديد من المقطوعات الشعرية له ولغيره من معاصريه لم يذكره غيره من المؤرخين.

المحققون

ومنهم:

١ - إبْراهِيْم بنُ المَهْدِي[1]

[١٩٨] رجل وضع في شرفه، وخضع من شرفه، رضع حب الغناء منذ فطم، وأعطى قياده لغير أهل الغناء وما حطم، وانحط إلى الحضيض، وحطّ كذا الجناح المهيض، حتى إنه بعد أن أصفقت لـه الأيدي المبالغة، وصفت لـه القلوب للمشايعة، وعقدت البيعة في الرقاب، وعينت لـه الألقاب، وصعد المنبر وتبوأ أعلاه، وولج المحراب، وأقام الصلاة جُذِبَ عن ذلك المقام، وكذب عليه ليقام، وغيَّر بالغناء مهنته وشفى له أهنته، حتى استحر وخلع، وعضَّد أصل سؤدده وقلع، ثم كان هذا عليه عاراً يلبسه، وشناراً كما نهض به حسبه يجلسه.

قال أبو الفرج[2]: كان إبراهيم يقول: لولا أني أرفع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرت فيها ما يعلم معه أنهم لا يروا قبلي مثلي.

قال إبراهيم: دخلت يوماً على الرشيد، وفي رأسي فضلة من خمار، وبين يديه ابن جامع وإبراهيم الموصلي، فقال: بحياتي يا إبراهيم غنني، فأخذت العود، ولم ألتفت إليهما فغنيتُ:[3] [الكامل]

---

(١) الأصل: الوهدي، وهو إبراهيم بن المهدي العباسي (ت ٢٧٠هـ) انظر عنه: الاصفهاني، الأغاني: ١٠/ ٣٠٨، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ١/٨.

(٢) الأغاني: ١٠/٣١٠.

(٣) جرير، الديوان: ١/٣٨٩.

أسرى لخالدةَ الخيالُ ولاأرى شيئاً ألذ من الخيال الطائف(1)

قال: فسمعت إبراهيم يقول لابن جامع: لو طلب هذا بهذا ما نطلب لما أكلنا خبزاً أبداً، فقال ابن جامع: صدقت، فلما فرغت من غنائي، وضعت العود وقلت: خذا في حقكما ودعا باطلنا(2).

قال هبة الله بن إبراهيم بن المهدي: اتخذ أبي حراقه، فأمر بشدها في الجانب الغربي حذاء داره، فمضيت إليه ليلة، وكان أبي يخاطبنا من داره بأمره ونهيه وبيننا عرض دجلة، فما أجهد نفسه(3).

قال ابن قتيبة: حدثني ابن أبي ظبية، قال: كنت أسمع إبراهيم ابن المهدي يتنحنح فأطرب(4).

قال ابن خرداذبة: حدثني محمد بن الحارث بن بسخنر، قال: وجه إبراهيم بن المهدي يوماً يدعوني، وذلك في أول خلافة [١٩٩] المعتصم، فصرت إليه وهو جالس وحده، وشاريه جاريته خلف الستارة، فقال لي: قد قلت شعراً وغنيت فيه، وطرحته على شارية فأخذته وزعمت أنها أحذق به مني، وأنا أقول إنها دوني في الحذق، وقد تراضينا بك حكماً لموضعك من هذه الصناعة، فاسمعه مني ومنها، ولا تعجل حتى تسمعه مني ومنها ثلاث مرات، فاندفع يغني هذا الصوت(5): [الطويل]

أضنُّ بليلى وهي غيرُ سَخِيّةٍ وتبخل ليلى بالهوى وأجودُ

فأحس وأجاد، ثم قال لها: تغني فغنته فبرزت فيه كأنه كان معها في الحد، ونظر إليَّ فعرف أني قد عرفت فضلها، فقال: على رسلك، وتحدثنا وشربنا، ثم اندفع فغناه ثانيةً، فأضعف في الإحسان، ثم قال لها: تغني، فغنت وبرعت وزادت أضعاف زيادته،

(١) في الديوان: شيءٌ أحبّ من الخيال الطارقِ

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٠/٣١٠.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٠/٣١٠.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٠/٣١٦.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٠/٣٢٠ دون نسبة.

وكدت أشق ثيابي طرباً، فقال لي: تثبت ولا تعجل، ثم غناه ثالثةً فلم يبق عليه في الإحكام، ثم أمرها فغنت، فكأنه إنما كان يلعب، ثم قال لي: [قل](١)، فقضيت لها عليه، فقال: أصبت، فكم تساوي الآن عندك؟ فحملني الحسد عليها له والنفاسة بمثلها ان قلت: تساوي مئة ألف درهم، فقال: أو ما تساوي على هذا كله إلا مئة ألف درهم؟ قبح الله رأيك، والله ما أجد شيئاً في عقوبتك أبلغ من أن أصرفك، فقم فانصرف إلى منزلك مذموماً، فقلت له: ما لقولك اخرج من منزلي جواب، فقمت وانصرفت وقد أحفظني كلامه وأرمضني، فلما خطوت خطوات التفت إليه، فقلت: يا إبراهيم، أتطردني من منزلك، فوالله ما تحسن أنت ولا جاريتك شيئاً.

وضرب الدهر من ضربه، ثم دعانا المعتصم بعد ذلك وهو بالوزيرية في قصر الليل(٢)، فدخلت أنا ومخارق وعلوية، وإذا أمير المؤمنين مضطجع، وبين يديه ثلاث جامات: جام فضة مملوءة دنانير جدداً، [وجام ذهب مملوءة دراهم جدداً](٣) وجام قوارير مملوءة عنبراً، وظننتها أنها لنا لم نشك به في ذلك، فغنيناه وأجهدنا أنفسنا، فلم يطرب ولم يتحرك لشيء من غنائنا، ودخل الحاجب فقال: إبراهيم بن المهدي، فأذن له، فدخل فغناه أصواتاً فأحسن فيها، ثم غناه بصوت من صنعته وهو هذا:(٤) [البسيط]

[٢٠٠] ما بال شمس أبي الخطاب قد غربت ... يا صاحبيَّ أظن الساعة اقتربت

فاستحسنه المعتصم وطرب وقال: أحسنت والله، فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين فإن كنت قد أحسنت فهب لي إحدى هذه الجامات، فقال: خذ أيها شئت، فأخذ التي فيها الدنانير، فنظر بعضنا إلى بعض، ثم غناه إبراهيم بشعرٍ له(٥): [المتقارب]

فما مُزةٌ قهوةٌ قرقفٌ ... شمولٌ تروق براووقها

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٢) في الأغاني: التل.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٣٢٠/١٠، والشعر لإبراهيم بن المهدي.

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٣٢٠/١٠.

فقال: أحسنت والله يا عم وسررت، فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت أحسنت فهب لي جاماً أخرى، قال: فخذ أيها شئت، قال: فأخذ الجام التي فيها الدراهم، فعندها انقطع رجاؤنا منها، وغني بعد[1] ساعة[2]: [الطويل]

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى   عُشير الذي ألقى فيلتئم الحب[3]

فارتج بنا المجلس الذي كنا فيه، وطرب المعتصم، واستخفنا الطرب، فقام على رجليه وجلس، وقال: أحسنت والله يا عم، قال: فإن كنت قد أحسنت فهب لي الجام الثالثة، قال: خذها، وقام أمير المؤمنين، فدعا إبراهيم بمنديل فثناه طاقين، ووضع الجامات فيه فشده ودعا بطين فختمه ودفعه إلى غلامه، ونهضنا للانصراف، وقدمت دوابنا، فلما ركب إبراهيم التفت إلي وقال: يا محمد بن الحارث، زعمت أني لا أحسن وجاريتي شيئاً، وقد رأيت ثمرة الإحسان[4].

قال: دخل الحسن بن سهل يوماً على المأمون وهو يشرب[5]، فقال: بحياتي عليك يا [أبا][6] محمد، إلا شربت معي قدحاً، وصب لـه من نبيذٍ قدحاً فأخذه بيده وقال له: من تحب أن يغنيك فأومأ إلى إبراهيم [بن][7] المهدي، فقال له المأمون: غن يا عم[8]: [البسيط]

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت

يعرض به لما كان لحقه من السوداء والاختلاط، فغضب المأمون حتى ظن

(١) الأصل: بعدها، والتصويب من الأغاني.
(٢) العباس بن الاحنف، الديوان: ٣٦.
(٣) في الديوان: فيلتئم الشعب.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٠/٣٢٠-٣٢١.
(٥) الأصل: يشر، والتصويب من الأغاني.
(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٨) الأصفهاني، الأغاني: ١٠/٣٣٢.

إبراهيم أنه سيوقع به، ثم قال له: أبيت إلا كفراً، يا أكفر خلق الله تعالى لنعمه، والله ما حقن دمك غيره، ولقد أردت قتلك فقال لي إن عفوت عنه فعلت فعلاً لم يسبقك إليه أحد [٢٠١] فعفوت والله عنك لقوله، أفحقه أن تعرض به؟ لا تدع كيدك ودخلك، وأنفت من إيمائه إليك بالغناء، فوثب إبراهيم قائماً وقال: يا أمير المؤمنين، لم أذهب حيث ظننت، ولست بعائدٍ، فأعرض عنه(١).

قال حمدون: كنت أحب أن أجمع بين إبراهيم بن المهدي، وأحمد بن يوسف الكاتب، لما كنت أراه من تقدم أحمد عليه [وغلبته](٢) الناس جميعاً بحفظه وبلاغته وأدبه في كل محضر ومجلس، فدخلت يوماً على إبراهيم بن المهدي، وعنده أحمد بن يوسف وأبو العاليه الخزري، فجعل إبراهيم يحدثنا فيضيف شيئاً إلى شيء، مرة يذكر ومرة يؤنث، ومرة يعظنا ومرة ينشدنا ومرة يضحكنا، وأحمد بن يوسف ساكت، فلما طال بنا المجلس، أردت أن أخاطب [أحمد](٣)، فسبقني إليه أبو العالية، فقال(٤): [الرجز]

مالك لا تنبح يا كلب الروم　　　قد كنت هراراً فما لك اليوم(٥)

فتبسم إبراهيم وقال: لو رأيتني في يد جعفر بن يحيى لرحمتني منه، كما رحمت أحمد مني(٦).

قال إبراهيم بن المهدي: قلت للأمين يوماً: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك! [فقال: بل جعلني الله فداك](٧) فأعظمت ذلك، فقال: يا عم، لا تعظمه فإن لي عمراً لا

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٣٣٢/١٠.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٣٢٤/١٠.
(٥) في الأغاني: كلب الدوم.... كنتِ نباحاً.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٣٢٤/١٠.
(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة من الأغاني.

يزيد ولا ينقص، فحياتي مع الأحبة أطيب من تجرعي فقدهم، وليس يضرني عيش من عاش [بعدي][1] منهم[2].

قال إبراهيم بن المهدي: غنيت يوماً الأمين[3]: [مجزوء الكامل]

أقوت منازلُ بالهضاب ... من آل هندٍ فالرباب
خطارة بركابها ... وإذ ونت ذلل الركاب[4]
ترمي الحصا بمناسم ... صم صلادمةٍ صلاب

قال: استحسن اللحن، وسألني عن صانعه، فأعلمته أن ابن جامع حدثني عن سياط أنه لابن عائشة، فلم يزل يشرب عليه ولا يتجاوزه، ثم انصرفنا ليلتنا تلك، ووافاني رسوله حين انتبهت وأنا أستاك، فقال لي: يقول لك بحياتي يا عم، لا تشتغل بعد الصلاة بشيء غير الركوب [إليّ][5] فصليت وتناولت طعاماً خفيفاً وركبت إليه، فلما رآني من بعيد، صاح بي، بحياتي يا عم خطارة بزمامها، فلما دخلت المجلس، ابتدأت [٢٠٢] فغنيته إياه، فأمر بإخراج صبيةٍ كان يتحظاها، فأخرجت إليه صبية كأنها لؤلؤة في يدها عود، فقال: بحياتي يا عم ألقه عليها، فأعدته[6] مراراً وهو يشرب[7]، حتى ظننت أنها قد أخذته، وأمرتها أن تغنيه، فإذا هو[8] قد استوى لها، إلا في موضع كان فيه، وكان صعباً جداً، فجهدت جهدي أن يقع لها طلباً ليسر به، فلم يقع لها بتةً، ورأى جهدي في أمرها وتعذره عليها، فأقبل عليها وقد سكر وقال: نفيت من الرشيد، وكل أمةٍ[9] لي

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة من الأغاني.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٣٢٩/١٠.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٣٢٩/١٠.
(٤) في الأغاني: خطارة بزمامها.
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٦) الأصل: فأعادته والمثبت من الأغاني.
(٧) الأصل: يشر، والمثبت من الأغاني.
(٨) الأصل: هي، والمثبت من الأغاني.
(٩) الأصل: أمرة، والمثبت من الأغاني.

حرة، وعلي عهد الله، لئن لم تأخذيه في المرة [الثالثة][1] لأمرن بإلقائك في دجلة، قال: ودجلة تطفح وبيننا[2] وبينها ذراعان، وذلك في الربيع، فتأملت القصة، فإذا هو قد سكر والجارية لا تقوله كما أقوله أبداً، فقلت: هذه والله داهية ويتنغض[3] عليه يومه، وأشرك في دمها، فعدلت عما كنت أغنيه عليه وتركت ما كنت أقوله، وغنيته كما كانت هي تقوله، وجعلت أردده حتى انقضت ثلاث مرات أعيده عليها، كما كانت هي تقوله، وأريته أني اجتهدت، فلما انقضت الثلاث مرات، قلت لها: هاتيه، فغنته، على ما كان وقع لها، فقلت: أحسنت والله يا أمير المؤمنين، ورددته عليها ثلاث مرات، فطابت نفسه، وسكر فأمر لي بثلاثين ألف درهم[4].

قال محمد بن الحارث بن بسخنر: غنى إبراهيم بن المهدي يوماً بحضرة المأمون[5]: [الكامل]

يا صاح يا ذا الضامر العنس والرحل ذي الأنساع والحلس

أما النهار فأنت تقطعه ركضا وتصبح مثل ما تمسي

قال: فاستحسنه المأمون وذهبت آخذه، ففطن بي إبراهيم، فجعل يزيد فيه مرة وينقص أخرى بزوائده التي كان يعملها في الغناء، وعلمت[6] ما يصنع فتركته، فلما قام قلت للمأمون: يا سيدي، إن رأيت أن تأمر إبراهيم أن يلقي عليَّ:

يا صاح يا ذا الضامر العنس

فقال: أفعل، فلما عاد قال له: يا إبراهيم ألق على محمد:

يا صاح يا ذا الضامر العنس

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة من الأغاني.
(٢) الأصل: وبينها، والمثبت من الأغاني.
(٣) الأصل: هذه وتنغص، والمثبت من الأغاني.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٠/٣٢٩-٣٣٠.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٠/٣٣٠، والشعر لخالد بن المهاجر.
(٦) الأصل: وعملت، والمثبت من الأغاني.

فألقاها عليَّ كما كان يغنيه مغيراً، ثم انقضى المجلس وسكر المأمون، فقال لي إبراهيم: قم الآن فأنت أحذق الناس به، فخرج وخرجت، وجئته إلى منزله، فقلت له: ما في الأرض أعجب منك، أنت ابن خليفة وأخو خليفة [٢٠٣] تبخل على وليٍّ لك مثلي لا يفاخرك بالغناء، ولا يكاثرك بصوت! فقال لي: يا محمد، ما في الدنيا أضعف عقلاً منك، والله ما استبقاني المأمون محبة لي، ولا صلة لرحمي، ولكنه سمع من هذا الجرم شيئاً فقده من سواه، فاستبقاني لذلك، فغاظني قولــه، فلما دخلت إلى المأمون حدثته بما قال لي، فقال لي: يا محمد، هذا أكفر الناس لنعمةٍ، وأطرق ملياً ثم قال: لا نكدر على أبي إسحاق وقد عفونا عنه، ولا نقطع رحمه، اترك هذا الصوت الذي ضن به عليك إلى لعنة الله(١).

قال محمد بن يزيد: لما رضي المأمون عن إبراهيم بن المهدي ونادمه، دخل إليه متبذلاً في ثياب المغنين وزيهم، فلما رآه ضحك وقال: نزع عمي ثياب الكبر عن منكبه، فدخل فجلس، فأمر المأمون أن يخلع عليه فلبس الخلع، ثم ابتدأ مخارق يغني(٢): [الطويل]

خليلي من كعب ألما هُديتما بزينب لا يفقدكما أبداً كعبُ

فقال إبراهيم: أسأت وأخطأت، فقال لــه المأمون: يا عم إن كان أساء وأخطأ فأحسن أنت، فغنى إبراهيم الصوت، فلما فرغ منه قال لمخارق: أعده الآن، فأعاده فأحسن، فقال لــه إبراهيم: يا أمير المؤمنين، كم بينه الآن وبينه في أول الأمر، فقال: ما أبعد ما بينهما، فالتفت إلى مخارق وقال: مثلك يا مخارق مثل الثوب الوشي الفاخر، إذا تغافل عنه أهله سقط عليه التراب، فحال لونه، فإذا نفض عنه عاد إلى جوهره(٣).

قال إسحاق بن إبراهيم بن رياح: كنت أسأل مخارقاً: أي الناس أحسن غناء؟

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٠/٣٣٠-٣٣١.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٠/٣٣١.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٠/٣٣١.

فيجيبني جواباً مجملاً حتى حققت عليه يوماً، فقال لي: إبراهيم الموصلي أحسن غناء من ابن جامع بعشر طبقات، وأنا أحسن غناءً من إبراهيم بعشر طبقات، وإبراهيم بن المهدي أحسن غناء مني بعشر طبقات، ثم قال: أحسن الناس غناء أحسنهم صوتاً، وإبراهيم بن المهدي أحسن الإنس والجن والوحش والطير صوتاً، وحسبك هذا(١).

قال إبراهيم بن المهدي وقد ذكر الطبل والإيقاع به، فقال: هو من الآلات التي لا يجوز أن يبلغ نهايتها، فقيل له: وكيف خُصَّ الطبل بذلك؟ [٢٠٤] فقال: لأن عمل اليدين(٢) فيه عمل [واحد](٣) ولا بد أن يلحق اليسار فيه نقص عن اليمين، ودعا بالطبل ليرينا ذلك، فأوقع إيقاعاً لم نظن أن يكون مثله، وهو مع ذلك يرينا زيادة اليمين على اليسار، وقال لـــه الأمين في بعض خلواته: يا عم، اشتهي أن أراك تزمر، فقال: يا أمير المؤمنين، ما وضعت على فمي نايأ قط، ولا أضعه، ولكن يدعو أمير المؤمنين بفلانة ـ من موالي المهدي ـ حتى تنفخ في الناي وأمر يدي عليه، وأحضرت فوضعت الناي على فمها وأمسكه إبراهيم، فكلما مر الهواء(٤) مر إصبعه، فيسمع زمراً، أجمع سائر من حضر أنه لا يُسمع مثله قط(٥).

قال محمد بن موسى المنجم: حكمت بأن إ براهيم بن المهدي أحسن الناس غناءً ببرهان، وذلك أني كنت أراه في مجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم، يغني ويغني المغنون، فإذا ابتدأ الصوت لم يبق من الغلمان والمتصرفين في الخدمة وأصحاب الصناعات والمهن الصغار والكبار، إلا ترك ما في يده وقرب من أقرب موضع يمكنه أن يسمعه، فلا يزال مصغياً إليه، لاهياً عما كان فيه ما دام يغني، حتى إذا أمسك وغني [غيره](٦) رجعوا إلى التشاغل بما كانوا فيه، ولم يلتفتوا إلى ما يسمعون، ولا برهان مثل

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٣٣٣/١٠.
(٢) الأصل: الدين والمثبت من الأغاني.
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة من الأغاني
(٤) الأصل: الغناء، والمثبت من الأغاني.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٣٣٧/١٠.
(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

هذا أقوى من شهادة الفطر واتفاق الطبائع ـ مثل اختلافها وتشعب طرقها ــ على الميل إليه[1].

٢ ـ عُلَيَّةُ بِنْتُ المَهْدِي[2]

ضربت[3] عليها الخلافة سرادقها، ونصبت لها المهلة نمارقها، وأسبلت دونها الحجب المنيعة، وأسدلت بين أخصاء الخدم وبينها الستور الرفيعة، وكان الرشيد شديد الغيرة عليها، والغيلة لمن أومأ بنظره إليها، هذا حاله مع خدم الدار[4]، وحرم من آواه حرم ذلك الجدار، فأما من سواهم، فلا يقع عليها من مقل النجوم نظر ناظر، ولا يمر من خاطر النسيم على ذكر ذاكر، إجلالاً لمكانها، وإجفالاً من رقباء الرشيد الطائفة بأركانها، ثم هتكت بالغناء سترها الرفيع، وهونت حجابها المنيع، فعرضت عرضها للتشنيع، وعرضت عرضها للتضييع، ولم يغنها أن أخلدت إلى هذه الصناعة، ورمت مالها بالإضاعة [٢٠٥]، حتى صارت تظهر لأهل الغناء، وتختلط بمن يؤهل من قومه المهناء، فأصبحت لا تعد في ذوات الستور، ولا تعاب إلا بما تحمد به البدور من السفور، وإنما أمها بصبص، وحق سرها فيها قد حصحص، وكانت هي وأخوها إبراهيم أقدر أخوين على الغناء، وأقوم رسيلين بالغناء، كانت كأنما أعطيت مزماراً من مزامير داود، أو حركت أوتاراً ركبت في لهواتها لا في العود، على كمال أدب بارع، وظرف إلى هز المعاطف مسارع، مع جمال تنقبت بنقابه، وكمال تجلببت بجلبابه، ورقة خلائق كان نشر الصبا يدمثها، ودقة معان كان صوت اليراع ينفثها، وكان الرشيد لا يقدر على فراقها لسماع تلك الأغاريد، وإمتاع ذلك اللسان الحلو بلفائظ تلك الأناشيد، وكان لا يتم سروره إلَّا بحضورها، ولا يعم حبوره إلا إذا برزت نحوه من ستورها.

قال محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي: كنت عند المعتصم وعنده مخارق

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٣٣٨/١٠.

(٢) علية بنت المهدي أخت هارون الرشيد (ت٢١٠هـ). انظر عنها: الأصفهاني، الأغاني: ٣٥٣/١٠.

(٣) الأصل: ضربة، والتصويب يقتضيه السياق.

(٤) الأصل: الرأي، والتصويب من المحققين.

وعلوية ومحمد بن الحارث بن بسخنر وعقيد، وكنت أضرب عليه فغنى[1]: [المديد]

نــــام عــــذالــــي ولــــم أنَــــمِ ... واشــتــفــىَ الــواشــون مــن سَــقَــمــي
وإذا مــــا قــــلــــت بــــي ألَــــمٌ ... شَــكَّ مــــن أهــــواه فــي ألَــمــي

فطرب المعتصم وقال: لمن هذا الشعر، فأمسكوا، فقلت: لعلية، فأعرض عني، فعرفت غلطي، وأن القوم أمسكوا عمداً، فقطع بي، وتبين حالي، فقال: لا تُرع يا محمد، فإن نصيبك منها مثل نصيبنا[2].

قال إسحاق الموصلي: عملت في أيام الرشيد لحناً[3]: [البسيط]

سـقـيـاً لأرضٍ إذا مـا نـمـت نـبـهـنـي ... بـعـد الـهـدوٌ بـهـا قـرع الـنـواقـيـس[4]
كــأن سـوسـنـهـا فـي كـل شـارقـةٍ ... عـلـى الـمـيـاديـن أذنـابُ الـطـواويـس

قال: فأعجبني وعزمت على أن أباكر به الرشيد، فلقيني في طريقي خادم لعلية بنت المهدي، فقال: مولاتي تأمرك بدخول الدهليز، تسمع من بعض جواريها [٢٠٦] صوتاً أخذته عن أبيك، وشَكَّتْ فيه الآن، فدخلت معه[5] حجرةً قد أفردت لي كأنها كانت معدة، فجلست وقدم لي طعام وشراب، فنلت حاجتي منهما[6]، ثم خرج إليَّ خادم فقال: تقول مولاتي، أنا أعلم أنك قد غدوت إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعددته لــه محدثٍ، فأسمعنيه ولك جائزة سنية، فغنيتها إياه ولم [تزل][7] تستعيده مراراً، ثم قالت: اسمعه الآن، فغنته غناءً ما سمع سمعي مثله قط، ثم قالت: كيف تراه؟ قلت: أرى والله ما لم أر مثله، ثم أمرت جارية فأخرجت لي عشرين ألف درهم، وعشرين ثوباً،

---

(١) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ٣٥٧/١٠.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٣٥٧/١٠.
(٣) الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ٣٥٨/١٠.
(٤) الأصل: بعد الهوى، والمثبت من الأغاني.
(٥) الأصل: معها، والمثبت من الأغاني.
(٦) الأصل: فيها، والمثبت من الأغاني.
(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

فقالت: هذا ثمنه، وأنا الآن داخلة إلى أمير المؤمنين ولم أبدأ بغناء غيره، وأخبره أنه صنعتي، وأعطي الله عهداً لئن نطقت بأن لك فيه صنعة لأقتُلَنَّك، هذا إن نجوت منه إن علم بمصيرك إليَّ فخرجت من عندها، ووالله أني كالموقر بما أكره من جائزتها أسفاً على الصوت، فما جسرت والله بعد ذلك أتَنَغَّم به في نفسي فضلاً عن أن أظهره حتى ماتت.

فدخلت على المأمون في أول مجلس جلس به للهو بعدها، فبدأت به في أول ما غنيت، فتغير وجه المأمون، وقال: من أين لك هذا ويلك؟ قلت: ولي الأمان على الصدق، قال: ذلك لك، فحدثته الحديث، فقال: يا بغيض، فما كان لك في هذا من النفاسة حتى شهرته، وذكرت هذا منه، مع ما أخذته من الجائزة. وهجنني فيه هجنةً وددت معها أنني لم أذكره، فآليت على نفسي إلا أغنيه بعدها أبداً[1].

قال: أهديت للرشيد جارية في غاية الجمال والكمال، فخلا معها يوماً، وأخرج كل قينةٍ في داره واصطبح، فكان من حضر من جواريه للغناء والخدمة والشراب زهاء ألفي جارية في أحسن زي، وفي كل نوعٍ من أنواع الجوهر والثياب، واتصل الخبر بأم جعفر، فغلظ عليها ذلك، فأرسلت إلى علية تشكو إليها، فأرست إليها[2] عليه: لا يهولنك ما رأيت، والله لأردنه إليك، قد عزمت أن أصنع شعراً، وأصوغ فيه لحناً، وأطرحه على الجواري فلا تبقى عندك جارية إلَّا بعثت[3] بها إلي، وألبسيهن أنواع الثياب، ليأخذن الصوت مع جواريَّ [٢٠٧] ففعلت أم جعفر ما أمرتها به علية، فلما جاوزت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلَّا وعلية قد خرجت إليه من حجرتها، معها زهاء ألفي جارية من جواريها وسائر جواري القصر، عليهن غرائب اللباس، وكلهن في لحن واحد هزج[4]: [مجزوء الرجز]

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٣٥٧/١-٣٥٨.

(٢) الأصل: إليه، المثبت من الأغاني.

(٣) الأصل: بعث، والمثبت من الأغاني.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٣٦٠/١٠.

منفصلٌ عنّي وما قلبي عنه منفصل
يا قاطعي اليوم لمن نويت بعدي أن تصل

فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أم جعفر وعُلية وهو على غاية السرور، وقال: لم أر كاليوم قط، يا مسرور، لا تبقين اليوم درهماً في بيت المال إلّا تنثره، وكان بلغ ما نثر يومئذ ستة آلاف درهم[١].

قال: كانت عُلية تقول: من لم يطربه الرمل لم يطربه شيء، وكانت تقول: من أصبح وعنده طباهجة ولم يصطبح ضاع سروره[٢].

قال إبراهيم بن المهدي: ما خجلت قط خجلتي من عُليه بنت المهدي، حين دخلت إليها يوماً، فقلت لها: كيف أنت يا أختي جعلت فداك، وكيف حالك وخبرك. فقالت: بخير والحمد الله، ووقعت عيني على جارية لها كانت تذب عنها، فتشاغلت بالنظر إليها وأعجبتني، وطال جلوسي ثم استحييت من عُليه، فأقبلت عليها فقلت لها: كيف أنت وكيف حالك وكيف جسمك جعلت فداك، فرفعت رأسها إلى حاضنة لها وقالت: أليس قد مضى هذا وأجبنا عنه؟ فخجلت خجلاً ما خجلت مثله قط، وقمت فانصرفت[٣].

قال محمد بن جعفر بن يحيى: شهدت أبي جعفر وأنا صغير، وهو يحدث أباه يحيى بن خالد في بعض ما كان يخبره به من خلواته مع الرشيد، فقال: يا أبت، أخذ بيدي أمير المؤمنين، ثم أقبل في حجرة يخترقها حتى انتهى إلى حجرةٍ مغلقةٍ، ففتحها بيده ودخلنا جميعاً، فأغلقها من داخل بيده، ثم صرنا إلى رواق ففتحه، وفي صدره مجلس مغلق، فقعد على باب المجلس، فنقر الباب [٢٠٨] فسمعنا حساً، ثم أعاد النقر، فسمعنا صوت عودٍ، ثم أعاد الثالثة فغنت جارية ما ظننت أن الله تعالى خلق مثلها في

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٠/٣٦٠.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٠/٣٦٠.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٠/٣٦٤.

حسن الغناء، وجودة الضرب، فقال أمير المؤمنين لها بعد أن غنت أصواتاً: غني صوتي، فغنت[1]: [الكامل]

ومخنث شهد الزفاف مقنعاً ... غنى الجواري حاسراً ومنقبا[2]
لبس الدلال وقام ينقر دفه ... نقراً أقر به العيون وأطربا
إن النساء رأينه فعشقنه ... يشكون بشده ما بهن فاكذبا[3]

قال: فطربت والله طرباً هممت معه أن أنطح برأسي الحائط، ثم قال: غنني، فغنت[4]: [المديد]

طال تكذيبي وتصديقي ... لم أجد عهداً لمخلوق
لا تراني بعدهم أبداً ... أشتكي عشقاً لمعشوق

قال: فرقص الرشيد ورقصت معه، ثم قال: امض بنا فإنني أخشى أن يبدو منا ما هو أكثر من هذا، فمضينا فلما صرنا إلى الدهليز، قال، وهو قابض على يدي: عرفت هذه المرأة؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين، قال: فإني أعلمك ستسأل عنها فلا تكتم ذلك، وأنا أخبرك بها، هذه عُلية بنت المهدي، ووالله لئن لفظت به بين يدي أحد وبلغني لأقتلنك، قال: فسمعت جدي يقول لـه: قد والله لفظت به، ووالله ليقتلنك[5] فاصنع ما أنت صانع[6].

ومن شعرها في طَلٍّ[7]: [الكامل]

يا رب إني قد غرضت بهجرها ... وإليك أشكو ذاك يا رباه

---

(١) الأصفهاني، الإغاني: ٣٦٤/١٠.
(٢) في الأغاني: الزفاف وقبله.
(٣) في الأغاني: فشكون شدة.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٣٦٤/١٠-٣٦٥.
(٥) الأصل: لأقتلنك، والمثبت من الأغاني.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٣٦٤/١٠-٣٦٥.
(٧) الأصفهاني، الأغاني: ٣٥٤/١٠.

مــــولاة سـوء قـد تـضـر بـعـبـدهـا نـعـم الـغــلام وبـئـسـت الـمـولاه[1]
طَـلٌّ ولـكـــنــــي حـرمـت نـعـيـمـه وهـــــواه عـن لـم يـغـثـنـي الـلـه[2]
يـــا رب إن كـانـت حـيـاتـي هـكـذا ضــرراً عــلــيَّ فــمــا أُحِــبُ حــيــاه[3]

قال: ماتت عُلية سنة تسع ومئتين، ولها من العمر خمسون سنة، وصلى عليها المأمون، وكان سبب وفاتها أن المأمون يوماً ضمها إليه وجعل يقبل رأسها، وكان وجهها مغطى، فشرقت من ذلك وسعلت ثم حمت بعقب هذا أياماً يسيره وماتت[4].

وكانت تحب خادماً لها أسمه طَلَّ فأقصاه الرشيد [٢٠٩] عنها خلافاً لمرادها، وأقصدها من فراقها بسهم لم يخط صميم فؤادها فأبعده إلا عَنْ موضعه من حبها، وأخرجه إلا مِنْ مكانه من قلبها، وإنما أظهرت التجلد لأجله، وأبدت التثبيت خوفاً أن يسبق السيف لعذله، فلم تُمكن بعد أن تفض عن ستورها سقيط طَلِّه إلا أن تليغ بالبكاء طلها بوبله، فبلغ الرشيد، ولعها بتذكره، ودمعها الباطي على ساقط الطل في ثغر الأقحوان الضاحك، فقويت عزيمتها على الطرب، وإن كان مر المذاق، وتماسكت، وما عسى أن يتماسك المشتاق، فدخل الرشيد عليها يوماً وهي تقرأ:{فإن لم يصبها وابل فطل[5]، فقالت: فإن لم يصبها وابل فما نهى أمير المؤمنين عنه، فقال لها: يا عُلية ولا في القرآن، ثم أذن له فيما بعد أن يكون بمكانه من بابها في جملة الخدم، لا يتأخر عنهم ولا يتقدم، فكان على ذلك وهي أشد ما كانت به ولوعاً، وإليه نزوعاً، تتشكى الظمأ، ولا ترى الماء إلا ممنوعة، ومضت عليها أيام لا تراه، فمشت على ميزابٍ مخاطرة في هواه، فلما وصلت إليه أنشدت من حرقتها عليه[6]: [الكامل]

(١) في الأغاني: مولاة سوء تستهين بعبدها.
(٢) الأصل: نعيمها، والمثبت من الأغاني، وفي الأغاني: ووصاله إن لم يغثني.
(٣) في الأغاني: ضراً عليَّ
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٣٦٩/١٠.
(٥) سورة البقرة، الآية ٢٦٥.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٣٥٤/١٠.

قــــد كــان مــا كُــلِّـفـتُـه زمـنـاً يــا طـــل مـن وجـد بـكـم يـكـفـي
حــتــى أتــيــتــك زائــراً عـــجــلاً أمـشـي إلـى حـتـفـي عـلـى حـتـفـي

وقال في طلٍ وصفحت اسمه[1]: [الطويل]

أيــــا سـروة الـبـسـتـان طـال تـشـوقـي فـهـــل لـي إلـى ظـل إلـيـك سـبـيـل
متى يلتقي من ليس يقضى خروجه ولـيـس لـمـن يـهـوى إلـيـه سـبـيـل[2]

وكانت لأم جعفر جارية يقال لها طغيان، فوشت بعُلية إلى رشأ وقلت عنها ما لم تقل، فقالت عُليه فيها[3]: [الطويل]

لـطـغـيـان خُـفٌّ مـذ ثـلاثـيـن حـجـــةً جـديـد فـــلا يـبـلـى ولا يـتـخـرَّق
وكـيـف بـلـى خـف هـو الـدهـر كـلـه عـلـى قـدمـيـهـا فـي الـسـمـاء مـعـلـق
فـمـا خـرقـت خـفـاً ولـم تـبـل جـورباً وأمـــــا ســراويـلاتــهــا فــتــمــزق

ومن شعرها وقولها[4]: [٢١٠] [المديد]

نـــام عـــذالـــــي ولـــم أنـــم واشـتـفـى الـواشـون مـن سـقـمـي
وإذا مـــا قـــلـــت بـــي ألـــــم شـــك مـــــن أهـــواه فـــي ألـــمـي

وقولها وقد خرجت مع أخيها الرشيد[5]: [الطويل]

ومغترب بالمــــرج يبكي لشجوه وقد غاب عنه المسعدون على الحب
إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه تنشق يستشفي برائحــــة الركب

وقولها: [الطويل]

وأحـــسـن أيـام الـهـوى يـومـك الـذي تـروع بـالـهـجـران فـيـه وبـالـعـتـب

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٣٥٤/١٠.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٣٥٤/١٠-٣٥٥.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٣٥٦/١٠.
(٤) سبق تخريج الشعر.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٣٦٧/١٠.

ومنه قولها(١): [مجزوء الكامل]

أشـــرب عــلـــى وجــه الــغـــزال ... الـنـــاعـم الـحـلـو الـدلال(٢)

اشـــرب عــلـيـــه وقـــل لــه ... يـــا غـــلَّ الــبـــاب الــرجـــال(٣)

وقولها(٤): [مجزوء الرجز]

مـــنـــفـــصـــل عـــنـــي ومـــا ... قـــلـــبـــي عـــنـــه مـــنـــفـــصـــل

يـــا قـــاطـــعـــي الـــيـــوم لـــمـــن ... نـــويـــت بـــعـــدي أن تـــصـــل؟

ومنهم:

٣ ـ أبو عِيْسَى الزبير(٥)

علمه الغناء الفراغ، وظفره الاعتناء منه بما يراع، ولم يرعه من صنعة هذا الصنعة شرف أبيه، وشره مثله إلى ما يعليه، ونزوع نفسه إلى التشبه بأخويه، والتشبث بما كان يؤمل أن يصيرإليه. وإنما غرّه على غُرْة شبابه عمه إبراهيم فخلّطَ عليه، وكان ذا جمال لا يدع لذي حسن نفاقاً، وكمال يزيد عليه من حذق نطاقاً.

قال الأصفهاني(٦): ومن شعره وله فيه صنعة: [مجزوء الرجز]

قـــام بـــقـــلـــبـــي وقـــعـــد ... ظـــبـــيٌ نـــفـــى عـــنـــي الـــجـــلـــد

خـــلـــفـــنـــي مُـــدلَّـــهـــا ... أهـــيـــم فـــي كـــل بـــلـــد

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٠/ ٣٥٥.

(٢) في الأغاني: سلم على ذاك الغزال
الأغيد الحسن الدلال.

(٣) في الأغاني: سلم عليه وقل له.

(٤) سبق تخريج الشعر.

(٥) أبو عيسى أحمد أو صالح بن الرشيد، أحد أمراء الأسرة العباسية: أنظر عنه: الأصفهاني، الأغاني: ١٠/ ٣٧٠.

(٦) الأغاني: ٣٦٩/١٠.

أســــهـــــرنـــــي ثـــم رقـــــد ومـــــارثـــى لـــي مـــــن كـــبـــد[1]
ظـــــبـــــي إذا ازددت لـــــه تـــذلـــــلا تــــاه وصـــد [٢١١]
واعـــطـــشـــا إلــــى فـــمٍ يـــمـــج خـــمـــراً مـــــن بـــــرد

وكان يقال: انتهى جمال ولد الخلافة إلى أولاد الرشيد، ومن أولاد الرشيد إلى محمد وأبي عيسى. [وكان أبو عيسى][2] إذا عزم على الركوب جلس الناس له حتى يروه، أكثر ما كانوا يجلسون للخلفاء[3].

قال الرشيد لأبي عيسى وهو صبي: ليت جمالك لعبد الله يعني المأمون، فقال: على أن حظه منك لي، فعجب من جوابه على صباه وضمه إليه وقبله[4].

ولما قال [أبو][5] عيسى[6] [الطويل]

دهاني شهر الصوم لا كان من شهر ولا صُمْتُ شهراً بعده آخر الدهرِ
فلو كان يعديني الإمام بقدرةٍ على الشهر لاستعديتُ جهدي على الشهرِ

ناله بعقب قولـه لهذا الشعر صرع، فكان يصرع في اليوم مرات، ولم يبلغ شهراً مثله[7].

قال ابن حمدون: قلت لإبراهيم بن المهدي: من أحسن الناس غناءً؟ قال: أنا، قلت: ثم من؟ قال: أبو عيسى بن الرشيد، قلت: ثم من؟ قال: مخارق[8].

وقال: كان أبو عيسى بن الرشيد وطاهر بن الحسين[9] يتغديان مع المأمون. فأخذ

---

(١) في الأغاني: من كمد.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٣٧٠/١٠.
(٤) الأصل: صبائه والمثبت من الأغاني.
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٣٧١/١٠.
(٧) الأصفهاني، الأغاني: ٣٧١/١٠.
(٨) الأصفهاني، الأغاني: ٣٧١/١٠.
(٩) الأصل: الرشيد، والصواب ما اثبت من مصادر تخريج الخبر.

أبو عيسى هندباءةً وغمسها في الخل، وضرب بها عين طاهر الصحيحة، فغضب وقال: يا أمير المؤمنين، إحدى عيني ذاهبة، والأخرى على يدي عدلٍ، يفعل بي هذا بين يديك؟ فقال المأمون: يا أبا الطيب، إنه والله يعبث معي أكثر من هذا العبث[1].

قيل: كان المأمون يخطب يوم جمعة على المنبر بالرصافة، وأخوه أبو عيسى تلقاء وجهه في المقصورة، إذ أقبل يعقوب بن المهدي، وكان من أفسى الناس، معروفاً بذلك، فلما أقبل وضع أبو عيسى كمه على أنفه، وفهم المأمون ما أراد، فكاد أن يضحك، فلما انصرف بعث إلى أبي عيسى فأحضره وقال: والله لهممت أن ابطحك فأضربك مئة درة، ويلك أرد\ت أن تفضحني بين أيدي الناس يوم الجمعة وأنا على المنبر، إياك أن تعود لمثل هذه، وكان يعقوب بن المهـدي لا يقدر أن يمسك الفساء إذا جـاءه، فاتخذت داية لـه مثلة [٢١٢] وتنوقت فيها، فلما وضعتها تحته [فسا][2]، فقال: هذه ليست بطيبة، [فقالت له الداية: هذه قد كانت طيبة][3] وهي مثلثة، فلما ربعتها ‧فسدت[4].

قال: وكان يعقوب[5] هذا مُحَمَّقاً، وكان يخطر بباله الشيء يشتهيه، ثم يثبت تحته ليس عندنا، فوجد في دفتر لـه ثبت ما في الخزانة من الثياب المثقلة الإسكندرانية، لا شيء، الفصوص الياقوت الأحمر من حالها كذا ومن نعتها كذا: لا شيء، فحمل إلى المأمون ذلك الدفتر فضحك لما قرأه حتـى فحص برجليه وقال: ما سمعت بمثل هذا قط[6]!

قال عمرو بن سعيد: لما مات أبو عيسى بن الرشيد وجد عليه المأمون وجداً شديداً، حتى امتنع من النوم ولم يطعم شيئاً، فدخل عليه أبو العتاهية، فقال له المأمون: حدثني بحديث بعض الملوك ممن كان قبلنا في مثل بعض حالنا وفارقها، فحكى له

(١) ابن طيفور، بغداد: ٦٩، الأصفهاني، الأغاني: ٣٧٠/١٠.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٣٧١/١٠-٣٧٢.
(٥) الأصل: أبو يعقوب، والمثبت مما سبق.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٣٧٢/١٠.

حكاية الجارية التي أخبر سليمان بن عبد الملك أنها عرضت لـــه وهو خارج إلى الجمعة، وأنشدته[1]: [الخفيف]

أنـــت خـيــر الــمــتـــاع لــو كـنــت تـبـقــى

البيتان

وأنه أعرض بوجهه، فلم تَدُرْ عليه الجمعة إلا وهو تحت التراب.

قال: فبكى المأمون والناس، فما رأيت أكثر باكياً من ذلك اليوم، والبيتان لموسى شهوات[2].

ومن شعر أبي عيسى[3] وله فيه صنعة[4]: [مجزوء الخفيف]

رقـــدت عــــنـــك ســــلـــوتـــي ... والـــهـــوى لـــيـــس يـــرقـــدُ
وأطـــار الـــســـهـــاد عــيـــنـــي ... فـــنـــومـــي مـــســـهـــد[5]
أنـــت بـــالـــحـــســـن مـــنـــك يـــا ... أحـــســـن الـــنـــاس تـــشـــهـــد[6]
وفـــؤادي بـــحـــســـن وجـــــ ... ـــهـــك يـــشـــقـــى ويـــكـــمـــد

٤ ـ عَلُّوْيَه[7]

كوكب أفق وسحب أنواء دفق، توقل مناراً، وتوقد شجره الأخضر ناراً، صنع غرائب الألحان وظهر بعجائب الامتحان، وأدنته مجالس الخلفاء، وأدنته بالزيادة على الأكفاء، وحلت له عقدة الحظ، وعقلة الزمن الفظ، فباء بالنعم الوافرة، وآب بالآمال

(١) الشطر من قصيدة لموسى شهوات الأصفهاني، الأغاني: ٣٧٤/١٠.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٣٧٤/١٠.
(٣) الأصل: أي موسى والمثبت مما سبق.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٣٧٤/١٠.
(٥) في الأغاني: السهاد نومي.
(٦) في الأغاني: حسن الوجه تشهد.
(٧) علوية هو علي بن عبد الله بن سيف، أحد كبار المغنيين في العصر العباسي (ت ٢٣٦هـ). انظر عنه: الأصفهاني، الأغاني: ٢٢٦/١١.

النافرة، وراد معاندة خاسر [٢١٣] الصفقة، حاسي الرفقة، لا يضم رجاؤه على النجاح كشحاً، ولا تأتيه دقائق الرزق إلا رشحاً.

قال أبو الفرج[١]: قال أبو عبد الله بن حمدون: حدثني أبي قال: اجتمعت مع إسحاق يوماً في بعض دور بني هاشم، وحضر علوية فغنى أصواتاً، ثم غنى من صنعته[٢]: [الطويل]

ونبئت ليلى أرسلت بشفاعة ... إليَّ فهل وجه ليلى شفيعها

فقال له: أحسنت أحسنت والله يا أبا الحسن ما شئت، فقام علوية من مجلسه فقبل رأس إسحاق وجلس بين يديه، وسر بقوله سروراً شديداً، ثم قال له: أنت سيدي وأستاذي، ولي إليك حاجة، قال: قل فوالله إني أبلغ فيها ما تحب، فقال: إيما أفضل أنا عندك أم مخارق فإني أحب أن يسمع منك في هذا المعنى قول يؤثر ويحكيه عنك من حضر، فتشرفني به، قال إسحاق: ما منكما إلَّا محسن مجمل، ولا نريد أن يجري في هذا شيء، قال: سألتك بحقي عليك وبتربة أبيك، وبكل حق تعظمه إلا ما حكمت، فقال: ويحك لو كنت أستجيز أن أقول غير الحق لقلته فيما تحب، فأما إذ أبيت إلَّا ذكر ما عندي، فلو خيرت أنا من يطارح جواري أو يغنّيني، لما اخترت غيرك، ولكنكما إذا غنيتما بين يدي خليفة أو أمير، غلبك على إطرابه، واستبد عليك بجائزته، فغضب علوية، وقام وقال: أفٍّ من رضاك، وأف من غضبك[٣].

قال عبد الله بن طاهر: سمعت الواثق يقول: علوية أصح الناس صنعةً بعد إسحاق، وأطيب الناس صوتاً بعد مخارق، وأضرب الناس بعد زلزل، فهو مصلي كل سابق قادر، وثاني كل أول فاضل. وكان الواثق يقول: غناء علوية مثل نقر الطست يبقى ساعة في السمع بعد سكوته[٤].

---

(١) الأغاني: ١١/٢٢٦-٢٢٧.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١١/٢٢٧.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١١/٢٦٦-٢٢٧.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١١/٢٢٩.

وكان علوية أعسر، وكان عوده مقلوب الأوتار، البَمُّ أسفل، ثم المثلث فوقه، ثم المثنى ثم[1] الزير، فيكون مستوياً على يده، مقلوباً في يد غيره[2].

قال: غنى علوية يوماً بين يدي الأمين[3]: [الرمل]

[٢١٤] ليت هنداً أنجزتنا ما تعد   وشفت أنفسنا مما تجد

وكان الفضل بن الربيع يَضْطَغِنُ عليه شيئاً، فقال للأمين: إنما يعرض بك ويحرض المأمون، ويستبطىء محاربته إياك، فأمر به فضرب خمسين سوطاً[4]، وجر برجله حتى أخرج، وجفاه مدةً، فلما قدم المأمون، تقرب إليه بذلك، فلم يقع له بحيث يحب، وقال له: إن الملك بمنزلة الأسد والنار فلا تتعرض لما يغضبه، فإنه ربما جرى منه ما يتلفك، ثم لا تقدر بعد ذلك على تلافي ما فرط منه، ولم يعطه شيئاً[5].

ومثل هذا من[6] فعل الأمني ما حكاه إسحاق قال: دخلت يوماً على الأمين فرأيته متغضباً كالحاً، فقلت: ما للأمير تمم الله سروره ولا نغصه إياه كالخاثر، فقال: غاظني أبوك الساعة، والله لو كان حيا لضربته خمسمائة سوط، ولولاك لنبشت الساعة قبره وأحرقت عظامه، فقمت على رجلي وقلت: أعوذ بالله من سخطك يا أمير المؤمنين، ومن أ بي وما مقداره حتى تغتاظ منه، وما الذي غاظك، فلعل له عذراً فيه، فقال: شدة محبته المأمون، وتقديمه إياه عليّ، قال في الرشيد شعراً يقدمه عليّ وغناه فيه، وغنيته الساعة فأورثني هذا الغيظ، فقلت: والله ما سمعت بهذا قط، ولا لأبي غناء إلّا وأنا أرويه، قال: فما هو؟ قلت قوله[7]: [الوافر]

---

(١) الأصل: في، والمثبت من الأغاني.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢٢٩/١١.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٢٣٠/١١.
(٤) الأصل: صوتاً، والمثبت من الأغاني.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٢٣٠/١١-٢٣١.
(٦) الأصل: ما، والمثبت من الأغاني.
(٧) الأصفهاني، الأغاني: ٢٣١/١١.

أبـو الـمـأمـون فـيـنـا والأمـيـن لـه كـفّـان مـن كـرم ولـيـن[1]

فقلت له: لم يقدم المأمون هذا لتقديمه إياه في الموالاة، ولكن الشعر لم يصح وزنه إلا كذا، فقال: وكان ينبغي لـه إذا لم يصح وزنه إلا كذا أن يدعه إلى لعنة الله، قال: فلم أزل أرفق به إلى أن سكن، فلما قدم المأمون سألني عن هذا الحديث، فحدثته به فجعل يضحك ويتعجب منه[2].

قال أحمد بن يحيى المكي: دخلت على علوية أعيده من علة اعتلها، فجرى حديث المأمون، فقال: علم الله كدت أذهب ذات يوم وأنا معه، لولا أن الله عز وجل سلمني ووهب [٢١٥] لي حكمة، فقلت: كيف كان ذاك؟ قال: كنت معه لما خرج إلى الشام، فدخلنا دمشق وجعل يطوف على قصور بني أمية، فدخل صحناً، فإذا هو مفروش بالديباج والرخام الأخضر، وفيه بركة ماء يدخلها ويخرج منها من عين تصب إليها، وفي البركة سمك، وبين يديها بستان، وعلى أربع زواياها أربع سروات، كأنها قصت بمقراض من التفافها أحسن ما رأيت قط من السرو قداً، فاستحسن ذلك وعزم على الصبوح، وقال: هاتوا لي الساعة طعاماً خفيفاً، فأتى ببزماوردٍ فأكله، ودعا بالشراب، وأقبل عليَّ، فقال: غنني ونشطني، فكأن الله عزوجل أنساني الغناء [كله إلا هذا الصوت [المنسرح]

لـو كـان حـولـي بـنـو أمـيـة لـم تـنـطـق رجـال أراهـم نـطـقـوا][3]

فنظر إليَّ مغضباً وقال: عليك وعلى بني أمية لعنة الله، ويلك، قلت لك سؤني أو سُرّني، ألم يكن لك وقت تذكر فيه بني أمية إلا هذا الوقت تعرض بي، فتحليت عليه وعلمت أني قد أخطأت، فقلت: أتلومني على أن أذكر بني أمية، هذا مولاكم زرياب عندهم يركب في مئتي غلام له، ويملك ثلاثمائة ألف دينار، وهبوها لـه، سوى الخيل والضياع والرقيق، وأنا عندكم أموت جوعاً!! قال: أوَ لم يكن لك شيء تذكرني به

---

(١) في الأغاني: كنفان.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢٣١/١١.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

نفسك غير هذا؟ فقلت: هكذا خطر لي حين ذكرتهم، قال: اعدل عن هذا ونبه على إرادتي، فأنساني الله كل شيء أحسنه إلَّا هذا الصوت[١]: [الكامل]

الـحـيـن سـاق إلـى دمـشـق ومـا   كـانـت دمـشـق لأهـلـهـا بـلـدا

فرماني بالقدح فأخطأني، وانكسر القدح، وقال: قم عني إلى لعنة الله وحر سقر، وقام فركب، فكانت والله تلك الحالة آخر عهدي به، حتى مرض ومات. قال: ثم قال لي علوية: يا أبا جعفر، كم تراني أحسن، أغني ثلاثة آلاف صوت؟ أربعة آلاف صوت؟ خمسة آلاف صوت؟ أنا والله أغني اكثر من ذلك، ذهب والله كله عني، حتى كأني لم أعرف غير ما غنيت، ولقد ظننت أن لو كان ألف روح، ما نجت منها واحدة، ولكنه كان رجلاً حليماً[٢].

قال: وغنى يوماً علوية بحضرة الرشيد[٣]: [٢١٦] [الكامل]

وأرى الـغـوانـي لا يـواصـلـن إمـرأً   فـقـد الـشـبـاب وقـد يـصـلـن الأمـردا

فدعا به الرشيد وقال: يا عاض بظر أمه، تغني في مدح المرد وتذم الشيب، وستارتي منصوبة وقد شبت، كأنك إنما تعرض بي، ثم دعا بمسرور فأمره أن يأخذ بيده فيضربه مئة درة، ولا يرد إلى مجلسه، ففعل ذلك به، ولم ينتفع الرشيد يومئذ بنفسه[٤].

قال: دخل علوية يوماً على إبراهيم بن المهدي، فقال لـه إبراهيم: ما الذي أحدثت بعدي من الصنعة يا أبا الحسن؟ قال: صنعت صوتين، قال: فهاتهما إذا، فغناه[٥]: [الطويل]

ألا إن لـي نـفـسـين نـفـسـاً تـقـول لـي   تـمـتـع بـلـيـلـى ما بـدا لـك لـيـنـهـا
ونـفـسـاً تـقـول اسـتـبـق ودك واتـئـد   نـفـسـك لا تـطـرح عـلـى من يـهـيـنـهـا

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١١/٢٤١.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١١/٢٤٠-٢٤١.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١١/٢٤٤.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١١/٢٤٣-٢٤٤.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١١/٢٣٥.

قال: فكاد إبراهيم أن يموت من حسده، وتغير لونه، ولم يدر ما يقول له، لأنه لم يجد في الصوت مطعناً، فعدل عن الكلام في هذا المعني، وقال له: هذا يدل على أن ليلى هذه كانت من لينها مثل الموم بدهن البنفسج، ثم سأله عن الصوت الآخر [فغناه][1]: [الطويل]

إذا كـــان لـي شيئـان يا أم مـالـك فـإن لـجـاري مـنـهـمـا مـا تـخـيـرا
وفـي واحـد إن لـم يـكـن غـيـر واحـد أراه لـــه أهـــلاً إذا كـــان مـــعـــســـرا

قال: فكاد إبراهيم أن يموت حسداً لـــه، قال: وإن كان لك امرأتان، قال: يا أبا الحسن، حبوت جارك بواحدة، فخجل علوية وما نطق بحرف بقية يومه[2].

ومنهم:

٥ ـ مُخَارِق[3]

نبعة لا يقاتل بغرب، ولا يقابل في طرب، أتى في الغناء بكل خارق، وواتى ضربه إيماض كل شارق، وزاحم في مجالس الخلفاء، ووقف والقوم جِثِيٌّ على الركب، وقام بحصائد لسانه، وكل واحد به نكب، وكانَ زبدة تلك الحَلْبَة، ودَرّة تلك الجلبة، وأسرع الكـــل اقتباساً [٢١٧] وأبرَع نطقاً لا يعرف احتباسها، ولهذا كان لا يعدل بأحد، ولا يعد معه من إذا خول النعمة جحد.

قال أبو الفرج[4]: لما صار مخارق للرشيد، كان يقف بين يديه ويغني وهو اقف، فغنى ذات يوم ابن جامع[5]: [البسيط]

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني، وفيه الشعر: ٣٣٥/١١.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢٣٥/١١.
(٣) مخارق بن يحيى بن ناووس الجزار مولى الرشيد (ت٢٣١هـ) من كبار المغنيين في العصر العباسي: انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٤٧٧/١٨.
(٤) الأغاني: ٤٧٩/١٨.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٤٧٩/١٨.

كأنَّ نيرانَنا في جَنْب قلعتهم مُصَبَّغاتٌ على أرسان قصّار
هوت هرقلة لما أن رأت عجباً حمائماً ترتمي بالنفط والنار

فطرب الرشيد واستعاده عدة مرات، وهو شعر مدح به الرشيد في فتح هرقلة، فأقبل الرشيد على ابن جامع، وقال له: أحسنت أحسنت، فغمز مخارق إبراهيم الموصلي بعينيه وتقدمه إلى الخلاء[1]، فلما جاء قال له: مالي أراك منكسراً، قال: أما ترى إقبال أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت، فقال له مخارق: قد والله أخذته، فقال: ويحك إنه الرشيد، وابن جامع من تعلم، ولا يمكن معارضته إلا بما يزيد على غنائه، وإلا فهو الموت، فقال: دعني وخلاك ذم، وعرّفْه أني أغني به، فإن أحسنت فإليك ينسب إحساني، وأن اسأت فعلي يعود اللوم، قال: صدقت وعاد إلى موضعه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أراك معجباً بهذا الصوت فوق ما يستحقه ويستوجبه، قال: فلقد أحسن فيه ابن جامع ما شاء، قال: أو لابن جامع هو؟ قال: نعم هكذا ذكر، قال: فإن عبدك مخارقاً يغنيه غناء أحسن من هذا وأطيب، فنظر إلى مخارق وقال: تغنيه؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: هاته، فغناه وتحفظ فيه، فأتى بالعجائب، فطرب الرشيد حتى كاد يطير فرحاً، وشرب، ثم أقبل على ابن جامع فقال: ويلك، ما هذا! فابتدأ يحلف له بالطلاق وكل محرجةٍ أنه لم يُسمع ذلك الصوت قط إلا منه، ولا صنعه غيره، وأنها حيلة تمت عليه، فأقبل على إبراهيم، وقال: اصدقني بحياتي، فصدقه في قصة مخارق، قال: نعم يا مولاي، قال: اجلس إذاً مع أصحابك، فقد تجاوزت مرتبة من يقوم، فأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار وأقطعه [ضيعة][2] ومنزلاً[3].

قال الحسين بن الضحاك: حدثني مخارق [٢١٨] أن الرشيد قال يوماً وهو مصطبح لجماعة المغنين: من منكم يغني هذا الصوت[4]: [البسيط]

---

(١) الأصل: الخلافة، والمثبت من الأغاني.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٤٧٩/١٨.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤٨٠/١٨.

يا ربع سلمى لقد هيجت لي طربا زدت الـفـؤاد عـلـى عـلاتـه وصـبـا

فقمت وقلت: أنا يا أمير المؤمنين، فقال: هاته، فغنيتُهُ فطرب وشرب وقال: علي بهرثمة، فقلت في نفسي: ما يريد منه، فجاؤوا به فأدخل إليه وهو يجر سيفه، فقال: يا هرثمة، مخارق الشاري الذي قتلناه في ناحية الموصل، ما كانت كنيته؟ قال: أبو المهنا، قال: فانصرف، ثم أقبل عليَّ بوجهه وقال: قد كنيتك يا أبا المهنا لإحسانك، وأمر له بمئة ألف درهم(1).

قال: كان الواثق يقول: أتريدون أن تعرفوا فضل مخارق على جميع أصحابه، انظروا إلى هؤلاء(2) الغلمان الذين يقفون في السماط، فكانوا يتفقدونهم وهم وقوف وكلهم يستمع الغناء من المغنين جميعاً وهو واقف مكانه ضابط لنفسه، فإذا غنى مخارق خرجوا من صورهم، فتغيرت وجوههم وتحركت أرجلهم ومناكبهم، وظهرت أسباب الطرب فيهم، وازدحموا على الحبل الذي يقفون من ورائه(3).

قال: سمع إبراهيم الموصلي يوماً مخارقاً يغني وهو صغير، فقال له: نعم الفسيلة غرس إبليس منك في الأرض(4).

قال هارون بن محمد بن هشام: دعانا مخارق يوماً فأطعمنا جزوريةً، وجلسنا نشرب، فإذا نحن بامرأة تصيح: يا أبا المهنا، الله الله فيَّ، حلف زوجي بالطلاق أنه يسمع غناءك ويشرب عليه، قال: اذهبي فجيئي به، فجاء فجلس، فقال لـه: ما حملك على ما صنعت، قال: يا سيدي، كنت سمعت صوتاً من صنعتك فطربت عليه حتى استخفني الطرب، فحلفت أن أسمعه منك، ثقةً بك، وكانت زوجته داية هارون ابن مخارق، فقال: ما الصوت؟ فقال(5): [الكامل]

بـكـرت عـلـي فـهـيـجـت وجـداً هــوج الــريــاح وأذكــرت نــجــدا

(1) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٤٨٠.
(2) الأصل: هذا، والمثبت من الأغاني.
(3) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٤٨٨.
(4) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٤٨٨.
(5) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٤٨٩ ونسب الشعر للحسين بن مطير الأسدي.

أتحن من شوق إذ ذُكرت نجدٌ وأنت تركتها عمدا

[٢١٩] فغناه أياه وسقاه رطلاً وأمره بالانصراف، وقال له: احذر أن تعاود فانصرف، فلم يلبث أن جاءت المرأة وعاودت الصياح، وهي تقول: يا سيدي، قد عاود اليمين، الله الله في وفي أولادي، فقال: هاتيه، فأحضرته، فقال لها: انصرفي أنت، فإن هذا كلما انصرف حلف وعاود، فدعيه يقيم عندنا اليوم، فتركته وانصرفت، فقال له مخارق: ما قصتك؟ قال: رجل طروب، وكنت سمعت صوتاً من صنعتك فاستخفني الطرب حتى حلفت أن أسمعه منك، قال: وما هو؟ قال[1]: [مجزوء الرمل]

أَلِفَ الظبيُ بعادي ونفى عني رقادي[2]
وعدا الهجر على الوصل بأسياف حداد

قال: فغناه إياه وسقاه رطلاً، ثم قال: يا غلام، ائتني بمقارع، فجيء بها، فأمر بالرجل فبطح وضربه خمسين مقرعة وهو يستغيث ولا يكلمه، ثم قال له: احلف بالطلاق أنك لا تذكرني أبداً، وإلا كان هذا دأبك إلى الليل، فحلف بالطلاق ثلاثاً على ما أمره به، ثم أخرج، فجعلنا نضحك بقية يومنا من حمقه، وما أصاب الرجل[3].

قال: كان مخارق ممن إذا تنفس لأطرب من يسمع نفسه[4].

وقال: خرج مخارق مع بعض إخوانه إلى بعض المتنزهات، فنظر إلى قوس مذهبة مع بعض من خرج معه، فسأله أن يهبه له فضن المسئول قال: وسنحت ظباء بالقرب منه، فقال مخارق: أرأيت أن غنيت صوتاً فطعفت به عليك خدود الظباء أتدفع لي هذه القوس؟ قال: نعم والله، فاندفع مخارق يغني[5]: [المجتث]

ماذا تقول الظباء أفرقة أم لقاء

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٤٩٠.
(٢) في الأغاني: ونفى الهم.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٤٨٩-٤٩٠.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٤٩٠.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٤٩١.

أم عهدها بسليمى	وفي البيان الشفاء
مرت بنا سانحاتٍ	وقد بدا الإمساء
فما أحارت جواباً	وطال فيها العناء

قال: فعطفت الظباء راجعة إليه حتى وقفت بالقرب منه مستشرفة تنظر إليه، ومصغية تسمع صوته، فعجب من حضر من رجوعها ووقوفها، وناوله الرجل [٢٢٠] القوس فأخذها، وقطع الغناء فعاودت الظباء نفرها، ومضت راجعة إلى سننها[١].

قال بعض أصدقاء مخارق: ركبت معه مرةً في طيّارة ليلاً وهو سكران، فلما توسط دجلة اندفع بأعلى صوته، فما بقي أحد في الطيّار من ملاح أو غلام أو خادم إلا بكى من رقة صوته، ورأيت الشمع والسرج من جانبي دجلة في صحون القصور والدور يتساعون بين يدي أهلها يسمعون غناءه[٢].

قال هبة الله بن إبراهيم بن المهدي: غنت شارية يوماً بحضرة أبي صوتاً، فأحدّ النظر إليها وقال لها: أمسكي، فأمسكت، فقال: عرفت إلى أي شيء ذهبت، أردت أن تتشبهي بمخارق في تزايده وإياك أن تعودي، فإن مخارقاً خلقه الله وحده في طبعه وصوته ونفسه، يتصرف في ذلك أجمع حيث يحب، ولا يلحقه أحد، قد أراد غيرك أن يتشبه به في هذا الحال فهلك وافتضح ولم يلحقه، فلا أسمعَنَّك تتعرضي لهذا بعد هذا الوقت[٣].

قال مخارق: ودعا أمير المؤمنين محمد الأمين يوماً، وقد اصطبح، فاقترح عليَّ[٤]:

[البسيط]

استقبلت ورق الريحان تقطعه	وعنبر الهند والوردية الجددا[٥]
ألست تعرفني في الحي جارية	ولم أخنك ولم ترفع إليَّ يدا

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/ ٤٩٠-٤٩١.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٤٩١.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/ ٤٩٢.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٤٩٢.
(٥) في الأغاني: الريحان تقطفه.

فغنيته إياه، فطرب طرباً شديداً، وشرب عليه ثلاثة أرطال، وأمر لي بألف دينار، وخلع على جبة وَشْيٍ كانت عليه مذهبة ودراعة مثلها وعمامة مثلها، فلما لبست ذلك ورآه عليَّ ندم، وكان كثيراً ما يفعل ذلك، فقال لبعض الخدم: قل للطباخ يأتينا بمصلية معقودة الساعة، فأتينا بها، فقال: كل معي، فامتنعت لما أعرفه من كراهيته، فَحَلفَ أن آكل معه، فحين أدخلت يدي الغضارة رفع يده وقال: أُفٍّ بغضتها والله وقذرها إدخالك يدك معي فيها، ثم رفس القصعة رفسة فإذا هي في حجري وودكها يسيل على الخلعة حتى نفذ إلى جلدي، فقمت مبادراً فنزعتها وبعثت بها إلى منزلي، وغيرت ثيابي، وأنا مغموم بها وهو [٢٢١] يضحك، فلما رجعت إلى منزلي، جمعت كل صانع حاذقٍ فجهدوا في إخراج ذلك الأثر منها فلم يخرج، ولم أنتفع بها حتى أحرقتها وأخذت ذهبها، وضرب الدهر ضربة، ثم دعاني أمير المؤمنين المأمون يوماً، فدخلت عليه وهو جالس، وبين يديه مائدة عليها رغيفان ودجاجتان، فقال لي: تعال فكل، فامتنعت، فقال لي: تعال ويلك فساعدني، فجلست وأكلت معه حتى فرغ، ووضع النبيذ ودعا علوية فجلس، وقال: يا مخارق، أتغني[1] [الطويل]

أقول التماس العذر لما ظلمتني ... وحملتني ذنباً وما كنتُ مذنبا
هبيني امرأ إما بريئاً ظلمته ... وإما مسيئاً قد أناب وأعتبا

فقلت: نعم يا سيدي، قال: غنه، فغنيته، فعبس في وجهي وقال: قبحك الله، أهكذا تغنى هذا؟ ثم أقبل على علوية فقال: أتغنيه، قال: نعم سيدي، قال: غنه، فغناه، فوالله ما قاربني فيه، فقال: أحسنت والله، وشرب رطلاً واستعاده ثلاثاً، ثم شرب عليه ثلاثة أرطال، وأعطاه كل مرة يعيده عشرة آلاف درهم، ثم خذف بإصبعه وقال: برق يمانٍ، وكان إذا أراد قطع الشراب فعل ذلك، وقمنا فعلمت من أين أتيت.

ولما كان بعد أيام دعاني[2] فدخلت وهو جالس في ذلك الموضع يأكل، فقال لي: تعال يا مخارق، فقلت: لا والله يا سيدي ما أقدر على ذلك، فقال: تعال ويلك

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤٩٣/١٨.
(٢) الأصل: عادني، والمثبت من الأغاني.

أتراني [بخيلا][1] على الطعام، لا ولكني أردت أن أؤديك، إنَّ اسادة لا ينبغي لعبيدها أن تؤاكلها، أفهمت؟ قلت: نعم، قال: فتعال الآن وكل على الأمان، فقلت: إذاً أكون أول من أضاع تأديبك اياه، واستحق العقوبة من قريب، فضحك حتى استغرق، وأمر لي بألف دينار، فمضيت إلى حجرتي المرسومة في الخدمة، وأتيت بطعام فأكلت، ووضع النبيذ، فدعاني ودعا علوية، فلما جلسنا قال: يا علي أتغني[2]: [البسيط]

ألم تقولي نعم قالت أرى وهما ... مني وهل يؤخذ الإنسان بالوهم

فقال: نعم يا سيدي، قال: هاته، فغناه، فعبس في وجهه وبسر ثم أقبل عليَّ [٢٢٢] وقال: أتغنيه يا مخارق؟ فقلت: نعم يا سيدي، وعلمت أنه أراد أن يستقيد من علوية ويرفع مني، وإلا فما أتى فيه علوية لا يعاب به، فغنيته فطرب وشرب، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، وفعل بي ذلك ثلاث دفعات، كما فعل به، ثم أمر بالانصراف فانصرفنا، وما عاودت بعد ذلك مؤاكلة خليفة إلى وقتنا هذا[3].

قال: حج رجل مع مخارق، فلما قضينا الحج وعاد، قال الرجل: بحقي عليك غنني صوتاً، فغنى[4]: [الطويل]

رَحَلْنَا فَشرَّقْنا وراحوا فَغَرَّبوا ... وفاضت لروعات الفراق عيونُ

فرفع الرجل يده إلى السماء وقال: اللهم إني أشهدك أني قد وهبت حجتي له[5].

وتوفي مخارق في أول خلافة المتوكل، وقيل: بل في آخر خلافة الواثق، وذكر ابن خرداذبة أنه كان أكل قرنبيطية باردة فقتلته من يومه[6]

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/ ٤٩٣.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/ ٤٩٢-٤٩٥.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٥٠٠.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٥٠٠.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ١٨/٥٠٠.

ومنهم:

٦ ـ عَرِيْبُ جَارِيَةُ المأْمُونِ[(١)]

وهي التي تُحفظ أخبارها، ولا يقاس عليها، ولا يقال عن أحد فيكون بالنسبة إليها، وكانت أنفذ من السهام إلى أغراضها، وأطيب من زوال السقام لأمراضها، غلب معها المأمون وسرت إلى هواها سرى الأمون، وكانت لا تتحاشي، ولا ترى لها بغير أن تعاشر انتعاشا، وكانت ذات فنون ومحاسن كما في الظنون، وبديهة تتوقد، وميامن كأنها الفرقد.

ذكرها أبو الفرج الأصفهاني وقال[(٢)]: دخل أبو عبد الله الحسامي[(٣)] على المعتز، وعريب تغني فقال: يابن هشام غن، فقلت: تبت من الغناء مذ قتل سيدي المتوكل، فقالت له عريب: قد والله أحسنت حيث تبت فإن غناءك كان لا متقناً ولا صحيحاً ولا مطرباً، فأضحكت أهل المجلس منه وخجل.

وكانت عريب مولدة في دار جعفر بن يحيى، وقيل إن أمها كانت تسمى فاطمة، وإن جعفراً تزوجها سراً وأسكنها داراً، ووكل بها من يحفظها، وكان يتردد إليها، فولدت عريباً في إحدى وثمانين ومئة، وعاشت ستاً وسبعين [٢٢٣] سنة[(٤)].

قال: وماتت أم عريب في حياة جعفر بن يحيى، فدفعها إلى امرأة نصرانية وجعلها داية لها، فلما حدثت الحادثة بالبرامكة باعتها من شنين النخاس، فباعها من عبد الله بن إسماعيل المراكبي، ثم باعها فاشتراها المأمون بخمسين ألف درهم[(٥)].

---

(١) عريب المأمونية، شاعرة ومغنية في العصر العباسي، مجهولة الأب، قيل أنه جعفر البرمكي وقيل غير ذلك، توفيت سنة ٢٧٧هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٤٠/٢١.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: الهشامي.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٤٣/٢١.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤٣/٢١.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ٤٣/٢١-٤٤.

قال الفضل بن مروان: كنت إذا نظرت إلى قدمي عريب شبهتها بقدمي جعفر بن يحيى[1].

قال: وذكرت بلاغتها لبعض الكتاب فقال: وما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر بن يحيى[2].

قال أبو العنبس بن حمدون: حدثني أبي قال: دخلنا على عريب يوماً مسلمين، فقالت: أقيموا اليوم عندي حتى أطعمكم لوزينجة صنعتها بدعة بيدها من لوز طيب، وأغنيكم أنا وهي، قال: فقلت لها: على شريطة، قالت: وما هي؟ قلت: شيء أريد أن أسألك عنه وأنا أهابك، قالت: ذاك إليك وأنا أقدم الجواب قبل أن تسأل، تريد أن تسألني عن شرطي أي شيء هو، فقلت: والله ذلك الذي أردت، قالت: شرطي أير صلب ونكهة طيبة، فإن انضاف إلى ذلك حسن وجمال زاد قدره عندي، وإلَّا فهذا ما لا بد لي منه[3].

قال: عتب المأمون على عريب بهجرها أياماً ثم اعتلت[4] فعادها، فقال لها: كيف وجدت طعم الهجر، فقالت: يا أمير المؤمنين، لولا مرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوصل، ومن ذم بدء الغضب، أحمد عاقبة الرضا، فخرج المأمون إلى جلسائه، فحدثهم ذلك، ثم قال: أترى هذا لو كان من كلام [النظام][5] ألم يكن كثيراً[6].

قال: وكانت عريب تهوى محمد بن حامد، فكتب إليها: أخاف على نفسي، فكتبت إليه[7]: [المتقارب]

إذا كنت تحذرُ ما تحذرُ وتزعُم أنك لا تَجْسُرْ

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٤٤/٢١.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٤٤/٢١.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٥٣/٢١.
(٤) الأصل: اعللت، والمثبت من الأغاني.
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٥٧/٢١.
(٧) الأصفهاني، الأغاني: ٦١/٢١.

فــمــا لــي أُقِــيــمُ عــلــى صَـبْـوَتــي ويـــــومُ لــــقــــائِــــك لا يُــــقــــدَرُ
فصار إليها من وقته واصطلحا، وأقام عندها يومه[1].

قال [٢٢٤] ابن حمدون: ركبت ليلة في حاجة للمأمون، فإذا أنا بصوت حافر، ووافت برقة فأضاء لها وجه الراكب، فإذا عريب، فقلت: عريب؟ قالت: نعم، ابن حمدون؟ قلت: نعم، ثم قلت لها: من أين أقبلت في هذا الوقت؟ قالت: يانكس عريب في مثل هذا الوقت من عند محمد بن حامد خارجة من مضرب الخليفة وراجعة إليه، تقول إي شيء عملت عنده؟ صليت معه التراويح، أو قرأت عليه جزءاً من القرآن؟ أو دارسته شيئاً من الفقه؟ يا أحمق تحادثنا وتعاتبنا وأكلنا وشربنا ولعبنا وغنينا وتنايكنا، فأخجلتني وغاظتني، وافترقنا، ومضيت في حاجتي ثم عدت إلى المأمون، فأخذنا في الحديث وتناشدنا الأشعار، فهممت أن أحدثه بحديثها، ثم هبت أن أذكر ذلك، فقلت: أقدم قبل ذلك تعريضاً بشيء من الشعر، فأنشدته[2]: [الطويل]

إلا حـي أطــلالاً لــواســعــة الــحــبــل ألـوف تـساوي صـالـح الـقـوم بالـرذل[3]
فـلـو أن مــــن أمـسـى بـجـانـب تـلـعــةٍ إلـــى جبـلـي طَـيٍّ فـسـاقـطـة الـحـبـــل
جـلـوس إلـى أن يـقـصـر الـظـل عـنـدهـا أراحـوا وكـل الـقـوم مـنـهـا عـلـى وصـل

فقال لي المأمون: اخفض صوتك لا تسمع عريب فتغضب، وتظن أنك في حديثها، فأمسكت عما أردت وخار الله في ذلك[4].

قال اليزيدي: خرجت مع المأمون في خرجته إلى الروم، فرأيت عريب في هودج فلما رأتني قالت: يا يزيدي، أنشدني شعراً قلته حتى أصنع فيه لحناً، فأنشدتها[5]: [الرجز]

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٦١/٢١.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٥٨/٢١.
(٣) الأصل: هي اطالا، والمثبت من الأغاني.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٥٧/٢١-٥٨.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٥٨/٢١.

ماذا بقلبي من دوام الخفق إذا رأيت لمعان البرق
من قبل الأردن أو دمشق لأن من أهوى بذاك الأفق
ذاك الذي يملك مني رقي ولست أبغي ما حييت عتقي

فلما سمعته تنفست نفساً ظننت أن ضلوعها قد تفصلت منه، فقلت: والله هذا نفس عاشق، فقالت: اسكت يا عاجز، أنا أعشق؟ والله لقد نظرت نظرة مريبة في [٢٢٥] مجلس فادعاها من أهل المجلس عشرون رئيساً، ما علم أحد منهم لمن كانت إلى اليوم(١).

قال ابن حمدون: وقعت ملاحاة بين عريب وبين محمد بن حامد وشر، وكان في قلبها أكثر مما في قلبه منها، فلقيته يوماً فقالت له: كيف قلبك يا محمد، قال: أشقى الله ما يكون وأقرحه، فقالت: استبدل تَسْلُ، فقال: لو كانت البلوى باختيارٍ لفعلت، فقالت: لقد طال إذاً تعبك، فقال: وما يكون؟ أصبر مكرها، أما سمعت قول العباس بن الأحنف(٢): [الكامل]

تَعَبٌ يطول مع الرجاء لذي الهوى خير له من راحةٍ في الياس
لولا كرامتكم لما عاتبتكم ولكنتم عندي كبعض الناس

قال: فذرفت عيناها واعتذرت إليه وعاتبته واصطلحا(٣)

قال أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي، قالت لي عريب: حج بي أبوك وكان مضعوفاً، فكان عديلي، وكنت في طريقي أطلب الأعراب فأستنشدهم الأشعار، وأكتب عنهم النوادر، فوقف شيخ من الأعراب يسأل، فاستنشدته، فأنشدني(٤): [البسيط]

يا عز هل لك في شيخٍ فتى أبداً وقد يكون شبابٌ غير فتيان

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢١/ ٥٨.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢١/٥٩.
(٣) الإصفهاني، الأغاني: ٢١/٥٩.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٢١/٦٠.

فاستحسنته، ولم أكن سمعته قبل ذلك، فاستنشدته[1] باقي الشعر، فقال لي: هو يتيم، فاستملحت قوله وبررته، وحفظت البيت وغنيت فيه لحناً من الثقيل الأول، ومولاي لا يعلم بذلك لضعفه، فلما كانت عشية ذلك اليوم، قال لي: ما كان أحسن البيت الذي أنشدك الأعرابي إياه، وقال لك إنه يتيم[2]، أنشدينيه إن كنت حفظته، فأنشدته إياه وأعلمته أني قد غنيت فيه، ثم غنيته لــه، فوهب لي ألف درهم، وفرح بالصوت فرحاً شديداً[3].

قال أبو الخطاب العباس بن أحمد بن الفرات، حدثني أبي قال: كنا يوماً عند جعفر بن المأمون نشرب، وعريب حاضرة، إذ غنى بعض من كان هناك[4]: [٢٢٦] [الكامل]

يا بدر إنك قد كسيت مشابهاً ... من وجه ذاك المستنير الواضح
وأراك تُمْحَصُ وحسنها ... باقٍ على الأيام ليس ببارح

فطربت عريب وصفقت ونعرت، وقالت: ما على وجه الأرض من يعرف خبر هذا الصوت غيري، فلم يعرف ولم يقدر أحد منا على مسألتها عنه غيري، فقالت: أنا أخبركم بقصته، ولولا أن صاحب القصة قد مات، لما أخبرتكم، إن أبا محلم قد قدم بغداد فننزل بقرب دار صالح المسكين في خان هناك، فاطلعت أم محمد على أبي محلم يوماً فرأته يبول فأعجبها متاعه، فأحبت مواصلته، فجعلت لذلك علة بأن وجهت إليه تقترض منه مالاً، وتعلمه أنها [في][5] ضيقة، وأنها ترده إليه بعد جمعةٍ، فبعث إليه عشرة آلاف درهم، وحلف لــها أنه لو ملك غيرها لبعث به، فاستحسنت ذلك منه وواصلته، وجعلت القرض سبباً للوصلة، وكانت تدخله إليها ليلاً، وكنت أغني لهم، فشربنا ليلة في القمر، وجعل أبو محلم ينظر إليها، ثم دعا بدواةٍ ورقعةٍ، وكتب فيها: [الكامل]

---

(١) الأصل: فاستنشدني، والمثبت من الأغاني.
(٢) الأصل: ليس، والمثبت من الأغاني.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٦٠/٢١.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٦٠/٢١ ونسبه لأبي محلم النسابة.
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

يا بدر إنك قد كُسِيتَ مشابهاً ... من وجه أم محمد ابنة صالح

والبيت الآخر، وقال لي: غني فيه، ففعلت فاستحسناه وشربنا عليه، فقالت لي أم محمد في آخر المجلس: يا أختي إنك قد غنيت في هذا الشعر وأراه سيبقى عليَّ فضيحة آخر الدهر، قال أبو محلم: فأنا أغيره، فجعل مكان (أم محمد أبنة صالح)، (ذاك المستنير اللائح)، وغنيته كما غيره، وأخذه الناس عني ولو كانت أم محمد حية، لما أخبرتكم بالخبر[1].

قال أبو الحسن بن الفرات: كنت يوماً عند أخي أبي العباس بن الفرات، وعنده عريب تغني، فقالت لأخي، وقد جرى ذكر الخلفاء: ناكني منهم ثمانية، ما اشتهيت منهم أحداً، إلَّا المعتز، قال ابن الفرات: فأصغيت إلى بعض بني أخي، فقلت: كيف ترى شهوتها الساعة، فضحك من قولي، فقالت: أي شيء قلتم؟ فجحدتها، فقالت: جواري حرائر [٢٢٧] لئن لم تخبراني بما قلتما لأنصرفن، ولئن قلتما لي لاحذرت من شيء جرى، ولو أنه تسفيل، فصدقتها فقالت: وأي شيء في هذا، أما الشهوة فبحالها، ولكن الآلة قد ضعفت، عودوا إلى ما كنتم فيه[2].

قال أبو عبد الله بن حمدون: زارت عريب محمد بن حامد، وجلسا جميعاً فجعل يعاتبها ويقول: فعلت كذا وفعلت كذا، فقالت: يا عاجز، خذ فيما نحن فيه، واجعل سراويلي مخنقتي، والصق خلخالي بقرطي، فإذا كان غداً فاكتب إليَّ بعتابك حتى أكتب إليك عذري، فقد قال الشاعر[3]: [الوافر]

دعي عد الذنوب إذا التقينا ... تعالي لا نعد ولا تعدي[4]

قال: اصطبح المأمون وعنده ندمان، وفيهم محمد بن جامع وجماعة المغنين،، وعريب معه على مصلاه، فأومأ محمد بن حامد إليها بقبلة، فاندفعت تغني ابتداءً[5]: [الطويل]

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٦٠/٢١-٦١.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٥٢/٢١.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٥٢/٢١.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٥٢/٢١.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٥١/٢١.

رمى ضرع نابٍ فاستمر بطعنةٍ كحاشية البرد اليماني المسهم

فقال المأمون: أمسكي، فأمسكت، ثم أقبل على الندماء، فقال: من منكم أومأ على عريب بقبلة؟ والله لئن لم يصدقني لأضربن عنقه، فقام محمد فقال: أنا يا أمير المؤمنين أومأت إليها، والعفو أقرب للتقوى، فقال: قد عفوت عنك. فقال: [كيف][1] استدل أمير المؤمنين على ذلك، فقال: ابتدأت صوتاً وهي لا تغني أبداً إلا لمعنى، فعلمت أنها لم تبتدئ بهذا الصوت إلا لشيء أومئ إليها به، ولم يكن من شرط هذا المعنى إيماءً إلا بقبلة، فعلمت أنها أجابت بطعنة[2].

قال: لما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد، أمر بالباسها جبة صوف وختم زيقها وحبسها شهراً في كنيف مظلم لا ترى الضوء، يدخل إليها خبز وملح وماء من تحت الباب، ثم ذكرها فرق لها، وأمر بإخراجها، فلما فتح الباب عنها وأخرجت، لم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغني[3]: [٢٢٨] [الكامل]

حجبوه عن بصري فُمِثّل شخصهُ في القلب فهو محجَّبٌ ما يحجبُ

فبلغ المأمون ذلك، فعجب منه، وقال: لن تفلح هذه أبداً[4].

٧ - إبْرَاهِيْم المَوْصِلي[5]

أصلح طرائق الغناء وسددها، وشيد شيز العيدان وشددها، أغري بهذه الصناعة حتى أتقنها، ودافع فيها الشك حتى تيقنها وولع بها والأيام[6] قد لقحت بسعادته، وحملت بحظه ساعة ولادته، حتى انتهت الليلة إلى فجراها والحامل إلى شهرها، فما

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٢) الأصفهاني، الإغاني: ٥١/٢١.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٤٩/٢١.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٤٩/٢١.

(٥) إبراهيم بن ميمون بن بهمن الموصلي، أشهر المغنيين في العصر العباسي، توفي سنة ١٨٨هـ، انظر: الأصفهاني، الأغاني: ١٠٦/٥.

(٦) الأصل: الأمام، وهو تصحيف.

أجاءها المخاض حتى غرق في السعادة وما خاض، اتصل بالخلفاء، وحصل فوق الاكتفاء، وأثرى ثراء تضيق به الكنوز، وتضيع في معرفته الرموز، واقتنى الجواري اللاتي طلعن أقماراً، وسمعن وكان حديثهن أسماراً.

قال أبو الفرج[1]: قال ابن المنجم: كان سبب قولهم الموصلي أنه لما نشأ وبلغ صحب الفتيان واشتهى الغناء فطلبه، واشتد أخواله عليه في ذلك، وبلغوا منه، فهرب إلى الموصل فأقام بها نحواً من سنة، فلما رجع إلى الكوفة، قال لـه إخوانه من الفتيان: مرحباً بالفتى الموصلي، فمرت عليه.

قال: وأول خليفة غناه إبراهيم وسمع غناءه المهدي، وكان لا يشرب وأراد من إبراهيم ملازمته وترك الشرب، فأبى وكان يغيب عنه أياماً فشرب عند موسى وهارون [فغضب المهدي غضبا شديداً، وقال: لا تدخل على موسى وهارون][2] بتتة، فوالله لئن دخلت عليهما لأفعلن ولأصنعن، فقال: نعم، ثم بلغه أنه دخل عليهما وشرب معهما، وكانا مشهورين بالنبيذ، فدعاه فضربه ثلاثمائة سوط، وقيده وحبسه، فأقام مدة ثم أخرجه وأحلفه بالطلاق والعتاق، وكل يمين لا فسحة لـه فيها، ألَّا يدخل على موسى وهارون أبداً، ولا يغنيهما، وخلى سبيله[3].

قال: فلما ولي موسى الهادي الخلافة، استتر إبراهيم منه، فكان منزلـه يكبس في كل وقت، وأهله يروعون بطلبه، حتى أصابوه فمضوا به إليه، فلما عاينه قال: يا سيدي [فارقت][4] أم ولدي وأعز خلق الله عليَّ، ثم غناه في شعره[5]: [الخفيف]

يا بن خير الملوك لا تتركني   غرضاً للعدو يرمي حيالي
[٢٢٩] فلقد في هواك فارقت أهلي   ثم عرضت مهجتي للزوال

---

(١) الأغاني: ٥/١٠٧.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة من الأغاني.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٠٩.
(٤) ساقطه من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١١١.

ولقد عفت في هـــــواك حياتـــي وتـغـــربـت بـيـن أهـلـي ومـالـــي

قال إسحاق: فَموَّله والله الهادي وخوله، وحسبك أنه أخذ منه في يوم واحد خمسين ألف دينار، ولو عاش لنا بنينا حيطان دارنا بالذهب والفضة(١).

قال إسحاق: كان لأبي طعام معد أبداً في كل وقت، وذلك أنه كان له في كل يوم ثلاث شياه: واحدة مقطعة في القدور، وأخرى مسلوخة معلقة، وأخرى حية، فإذا أتاه قوم اطعموا ما في القدور، فإذا فرغ قطعت الشاه المعلقة ونصبت القدر وذبحت الحية فعلقت، وأتي بأخرى وهي حية في المطبخ، وكانت وظيفته وطيبه في كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما يجري وسوى كسوته، ولولا يقع عندنا من الجواري الودائع لإخوانه ثمانون جارية، ما فيهن واحدة إلا ويجري عليها من الطعام والكسوة والطيب، ما يجري لأخص جواريه، فإذا ردت الواحدة إلى مولاها، أوصلها وكساها، ومات وما في ملكه أكثر من ثلاثة آلاف دينار، وعليه من الدين مئة ألف دينار(٢).

قال إسحاق: اشترى الرشيد من أبي جارية بستة وثلاثين ألف دينار، فأقامت عنده ليلة، ثم أرسل إلى الفضل بن الربيع يقول: إنما اشترينا هذه الجارية من إبراهيم ونحن نحسب أنها من بابتنا، فليس كما ظننا، وما قربتها، وقد ثقل عليَّ الثمن، وبينك وبينه ما بيننا، فإذهب إليه وسله أن يحطنا من ثمنها ستة آلاف دينار، قال: فصار إليه الفضل فاستأذن فخرج أبي إليه فتلقاه فقال له: دعني من هذه الكرامة التي لا مؤونة فيها، لست ممن يحب ذلك، وقد جئتك في أمر أصدقك عنه، وخبره بالخبر كله، فقال له أبي: إنما أراد أن يبلوا قدرك عندي، قال: ذاك أراد، قال: فمالي عليه في المساكين صدقة، إن لم أضعفه لك، قد حططتك أثني عشر ألف دينار، فرجع إليه الفضل بالخبر، فقال له: ويلك، احمل إلى هذا ماله، فما رأيت سوقة قط أنبل منه نفساً(٣).

[٢٣٠] قال إسحاق: وكنت قد قلت لــه: ما كان لحطيطة هذا المال معنى،

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١١١/٥.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١١١/٥-١١٢.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١١٢/٥.

فقال لي: يا أحمق، أنا أعرف الناس به، والله لو أخذت المال منه كاملاً، ما أخذته إلّا وهو كاره له، ولحقد ذلك علي، وكنت أكون عنده صغير القدر، وقد مننت عليه وعلى الفضل، فانبسطت نفسه، وعظم قدري عنده وإنما اشتريت الجارية بأربعين ألف درهم، وقد أخذت بها أربعة وعش،رين ألف دينار، فلما حمل المال بلا حطيطة، دعاني فقال: كيف رأيت يا إسحاق، من البصير أنا أو أنت، فقلت: بل أنت جعلني الله فداك[1].

قال إبراهيم بن المهدي: انصرفت ليلة من الشماسية، فمررت بدار إبراهيم الموصلي، فإذا هو في روشن، وقد صنع لحنه في[2]: [الطويل]

ألا رب نـــدمـــانٍ عـــلـــيَّ دمـــوعـــه   تفيض على الخدين سحاً سجومها

فهو يعيده ويلعب فيه بنغمةٍ ويكررها لتستوي لـــه، وجواريه يضربن عليه، فوقفت تحت الروشن حتى أخذته، ثم انصرفت إلى منزلي، فما زلت أعدله حتى بلغت فيه الغاية القصوى، وأصبحت فغدوت إلى الشماسية، واجتمعنا عند الرشيد، فاندفع إبراهيم فغناه أول شيء غناه، فلما سمعه الرشيد طرب واستحسنه وشرب عليه، ثم قال له: لمن هذا يا إبراهيم؟ فقال: لي يا سيدي صنعته البارحة، فقلت: كذب يا أمير المؤمنين، هذا الصوت قديم وأنا أغنيه، فقال: غنه يا حبيبي، فغنيته كما غناه إبراهيم، فبهت إبراهيم وغضب الرشيد وقال: يا ابن الفاجرة! أتكذبني وتدعي ما ليس لك؟ قال: فظل[3] إبراهيم بأسوأ حال، فلما صليت العصر، قلت للرشيد: الصوت وحياتك لـــه، ولكنني مررت البارحة وهو يردده وجواريه يضربن عليه، فوقفت تحت روشنه حتى حفظته[4].

قال إسحاق: قال ابن جامع يوماً لأبي: رأيت في منامي كأني وإياك راكبان في محمل، فسفلت حتى كدت تلصق الأرض، وعلا الشق الذي أنا فيه، فلأعلونك في

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١١٢.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١١٧.
(٣) الأصل: فظن، والمثبت من الأغاني.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١١٧-١١٨.

الغناء، قال أبي: الرؤيا حق والتأويل باطل [٢٣١] إني وإياك كنا في ميزان فرجحت بي وشالت كفتك، وعلوت ولصقت أنا بالأرض، فلأبقين بعدك ولتموتن قبلي، قال إسحاق: فكان كما[١] قال أبي، علا عليه[٢] وأفاد من أكثر فوائده، ومات ابن جامع قبله، وعاش أبي بعده[٣].

قال مخارق: اشتغل الرشيد يوماً واصطبح مع الحرم، وأصبحت السماء مغيمة، فقلت: والله لأذهبن إلى أستاذي إبراهيم فأعرف خبره، فجئت فدخلت عليه وهو في رواق له، وبين يديه قدور تغرغر، وقناني تزهر، والستارة منصوبة، والجواري خلفها، وبين يديه صينية فيها رطلية وكوز وكأس، فقلت: ما بال الستارة لست أسمع من ورائها؟ فقال: اقعد ويحك، أني أصبحت على الذي ظننت، فأتاني خبر ضيعة تجاورني، قد والله طلبتها زماناً وتمنيتها فلم أملكها، وقد أعطي بها مئة ألف درهم، فقلت: وما يمنعك منها؟ فوالله لقد أغناك الله أضعاف هذا المال وأكثر، قال: صدقت، ولست أطيب نفساً بأن أخرج هذا المال، قلت: فمن يعطيك الساعة مئة ألف درهم، وما أطمع في ذلك من الرشيد فكيف بمن دونه، فقال: اجلس فخذ هذا الصوت، ثم نقر بقضيب معه على الدواة وألقى عليَّ هذا الصوت[٤]: [البسيط]

نام الخَلِيُّون من همٍّ ومن سَقَمِ ... وبتُّ من كثرة الأحزان في ألمِ[٥]
يا طالب الجود والمعروف مجتهداً ... أعمد ليحيى حليف الجود والكرم

قال: فأخذته وأحكمته، وقال لي: امض الساعة إلى باب يحيى بن خالد، فإنك تجد الناس عليه، وتجد الباب قد فتح ولم يجلس بعد، فاستأذن عليه قبل أن يصل إليه أحد، فإنه سينكر مجيئك ويقول لك: من أين أقبلت في هذا الوقت؟ فحدثه بقصدك

---

(١) الأصل: كلما، والمثبت من الأغاني.
(٢) الأصل: على علويه، والمثبت من الأغاني.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٢٠/٥.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٢٢/٥.
(٥) في الأغاني: لم أنم.

إياي وما ألقيت إليك من خبر الضيعة، وأعلمه أني صنعت هذا الصوت وأعجبني، ولم أرَ أحداً يستحقه إلا فلانة جاريته، وأني ألقيته عليك حتى أحكمته لتطرحه عليها، فسيدعو بها، ويأمر بالستارة فتنصب، ويقول لك: اطرحه عليها بحضرتي فأفعل، وأتي بما يكون بعدها من الخبر، قال: فجئت باب يحيى فوجدته كما وصف [٢٣٢] وسألني فأعلمته ما أحضرني به وامرني به، فأحضر الجارية، فألقيته عليها، ثم قال لي: تقيم عندنا يا أبا المهنا أو تنصرف، فقلت: أنصرف، فقال: يا غلام، احمل مع أبي المهنا عشرة آلاف درهم، واحمل إلى أبي إسحاق مئة ألف درهم ثمن هذه الضيعة، فحملت العشرة آلاف درهم معي، فأتيت منزلي، فقلت: أسر يومي هذا، وأسر من عندي، ومضى الرسول بالمال، وأقمت ليلتي فلما أصبحت غدوت عليه، فوجدته على مثل ما كان عليه، فترنمت وطربت، فلم يتلق ذلك بما يجب، فقلت: ما الخبر؟ ألم يأتك المال؟ قال: بلى، قال: فما خبرك أنت فأخبرته بما وهب لي، فقال: ارفع السجف، فرفعته فإذا عشر بدر، قلت: في أي شيء بقي عليك في أمر الضيعة؟ فقال: والله ما هو إلَّا أن دخلت منزلي حتى شححت عليها، وصارت مثل ما حويت قديماً، قلت: سبحان الله العظيم، فتصنع ماذا؟ [قال](١): قم حتى ألقنك صوتاً يفوق ذلك، فقمت فجلست بين يديه، فألقى عليَّ(٢): [الطويل]

ويفرح بالمولود من آل برمكٍ   بغاة الندى والسيف والرمحُ والنصل(٣)
وتنبسط الآمال فيه لفضله   ولا سيما إن كان من ولد الفضل

قال مخارق: فسمعت ما لم أسمع مثله قط، وصغر عندي الأول، فأحكمته، وقال: امض الساعة إلى الفضل بن يحيى، فإنك تجده لم يأذن لأحد بعد، وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم، فاستأذن عليه وحدثه بحديثنا الأول من أمس وأمس وما كان من أبيه إلينا وإليك، وأعْلِمْهُ أني صنعت هذا الصوت، وكان عندي أرفع منزلة من الصوت

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٢٢/٥.
(٣) في الأغاني: ذو النصل.

الأول الذي وضعته، وإني ألقيته عليك حتى أحكمته، ووجهت بك قاصداً لتلقيه على فلانة جاريته، فصرت إلى الفضل فوجدت الأمر على ما ذكر، فاستأذنتُ فوصلت إليه، فسألني عن الخبر، فأعلمته بخبري وما وصل إليَّ وإليه من المال، فقال: أخزى إبراهيم و ما أبخله على نفسه! ثم دعا خادماً وقال له: أضرب الستارة، فضربها، فقال: ألقه، فألقيته، فلما ألقيته، قال: أحسن والله أستاذك، وأحسنت أنت يا مخارق، ولم أبرح حتى أخذته الجارية وأحكمته [٢٣٣] فسر بذلك وقال: يا غلام، احمل مع أبي المهنا عشرين ألف درهم، واحمل إلى إبراهيم مئتي ألف درهم، فانصرفت إلى منزلي بالمال فنثرت منه على الجواري، وشربت وسررت أنا ومن عندي، فلما أصبحت بكرت إلى إبراهيم فوجدته على الحال التي كان عليها، فدخلت أترنم وأصفق، فقال لي: ادن، فقلت: ما بقي؟ فقال: اجلس وارفع سجف هذا الباب فإذا عشرون بدرة من تلك العشر، فقلت: ما تنظر الآن؟ فقال: والله ما هو إلا حصلت حتى جرى مجرى ما تقدم، فقلت: والله ما أظن أن أحداً نال في هذه الدولة ما نلته، فلم تبخل على نفسك بشيء تمنيته دهرك، وقد ملكك الله أضعافه؟ ثم قال: أجلس فخد هذا الصوت، فألقى عليَّ صوتاً أنساني الأولين[1]: [الكامل]

أفي كـــل يومٍ أنت صب وليلةٍ إلـــى أم بكرٍ لا تفيق فتقصرُ
أحب على الهجران أكناف بيتها فيـــالك من بيت يحب ويهجرُ
إلى جعفر سارت بنا كل جَسْرةٍ طواها سراها نحوه والتهجرُ[2]
إلـــى واســـع للمحدثين فناؤه تروح عطاياه عليهم وتبكرُ[3]

قال مخارق: فسمعت ما لم أسمع قط مثله حسناً، فردده علي حتى أخذته ثم قال لي: أمض إلى جعفر فافعل به كما فعلت بأخيه وأبيه، فمضيت ففعلت مثل ذلك، وخبرته بما كان منهما، وعرضت عليه الصوت، فسره وأمر خادماً فضرب الستارة، وأحضر

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٢٣/٥.
(٢) الجسرة: الناقة العظيمة.
(٣) في الإغاني: إلى واسع للمجتدين.

الجارية وقعد على كرسي، ثم قال: هات يا مخارق، فاندفعت وألقيت الصوت عليها حتى أخذته الجارية، فقال: أحسنت يا مخارق، وأحسن أستاذك، يا غلام، تحمل معه ثلاثين ألف درهم، وإلى الموصلي ثلاثمائة ألف درهم، فصرت إلى منزلي بالمال فأقمت ومن عندي مسرورين نشرب بقية يومنا ونضرب، ثم بكرت إلى إبراهيم فتلقاني قائماً وقال لي: أحسنت يا مخارق، فقلت: وما الخبر؟ قال: أجلس، فجلست، فقال لمن خلف الستارة. خذوا فيما أنتم فيه، ثم رفع السجف فإذا المال كاملاً، قلت: فما خبر الضيعة؟ فأدخل يده تحت مسورة هي متكأه، فقال: هذا صك [٢٣٤] الضيعة، سئل عن صاحبها فوجد ببغداد فاشتراها منه يحيى بن خالد، وكتب إليَّ: قد علمت أنه لا تسخو نفسك بشراء الضيعة بمال يحصل لك، ولو حيزت لك الدنيا كلها، وقد ابتعتها لك من مالي، ثم وجه إلي بصكها، وهذا المال كما ترى، ثم بكى وقال: يا مخارق، إذا عاشرت فعاشر مثل هؤلاء، ستمائة ألف درهم، وضيعة بمئة ألف درهم، وستون ألف درهم لك، حصلنا ذلك أجمع وأنا جالس في منزلي لم أبرح منه، متى يوجد مثل هؤلاء[١]؟

قال إسحاق: حضر أبي يوماً عند موسى الهادي، فقال له: يا إبراهيم، غنني جنساً من الغناء ألذه وأطيبه وأطرب عليه، ولك حكمك، قال: وكنت أراه لا يصغي إلى شيء من الأغاني إصغاءه إلى النسب والرقيق، فغنيته[٢]: [الطويل]

وإني لتعروني لذكراك نفضة ... كما انتفض العصفور بلله القطرُ

فضرب بيده إلى جيب دراعته فخرقها ذراعاً آخر، وقال: زدني، ويلك أحسنت والله ووجب حكمك، فغنيته[٣]: [الطويل]

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى ... وزرتك حتى قيل ليس له صبر

فرفع صوته وقال: أحسنت لله أبوك، هات ما تريد، قلت: يا سيدي، عين مروان

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٢١/٥-١٢٤.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٢٥/٥.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٢٥/٥.

بالمدينة، فدارت عيناه في رأسه وقال: يا بن اللخناء، أردت أن تشهرني بهذا المجلس، فيقول الناس: أطربه فحكمه، فتجعلني سمراً وحديثاً، يا إ براهيم الحراني، خذ بيد هذا الجاهل إذا قمت فأدخله بيت مال الخاصة، فإن أخذ كل ما فيه فخله وإياه، فدخلت فأخذت منه خمسين ألف دينار(١).

قال إسحاق: اشترى أبي لجعفر بن يحيى جارية مغنية بمال عظيم، فقال له جعفر: أي شيء تحسن هذه حتى بلغت هذا المال كله؟ قال: لو لم تحسن شيئاً إلا أنها تحكي قولي(٢): [الكامل]

لمن الدار ببرقعة الروحان(٣)

لكانت تساوي وزيادة، فضحك جعفر وقال: أفرطت(٤).

قال إسحاق: صنع أبي تسعمائة صوت، منها دينارية [٢٣٥] ومنها درهمية، ومنها فلسية، فأما ثلاثمائة، فإنه تقدم الناس جميعاً فيها، وأما ثلاثمائة فشاركوه وشاركهم(٥)، وأما ثلاثمائة الأُخر فلعب وطرب، وإسحاق بعد ذلك [اسقط](٦) ثلاثمائة الأخيرة، وكان بعد ذلك إذا سئل عن صنعته قال: ستمائة(٧) صوت(٨).

قال إسحاق: غنّي مخارق بين يدي الرشيد صوتاً فأخطأ في قسمته، فقال له: أعد، فأعاده وكان الخطا خفياً، فقلت للرشيد: سيدي قد أخطأ فيه، فقال لإبراهيم بن المهدي: ما تقول فيما ذكره إسحاق، قال: ليس الأمر كما قال، ولا هاهنا خطأ، فقلت

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٢٤- ١٢٥.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٢٦.
(٣) في الأغاني: لمن الديار ببرقة.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٢٥- ١٢٦.
(٥) الأصل: وشاركوه والمثبت من الأغاني.
(٦) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٧) الأصل: تسعمائة والمثبت من الأغاني.
(٨) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٢٦.

له: أترضى بأبي؟ فقال: أي والله، وكان أبي في بقية علةٍ، فأمر الرشيد بإحضاره فجيء به في محفةٍ، فقال لمخارق: أعد الصوت، فأعاده، فقال لـــه: ما عندك يا إبراهيم في هذا الصوت، قال: قد أخطأ فيه، فقال: هكذا قال ابنك إسحاق، وذكر أخي إبراهيم أنه صحيح، فنظر إلي وقال: هاتوا دواة، فأتي بها، فكتب شيئاً لم يقف عليه أحد، ثم قطعه ووضعه بين يدي الرشيد، وقال لي: أكتب بذكر الموضع الفاسد من قسمة هذا الصوت، فكتبته وألقيته، فقرأه وضحك، وقام فقرأه بين يدي الرشيد، فعجب ولم يكن أحد في المجلس إلا قرَّظ وأثنى ووصف، وخجل إبراهيم بن المهدي[١].

قال إسحاق: غنى أبي يوماً بحضرة الرشيد هذا البيت[٢]: [الطويل]

سَلِي هَلْ قَلانِي مِنْ عَشِيْرٍ صَحِبْتُهُ وَهَلْ ذَمَّ رَحْلِي فِي الرِّفَاقِ رَفِيْقُ

فطرب واستعاده وأمر له بألف دينار، فلما كان بعد سنين خطر ببالي ذلك الصوت وذكرت قصته، فغنيته إياه، فطرب وشرب ثم قال لي: يا إسحاق كأني في نفسك ذكر حديث أبيك، وأني أعطيته ألف دينار على هذا الصوت، فطمعت في الجائزة، فضحكت وقلت: والله سيدي ما أخطأت، فقال: أخذ أبوك ثمنه مرة فلا تطمع، فعجبت من قوله، ثم قلت: يا سيدي، قد أخذ أبي منك أكثر من مئتي ألف دينار، ما رأيتك ذكرت منها غير هذا الألف على بختي أنا، فقال: ويحك، أكثر من مئتي ألف؟ فقلت: أي والله، فوجم من ذلك وقال: أستغفر الله من ذلك، ويحك [٢٣٦] فما الذي خلف منها؟ قلت: خَلَّفَ عليَّ ديوناً فقضيتها، قال: ما أدري أينا أشد تضييعاً، والله المستعان[٣].

قال إسحاق، قال أبي: أتيت الفضل بن يحيى يوماً، فقلت له: يا أبا العباس، جُعلت فداك، هب لي دراهم، فإن الخليفة قد حبس يَدَهُ، فقال: ويحك يا [أبا][٤] إسحاق، ما عندي مال أرضاه لك، ثم قال: هاه! إلا أن هاهنا خصلة، أتانا رسول

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٢٩/٥.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٣٠/٥.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٢٩/٥-١٣٠.
(٤) ساقطة من الأصل، والإضافة من الأغاني.

صاحب اليمن، فقضينا حوائجه، ووجه إلينا بخمسين ألف دينار نشتري لنا بها ما نحب، فما فعلت ضياء جاريتك، قلت: عندي جعلت فداك، قال: فهو ذا، أقول لهم حتى يشتروها منك، فلا تنقصها من خمسين ألف دينار، فقبلت رأسه وانصرفت، فبكر عليَّ [رسول][1] صاحب اليمن، ومعه صديق لـه، فقال: جاريتك فلانة، فقلت: عندي، فقال: اعرضها علَّي، فعرضتها، فقال: بكم، قلت: بخمسين ألف دينار لا أنقص منها واحداً، وقد أعطاني بها الفضل بن يحيى أمس هذه العطية، فقال لي: له أريدها، فقلت: أنت أعلم إذا اشتريتها فصيرها لمن شئت، فقال لي: هل لك في ثلاثين ألف دينار مسلمة؟ وكان شراء الجارية عليَّ أربعمائة دينار، فلما وقع في أذني ثلاثين ألف دينار أُرْتِجِ عليَّ ولحقني زمع، وأشار عليَّ صديقي الذي معه بالبيع، وخفت والله أن يحدث بالجارية أو بي أو بالفضل [حدث][2] فسلمتها وأخذت المال، ثم بكرت إلى الفضل بن يحيى، فإذا هو جالس وحده، فلما نظر إليَّ ضحك، ثم قال لي: يا ضيق الحوصلة، أحرمت نفسك عشرين ألف دينار! فقلت له: جعلت فداك، دع ذا عنك، فوالله لقد دخلني شيء أعجز عن وصفه، وخفت أن تحدث بي حادثة أو بالجارية أو بك أو بالمشتري، فبادرت بقبول ثلاثين ألف دينار، فقال: لا ضير، يا غلام جيء بالجارية، فقال: خذها مباركاً لك فيها، فما أردنا إلا نفعك، لم نرد الجارية، فلما نهضت قال لي: مكانك، رسول صاحب أرمينية قد جاءنا فقضينا حوائجه ونفذنا كتبه، وذكرنا أنه قد جاءنا بثلاثين ألف دينار يشتري لنا ما نحب، فاعرض عليه جاريتك هذه ولا تنقصها من ثلاثين ألف دينار، فانصرفت [٢٣٧] فقلت: لست أنقصها من ثلاثين ألف دينار، فقال: معي عشرون ألف دينار مسلمة تأخذها بارك الله لك فيها، فدخلني والله مثل ما دخلني في المرة الأولى، وخفت مثل خوفي الأول، فسلمتها إليهم وأخذت المال، وبكرت على الفضل بن يحيى، فلما رآني ضحك وضرب برجله وقال: ويحك حرمت نفسك عشرة آلاف دينار، فقلت لـه: أصلحك الله، خفت والله مثل ما خفت في المرة الأولى، فقال

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٢) ساقطة من الأصل، والإضافة من الأغاني.

لي: لا ضير، يا غلام جاريته، فجيء بها، فقال: خذها ما أردناها ولا أردنا إلا نفعك، فلما ولت الجاريه صحت بها ارجعي، فرجعت، فقلت: أشهدك ــ جعلت فداك ــ أنها حرة لوجه الله، وأني قد تزوجتها على عشرة آلاف درهم، كسبت لي في يوم خمسين ألف دينار، فما جزاؤها إلا هذا، فقال: وفقت إن شاء الله[١].

قال: لما [صنع][٢] أبي لحنه[٣]: [الرمل]

لــيــتَ هِــنْــداً أنــجــزَتْــنَــا مَــا تَــعِــدْ

خاصمته وعبته في صنعته وقلت لــه: بإزائك من ينتقد أنفاسك ويعيب محاسنك وأنت لا تفكر تجيء إلى صوت قد عمل ابن سريج فيه لحناً فتعارضه بلحن لا يقاربه، والشعر أوسع من ذلك، فدع ما قد اعتورته صناعة القدماء وخذ في غيره، فغضب، وكنت لا أزال أفاخره بصنعتي وأجبب ما يعاب من صنعته، فإن قبل مني فذاك، وإن غضب داريته وترضيته، فقال: فقال لي: ما يعلم الله أدعك أو تفاخرني بخير صوت صنعته في طريقة هذا الصوت، فلما رأيت الجد منه اخترت لحني في[٤]: [مجزوء الخفيف]

قُــلْ لــمَــنْ صَــدَّ عَــاتِــبــاً وَنــأى عَــنْــكَ جَــانِــبَــا

وكان ما تجاريناه ونحن نتساير في الصحراء لنقطع فضل خمارنا، فقال: من تحب أن يحكم بيننا، فقلت: من ترى يحكم؟ قال: أول من يطلع علينا، أغنيه لحني وتغنيه لحنك، فطمعت فيه وقلت: نعم، وأقبل شيخ نبطيٌّ على حمار لــه، فأقبل عليه أبي وقال: إني وصاحبي هذا قد تراضينا بك في شيء، قال: وأي شيء هو؟ قال: زعم كل وأحد منا أنه أحسن غناء من صاحبه، فتسمع مني ومنه وتحكم بيننا، فقال: على

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٣١/٥- ١٣٢.
(٢) ساقطة من الأصل: والإضافة من الأغاني.
(٣) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٣٢٠.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٣٤/٥.

اسم الله، فبدأ أبي فغنى لحنه، وتبعته [٢٣٨] فغنيت لحني، فلما فرغت أقبل عليَّ فقال: قد حكمت عليك عافاك الله ومضى، فلطمني لطمةً مـــا مر بي مثلها، وسكتُ فما أعدت عليه حرفاً(١).

قال الرشيد يوماً لجعفر بن يحيى: قد طال أسماعنا هذه العصابة على اختلاط الأمر فيها، فهلم أقاسمك إياها فأخايرك، فاقتسمنا المغنين على أن جعلنا بإزاء كل رجلٍ نظيره، فكان ابن جامع في حيز الرشيد، وإبراهيم في حيز جعفر، وحضر الندماء لمحنة المغنين، وأمر الرشيد ابن جامع بالغناء، فغنى صوتاً أحسن فيه كل الإحسان، وأطرب الرشيد غاية الإطراب، فلما قطعة، قال الرشيد لإبراهيم: هات هذا الصوت فغنه، فقال: لا والله يا أمير المؤمنين لا أعرفه وظهر الانكسارُ فيه، فقال الرشيد لجعفر: هذا واحد، ثم قال لابن جامع: غنِّ يا إسماعيل فغني صوتاً ثانياً أحسن من الأول، فلما استوفاه قال الرشيد لإبراهيم: هاته يا إبراهيم، فقال: ولا والله لا أعرف هذا، فقال: هذا اثنان، يا إسماعيل، غن يا إسماعيل، ثالثاً يتقدم الصوتين، فغنى الثالث فلما أتى على آخره، قال: هاته يا إبراهيم، فقال: ولا والله ما أعرفه، فقال جعفر: اخزيتنا أخزاك الله، وأتمَّ ابن جامع يومه والرشيد مسرورو به، وأجازه وخلع عليه، ولم يزل إبراهيم منخجلاً حتى انصرف، قال: فمضى إلى منزله، فلم يستقر حتى بعث إلى محمد المعروف بالزف، وكان من المغنين المحسنين، وكان أسرع الناس أخذاً للصوت، وكان الرشيد وجد عليه في أمر فألزمه بيته وتناساه، فقال إبراهيم للزف: إني اخترتك على من هو أحب إليَّ منك لأمر لا يصلح له غيرك، فانظر كيف تكون، قال: أبلغ في ذلك محبتك إن شاء الله، فأدى إليه الخبر وقال: أريد أن تمضي من ساعتك إلى ابن جامع فتعلمه أنك صرت إليه مُهَنِّئاً بما تهيأ له عليَّ، وتثلبني وتشتمني، وتحتال في أن تسمع منه الأصوات وتاخذها، ولك كل ما تحبه من جهتي مع رضا الخليفة إن شاء الله، قال: فمضى من عنده فاستأذن على ابن جامع، فأذن له، فدخل وسلم عليه وقال: جئتك مهنئاً بما بلغني من خبرك، والحمد الله الذي كشف الفضل عن محللك في صناعتك، قال: وهل بلغك خبرنا؟ قال: هو أشهر

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٣٤/٥.

من أن يخفى [٢٣٩] على مثلي، قال: ويحك إنَّه يقصر عن العيان، قال: أيها الأستاذ سرني بأن أسمعه من فيك حتى أرويه عنك وأسقط الأسانيد، قال: أقم عندي حتى أفعل، فدعا ابن جامع بالطعام، فأكلنا وشربنا ثم بدأ وحدثه بالخبر، حتى انتهى إلى خبر الصوت الأول، فقال لـه الزف: وما هو أيها الأستاذ، فغناه ابن جامع، فجعل محمد يصفق ويشرب، وابن جامع مشتغل في شأنه، حتى أخذه منه، ثم سأله عن الصوت الثاني، فغناه إياه، وفعل مثل ما فعله في الأول، ثم كذلك في الصوت الثالث، فلما أخذ الأصوات وأحكمها، قال له: يا أستاذ، قد بلغت ما أحب، فأذن له بالانصراف، فانصرف محمد من وجهه إلى إبراهيم، فلما طلع من باب داره قال: ما وراءك؟ قال: ما تحب، قال: ادْعُ لي بعود، فدعا به فضرب، وغناه الأصوات، فقال إبراهيم: هي وأبيك بصورتها وأعيانها، أردُدْها عليَّ الآن، فلم يزل يرددها حتى صَحَّتْ لإبراهيم، وانصرف محمد إلى منزله، وغدا إبراهيم إلى الرشيد، فلما دعا بالمغنين دخل فيهم، فلما بصر به قال: أو قد حضرت؟ أما كان ينبغي أن تجلس في منزلك شهراً بسبب ما لقيت من ابن جامع، قال: ولم ذلك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك، والله لئن أذنت لي أن أقول لأقولن، قال: وما عساك أن تقول؟ قل، قال: إنه ليس لي ولا لغيري أن يراك متعصباً لحيز فيغاضبك أو يغالبك، وإلا فما في الأرض صوت إلا وأنا أعرفه، فقال لـه: دع ذا عنك، قد أقررت أمس بالجهالة بما سمعت من صاحبنا، قال: فإن كنت أمسكت عنه بالأمس على معرفة كما تقول، فهاته اليوم، فليست هاهنا عصبية ولا تمييز، فاندفع يغني الأصوات كلها، وابن جامع مصغ مستمع لـه، حتى أتى على آخرها، فاندفع ابن جامع يحلف بالإيمان المحرجة أنه ما عرفها قط ولا سمعها ولا هي إلا من صنعته لم تخرج إلى أحد غيره، فقال له: ويحك فما أحدثت بعدي؟ قال: ما أحدثت حدثاً، قال: يا إبراهيم بحياتي اصدقني، قال: وحياتك لاصدقنك، رميته بحجره، بعثت[1] بمحمدِ الزَّفِّ وضمنت لـه ضمانات، أولها رضاك عنه، فمضى فاحتال عليه حتى أخذها عنه ونقلها إليَّ، وقد سقط الآن عنى اللوم بإقراره بأنه ليس عليَّ أن أعرف ما صنعه، هذا ولم يخرجه [٢٤٠]

(١) الأصل: بعث والمثبت من الأغاني.

إلى الناس، وهذا باب من الغيب، وإنما يلزمني أن يعرف هو شيئاً من غناء الأوائل وأجهله أنا، وإلّا فلو لزمني أن أروى صنعته للزمه أن يروى صنعتي وللزم كل وأحد منا لسائر طبقته، ونظرائه مثل ذلك، فمن قصر عنه كان مذموماً ساقطاً، فقال له الرشيد: صدقت يا إبراهيم ونضحت عن نفسك وقمت بحجتك، ثم أقبل على ابن جامع، فقال له: يا إسماعيل أُتيتَ، أبطل عليك الموصلي ما فعلته به أمس، وانتصف منك، ثم دعا بالزّفّ ورضي عنه[1].

قال إسحاق: وأصوات ابن جامع هذه، الأول منها قول قيس بن[2] ذريح[3]: [الوافر]

بكيتُ نعم بكيت وكلّ إلفٍ ... إذا بانت قرينته بكاها[4]
وما فارقت لبنى عن تقالٍ ... ولكن شقوة بلغت مداها

قال: والثاني منها قول حماد الراوية[5]: [المتقارب]

عفت دار سلمى بمفضى الرغام ... رياح توارثها كل عام[6]
خلاف الحلول بتلك الطلول ... وسحب الذيول بذاك المقام

قال: والثالث منها قول [ابن][7] الأحنف[8]: [الكامل]

نَزَف البكاءُ دموعَ عينك فاستَعِرْ ... عيناً لغيرك دمعُها مدرارُ
من ذا يُعيرك عينه تبكي بها ... أرأيت عيناً للبكاء تُعارُ

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٣٨-١٤٠.
(٢) الأصل: قيس بن أبي ذريح، والمثبت من الأغاني.
(٣) الأصفهاني: الأغاني: ٥/١٤٠.
(٤) الأصل: باتت قرينة، والمثبت من الأغاني.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٤٠.
(٦) الأصل: سلمى بمقتضى، والمثبت من الأغاني.
(٧) ساقطة من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٨) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٤١.

قال: لما أنشد بشار قول العباس بن الأحنف:

نـــزف الـــبـــكـــاء دمـــوع عـــيـــنـــك

البيتين، قال: لحق هذا الفتى بالمحسنين، وما زال يدخل نفسه معنا ونحن نخرجه حتى قال هذا الشعر.

قال: ولما أنشد الرشيد قول العباس بن الاحنف:

مـــن ذا يـــعـــيـــرك عـــيـــنـــه تـــبـــكـــي بـــهـــا

قال: من يعير عينيه من لا حَاطَهُ الله ولا كَلأهُ[1]

قال [الرشيد][2] لإبراهيم بن المهدي، وإبراهيم ابن الموصلي، وابن جامع، وابن أبي الكَنَّات: باكروني غداً، وليكن كل واحد منكم قد قال [٢٤١] شعراً، إن كان يقدر أن يقوله، ويغني فيه لحناً، وإن لم يكن شاعراً، غنى في شعره غيره. قال إبراهيم بن المهدي: قمت في السحر واجتهدت أن أقدر على شيء أصنعه فلم يتفق لي، فلما خفت طلوع الفجر، دعوت غلماني وقلت لهم: أريد المضي إلى موضع لا يشعر بي أحد حتى أصير إليه، وكانوا في زنيديات لي يبيتون على باب داري، فقمت فركبت في إحداها، وقصدت دار إبراهيم الموصلي، وكان قد حدثني أنه إذا أراد الصنعة لم ينم حتى يدبر ما يحتاج إليه، فإذا قام إلى حاجته في السحر، اعتمد على خشبة له في المستراح، فلا يزال يقرع[3] عليها حتى يفرغ من الصوت ويرسخ في قلبه، فجئت حتى وقفت تحت مستراحه، فإذا هو يردد هذا الصوت[4]: [الطويل]

إذا سكبت في الكأس قبل مزاجها ... ترى لونها في جلدة الكأس مذهبا[5]

وإن مزجت راعت بلون تخاله ... إذا ضمنته الكأس بالكأس كوكبا

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٤٠-١٤١.

(٢) ساقطة من الأصل، والإضافة من الأغاني.

(٣) الأصل: يقرح، والمثبت من الأغاني.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٤٤.

(٥) الأصل: إذا سكبت في كان مزاجها، والمثبت من الأغاني.

أبـوهـا نـجـاء الـمـزن والـكـرم أمـهـا ... ولـم أر زوجـاً مـنـهـا أشـهـى وأطـيـبـا
فجاءتك صفراء أشبهت غير جنسها ... وما أشبهت في اللون أما ولا أبا

فما زلت واقفاً أسمع الصوت حتى أخذته، ثم غدونا إلى الرشيد فلما جلسنا إلى الشرب جاء الخادم إليَّ، فقال: يقول لك أمير المؤمنين، يابن أم، غنني، فاندفعت فغنيته هذا الصوت، والموصلي في الموت، حتى فرغت منه، وشرب عليه وأمر لي بثلاثمائة ألف درهم، فوثب الموصلي وحلف بالطلاق وبحياة الرشيد ان الشعر لـــه، قاله البارحة وغنى فيه، ما سبقه إليه أحد، فقال إبراهيم: يا سيدي، فمن أين هو لي لولا كذبه وبهته، وإبراهيم يضطرب ويصيح، فلما قضيت أرباً من العبث به، قلت للرشيد: الحق أحق ما استعمل، وصدقته، فقال الرشيد: أما أخي فقد أخذ المال ولا سبيل إلى رده، وقد أمرت لك بمئة ألف درهم، عوضاً عما جرى عليك، ولو ابتدأت بالصوت لكان حظك، فأمر بها فحملت إليه[1].

وذكر أن الرشيد هبَّ من نومه في ليلة من الليالي، فدعا بحمار كان يركبه في القصر أسود قريب من الأرض، فركبه وخرج في دُرَّاعة وشيٍ، ملثماً بعمامة وشيٍ، ملتحفاً بإزارِ وشيٍ، وبين يديه أربعمائه خادم بيضاً سوى الفراشين [٢٤٢] وكان مسرور الفرغاني جريئاً عليه لمكانته عنده، فلما خرج قال: إلى أين تريد يا أمير المؤمنين في هذه الساعة؟ قال: أردت بيت الموصلي، قال مسرور: فمضى ونحن معه وبين يديه، حتى أَتَى إلى منزل إبراهيم، فخرج وتلقاه، وقبل حافر حماره، وقال له: يا أمير المؤمنين، أفي هذه الساعة تظهر، قال: نعم، شوقك بي، ثم نزل فجلس في طرف الإيوان وأجلس إبراهيم، فقال: يا سيدي، أتنشط لشيء تأكل؟ فقال: نعم، خاميز[2] ظبي، فأتي به كأنه كان معداً لـــه، فأصاب منه شيئاً يسيراً، ثم دعا بشراب حمل معه، فقال الموصلي: يا سدي، أغنيك أم تغنيك إماؤك؟ قال: بل الجواري. فخرج جواري إبراهيم، فأخذن صدر الإيوان وجانبيه، فقال: أيضربن كلهن أم واحدة واحدة؟ فقال: يضربن اثنتان اثنتان، وتغني واحدة

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٤٤-١٤٥.

(٢) ت: حامز والمثبت من الأغاني.

واحدة ففعلن ذلك حتى مَرَّ صدرُ الإيوان وأحد جانبيه، والرشيد يسمع ولا ينشط لشيء من غنائهن، إلى أن غنت صبية من حاشية الصفة[1]: [البسيط]

يا مُورِيَ الزَّند قد أعيتْ قوادحُه ... اقبس إذا شئت من قلبي بمقباسِ
ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم ... إذا نظرتُ فلم انظرك في الناس[2]

قال: فطرب لغنائها، واستعاد الصوت مراراً، وشرب أرطالاً، ثم سأل الجارية عن صانعه، فأمسكت، فاستدناها فتقاعست، فأمر بها فأقيمت، حتى أقيمت بين يديه، فأخبرته بشيء أسرته إليه، ودعا بحماره فركبه وانصرف، ثم التفت إلى إبراهيم فقال: ما ضرك يا إبراهيم ألا تكون خليفةً، فكادت نفسه تخرج، حتى دعا به بعد ذلك وأدناه، وكان الذي أخبرته به الجارية أن الصنعة في الصوت لأخته علية وكانت لها، وجهت بها [إلى][3] إبراهيم تطارحه[4].

قال لي إبراهيم: قال لي الرشيد يوماً: يا إبراهيم، بَكِّرْ غداً حتى نصطبح، فقلت: أنا والصبح كفرسي رهان، فبكرت فإذا به خالٍ وبين يديه جارية كأنها خوط بانٍ أو جدل عنان، حلوة المنظر، دمثة الشمائل في يدها العود، فقال لها: غني، فغنت في شعر أبي نواس، وهو هذا[5]: [الطويل]

توهمه قلبي فأصبح خده ... وفيه مكان الوهم من ناظري أثْرُ
ومر بفكري خاطراً فجرحته ... ولم أر جسماً قط يجرحه الفكرُ
[٢٤٣] وصافحه قلبي فآلم كفه ... فمن غمز قلبي في أنامله عقرُ

قال إبراهيم: فذهبت والله بعقلي، حتى كدت أفتضح، فقلت: من هذه يا أمير

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٤٦/٥.
(٢) في الأغاني: ابصرك في الناس.
(٣) ساقطة من الأصل والإضافة من الأغاني.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٤٥/٥- ١٤٦.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٥٢/٥.

المؤمنين؟ قال: هذه التي يقول فيها الشاعر[1]: [الوافر]

لَهَا قَلْبي الغَدَاة وقَلْبُهَا لِي ... فَنَحْنُ كَذَاكَ في جَسَدَيْنِ رُوْحُ

قال: ثم شرب أرطالاً وسقاها، وقال: غن يا إبراهيم، فغنيت حسب ما في قلبي غير متحفظ[2]: [الطويل]

تَشَرَّبَ قلبي حبَّها ومشى بها ... تمشِّي حُمَيَّا الكأس في كف شاربِ[3]

ودبَّ هواها في عظامي فشقَّها ... كما دبَّ في الملسوع سمُّ العقاربِ

قال: ففطن بتعريضي، وكانت جهالة مني، وأمرني بالانصراف، ولم يدعُ بي شهراً ولا حضرت مجلسه، فلما كان بعد شهر دس إليَّ خادماً معه رقعة فيها مكتوب[4]: [الخفيف]

قد تخوفت أن أموت من الوجـ ... ـد ولم يدر من هويت بمابي

يا كتابي فأقرأ السلام على من ... لا أسمي وقل له يا كتابي

إن كفاً إليك قد كتبتني ... صبت فؤاده في عذابي[5]

فأتاني الخادم بالرقعة، فقلت: ما هذا؟ قال: رقعة فلانة التي غنتك بين يدي أمير المؤمنين، فأحسست بالقصة، فشتمت الخادم، ووثبت إليه، ضربته ضرباً شفيت به غيظي، وركبت إلى الرشيد من فوري، فأخبرته بالقصة، وأعطيته الرقعة، فضحك حتى كاد يستلقي، ثم قال: على عمدٍ فعلت ذلك، أردت لأمتحن مذهبك وطريقتك، ثم دعا بالخادم، فلما رآني قال: قطع الله يديك ورجليك، ويلك قتلتني، فقلت: القتل كان بعض حقك لما وردت به عليَّ، ولكنِّي رحمتك فأبقيت عليك، وأخبرت أمير المؤمنين ليأتي

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٥٢.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٥٣.

(٣) في الأغاني: ومشى به.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٥٣.

(٥) في الأغاني: في شقاء مواصلٍ وعذاب.

عقوبتك بما تستحقه، فأمر لي الرشيد بصلة سنية، والله أعلم ما فعلت الذي فعلته عفافاً، ولكني خفت[1].

قال إسحاق: سمعت الرشيد وقد سأل أبي: كيف يصنع إذا أراد أن يصوغ الألحان، قال: يا أمير المؤمنين، أخرجُ [٢٤٤] الهم من فكري وأمثل الطربَ بين عيني، فتسرع لي مسالك الألحان التي أريد فأسلكها بدليل الإيقاع، فأرجع مصيباً ظافراً بما أريد، فقال: يحق لك يا إبراهيم أن تصيب وتظفر، وإن حسن وصفك مشاكل لحسن صنعتك وغنائك[2].

قال ثمامة بن أشرس: مررت بإبراهيم الموصلي ويزيد حوراء وهما مصطبحان، وقد أخذا بينهما صوتاً يغنيانه، هذا بيتاً وهذا بيتاً[3]: [الطويل]

أيا جبلي نعمان بالله خليا سبيل الصبا يخلص إلي نسيمها
فإن الصبا ريح إذا ما تنسَّمت على نفس مكروب تجلت همومها

قال ثمامة: فوالله ما خلتُ أن شيئاً بقيَ من لذات الدنيا بعد ما كنا فيه[4].

قال إبراهيم الموصلي: قال لي جعفر بن يحيى يوماً: صر إليَّ حتى أهب لك شيئاً حسناً، فصرت إليه فقال لي [أيما][5] أحب إليك، أهب لك الشيء الحسن الذي وعدتك به، أو أرشدك إلى شيء تكسب به ألف ألف درهم، فقلت: بل يرشدني الوزير أعزه الله إلى هذا الوجه، فإنه يقوم مقام إعطائه إياي هذا المال، فقال: إن أمير المؤمنين يحفظ شعر ذي الرمة حفظ الصبا، ويعجبه ويؤثره، إذا سمع فيه غناء أطربه أكثر مما يطربه غيره مما لا يحفظ شعره، فإذا غنيته، وأطربته وأمر لك بجائزة، فقم على رجلك وقبل الأرضَ وقل لي: لي حاجة غير هذه الجائزة، أريد أن أسالها أمير المؤمنين، وهي

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٥٢-١٥٣.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٣٥.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٥٤.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٥٤.
(٥) ساقطة من الأصل، والإضافة من الأغاني.

حاجة تقوم عندي مقام كل فائدة ولا تضره ولا ترزؤه، فإنه سيقول لك: أي شيء حاجتك؟ فقل: قطيعة تقطعنيها سهلة عليه، ولا قيمة لها ولا منفعة لأحد فيها، فإذا أجابك إلى ذلك، فقل له: تقطعني شعر ذي الرمة، أغني فيه ما أختاره، وتحظر على المغنين جميعاً أن لا يداخلوني فيه، فإني أحب شعره وأستحسنه فلا أحب أن ينغصه عليَّ أحد منهم، وتوثق منه في ذلك، فقبلت هذا القول منه، وما انصرفت إلَّا بجائزة من عنده مع ذلك، وتوخيت وقتاً للكلام حتى وجدته، فقمت وسألت كما قال لي، فرأيت السرور في وجه، وقال: [٢٤٥] ما سألت شططاً، قد أعطيتك ما سألت، فجعلوا يتضاحكون من قولي، ويقولون: لقد أستضخمت القطيعة وهو ساكت، فقلت: يا أمير المؤمنين أتأذن لي في التوثق[١]؟ قال: توثق[٢] كيف شئت، فقلت: بالله وبحق رسوله وبتربة أمير المؤمنين المهدي، إلا جعلتني في ثقة من ذلك، بأن تحلف لي بأن لا تعطي أحداً من المغنين جائزة على شيء يغنيه في شعر ذي الرمة، فإن ذلك وثيقتي، فحلف مجتهداً لــه لئن غَنَّاه أحد منهم في شعر ذي الرمة لا أثابه ولا أبره ولا سمع غناءه، فشكرت فعله وقبلت الأرض بين يديه، فانصرفنا فصنعت مئة صوت وزيادة عليها في شعر ذي الرمة، وكان إذا سمع منها شيئا طرب، وزاد في الطرب، ووصلني وأَجْزَلَ، ولم ينتفع به أحد منهم غيري، فأخذت والله مئة ألف ألف درهم، وألف ألف درهم[٣].

قال: اجتمع إبراهيم الموصلي وزلزل وبرصوما بين يدي الرشيد، فضرب زَلْزلُ وزمر برصوما وغنى إبراهيم[٤]: [الوافر]

صَحَا قَلْبي وَرَاعَ [إِلَيَّ] عَقْلي ... وأَقْصَرَ بَاطِلي ونَسَيْتُ جَهْلي[٥]
رأيتُ الغَانِيَاتِ وكُنَّ صُوْراً ... إِلَيَّ صَرَمْنَني وقَطَعْنَ حَبْلِي

(١) الأصل: التوقع، والمثبت من الأغاني.
(٢) الأصل: توقع، والمثبت من الأغاني.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٥٨/٥-١٥٩.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٦٠/٥.
(٥) ما بين الحاصرتين ساقطة من الأصل، والإضافة من الأغاني.

فطرب هارون حتى وثب على رجليه وصاح: يا آدم، لو رأيت من يحضرني من ولوك اليوم لسرك! ثم جلس وقال: أستغفر الله(١).

قال علي بن عبد الكريم: زار ابن جامع إبراهيم الموصلي، فأخرج إليه ثلاثين جارية، فضربن جميعاً طريقةً واحدة، ثم غنَّين فقال ابن جامع: في الأوتار وتر غير مستوٍ، فقال إبراهيم: يا فلانه، شدي مثناك، فشدته، فعجبت أولاً من فطنته وابن جامع للوتر بعينه(٢).

قال إبراهيم الموصلي: قال لي الرشيد يوماً: يا إبراهيم إني قد جعلت غدا للحُرَمِ، وجعلت ليلته للشرب مع الرجال، وأنا مقتصر من المغنين عليك، فلا تشغل غداً بشيء، ولا تشرب نبيذاً، وكن بحضرتي وقت العشاء الآخرة، فقلت: السمع والطاعة لأمير المؤمنين، فقال: [٢٤٦] وحق أبي لئن تأخرت أو اعتللت بشيء لأضربن عنقك، أفهمت؟ قلت: نعم، وخرجت، فما جاءني أحد من أخواني إلا احتجبت عنه، ولا قرأت رقعة لأحد حتى صليت المغرب وركبت قاصداً إليه، فلما قربت من داره مررت بفناء قصر، وإذا زنبيل كبير مستوثق منه بحبال وأربع عرى أدم، وقد دلي من القصر، وجارية تنتظر إنساناً قد وعد ليجلس فيه، فنازعتني نفسي، إلى الجلوس فيه، ثم قلت: هذا خطأ، ولعله يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاك، ولم أزل أنازع نفسي وتنازعني، حتى غلبتني، فنزلت وجلست فيه، ومُدَّ الزنبيل حتى صار في أعلى القصر، ثم خرجت فنزلت، فإذا جوار كأنهن المها جلوس، فضحكن وطربن، وقلن: قد جاء والله، فلما رأينني من قريب تبادرن عني وقلن: يا عدو الله ما أدخلك إلينا؟ فقلت: يا عدوات أنفسهن من(٣) الذي أردتن إدخاله، ولِمَ صار إولى بها مني؟ فلم يزل ذلك دأبنا، وهن يضحكن وأضحك معهن، ثم قالت إحداهن: أما من أردنا فقد فات، وما هذا إلا ظريف، فهلمن نعاشره عشرة جميلة، فأُخرج إليَّ طعام ودعيت إلى أكله، فلم يكن فيّ

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٦٠/٥.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٦١/٥.

(٣) الأصل: ما، والمثبت من الأغاني.

فضل إلا أنني كرهت أن أنسب إلى سوء العشرة، فأصبت منه إصابة معذر، ثم جيء بالنبيذ فجلسنا نشرب، فأخرجن إليَّ ثلاث جوارٍ لهن فغنين غناء مليحاً، وغنت إحداهن صوتاً لمعبد، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر: أحسن إبراهيم هذا له، فقلت: كذبت ليس هذا له، فقالت: يا فاسق، ما يدريك الغناء ما هو؟ ثم غنت الأخرى صوتاً للغريض، فقالت: اللَّهُمَّ أحسن إبراهيم هذا لــه أيضاً، فقلت: كذبت يا خبيثه، هذا للغريض، فقالت: اللَّهُمَّ أخْزِه، ويلك ما يدريك؟ ثم غنت الأخــرى صوتاً لي فقالت تلك: أحسن ابن سريج [هذا][1] له، قلت: كذبت هذا لإبراهيم، وأنت تنسبين غناء الناس إليه، وغناءه إليهم، قالت: ويلك وما يدريك؟ فقلت: أنا إبراهيم، فتباشرن بذلك جميعاً وظهرن كلهن لي وقلن: كتمتنا نفسك وقد سررنا، فقلت: أنا الآن استودعكم الله، فقلن: ما السبب؟ فأخبرتهن بقصتي مع الرشيد، فضحكن وقلن: الآن طاب حبسك علينا، وعلينا إن اخرجت أسبوعاً، فقلت: هو والله القتل، فقلن: إلى لعنة الله، فأقمت عندهن أسبوعاً لا أزول، فلما كان بعد أسبوع، ودعنني وقلن: إن سلمك [٢٤٧] الله، فأنت بعد ثلاثة أيام عندنا، قلت: نعم فأجلسنني في الزنبيل وسرحت، فمضيت لوجهي حتى أتيت دار الرشيد، فإذا النداء قد أُشِيْعَ ببغداد في طلبي، وأن من أحضرني فقد سوغ ملكي وأقطع مالي، فاستأذنت فبادر الخادم حتى أدخلني إلى الرشيد، فلما رآني شتمني وقال: السيف والنطع، إيه يا إبراهيم، تهاونت بأمري وتشاغلت بالعوام عما أمرتك به، وجلست مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدت علي لذتي، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا بين يديك، وما أمرت غير فائت، ولي حديث عجيب ما سُمع مثله فقط، وهو الذي قطعني عنك ضرورة لا اختياراً، فاسمعه فإن كان عذراً فاقبله، وإلا فأنت أعلم، قال: هاته فليس ينجيك، فحدثته فوجم ساعةً ثم قال: إن هذا لعجب، فتحضرني معك هذا الموضع؟ قلت: نعم، وأجلسك معهن إن شئت قبلي حتى تحضر عندهن، وإن شئت على موعد، فقال: بل على موعد، قلت: أفعل، قال: انظر، قلت: ذاك حاصل لك متى شئت، فعدل عن رأيه في، وأجْلَسَنِي وشرب وطرب، فلما أصبحنا أمرني بالانصراف، وأن أجيئه من

---

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من الأغاني.

عندهن، فمضيت إليهن في وقت الموعد، فلما وافيت الموضع، إذا الزنبيل معلق، فجلست فيه، ومده الجواري وصعدت، فلما رأينني تباشرن بي، وحمدن الله على سلامتي، وأقمت ليلتي، فلما أردت الانصراف قلت لهن: إن لي أخاً هو عديل نفسي عندي، وقد أحب معاشرتكن ووعدته بذلك، فقلن: إن كنت ترضاه فمرحباً، فواعدتهن ليلة غد وانصرفت، وأتيت الرشيد فأخبرته، فلما كان الوقت خرج معي متخفياً حتى أتينا الموضع، فصعدت وصعد بعدي، ونزلنا جميعاً، وقد كان الله وفقني بأن قلت لهن[1]: إذا جاء صديقي فاستترن عني وعنه، ولا يسمع لكن نطقه وليكن ما تخترنه من الغناء أو تقلنه من قول مراسلةً، فلم يتعدين ذلك، وأقمن على أتم ستر وخفر، وشربنا شرباً كثيراً، وقد كان أمرني أن لا أُخَاطَبهُ بإمرة أمير المؤمنين، فلما أخذ مني النبيذ، قلت سهواً يا أمير المؤمنين، فتبادرن من وراء الستار حتى غابت عنا حركاتهن، فقال لي: إبراهيم قد أفلت من أمرٍ عظيم، والله لو برزت لك واحدة منهن لضربت رقبتك، قُمْ بنا، فانصرفنا، فإذا هُنَّ له، وقد [٢٤٨] كان غضب عليهن فحبسهن في ذلك القصر، ثم ردد بخدم فردهن إلى قصره، ووهب لي مئة ألف درهم، وكانت الهدايا والألطاف بعد ذلك تأتيني منهن[2].

قال مخارق: كنا عند الرشيد بعض أيامنا، فغناه ابن جامع، ونحن يومئذٍ بالرقة[3]: [الخفيف]

هاج شوقاً فراقك الأحبابا ... فتناسيت أو نسيت الربابا[4]
حين صاح الغراب بالبين منهم ... فتصاممت أن سمعت الغرابا
لو علمنا أن الفراق وشيك ... ما انتهينا حتى نزور القبابا
أو علمنا حين استقلت نواهم ... ما أقمنا حتى نزم الركابا

---

(١) الأصل: له، والمثبت من الأغاني.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٦٢-١٦٤.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٧٥.
(٤) الأصل: إن نسيت، والمثبت من الأغاني.

قال: فاستحسنه الرشيد وطرب عليه وأعجبه واستعاده مراراً، وشرب عليه أرطالاً حتى سكر، وما سمع شيئاً غيره ولا أعجبه، ولا أقبل على أحدٍ، وأمر لابن جامع بخمسة آلاف دينار، فلما انصرفنا قال لي إبراهيم، لا ترم منزلك حتى أصير إليك، فصرت إلى منزلي، فلم أغير ثيابي حتى أعلمني غلامي بموافاته، فلقيته في دهليزي، فدخل فجلس وأجلسني بين يديه، ثم قال لي: يا مخارق، أنت نسيلة مني، إحساني إليك، وقبحي عليك، ومتى تركنا ابن جامع على ما ترى غلبنا على الرشيد، وقد صنعتُ صوتاً في طريقة صوته الذي غنَّاه، أحسن صنعةً منه وأشجى، وإنما يغلبني[1] عند هذا الرجل بصوته، وإلا قطعن[2] على صوتك، وإذا أطربته وغلبت عليه بما يأخذه مني، قام ذلك مقام الظفر، وسيصبح أمير المؤمنين، ويدخل الحمام غداً، ويحضر فيدعو بالطعام ويدعو بنا، ويأمر ابن جامع فيرد الصوت الذي غناه، ويشرب عليه رطلاً، ويأمر له بجائزة، فإذا غنى فلا تنتظره أكثر من أن يرد ردته حتى تغني ما أُعلِّمُكَ السَّاعةَ، فإنه يقبل عليك ويصلك، ولست أبالي أن لا يصلني بعد أن يكون إقباله عليك، فقلت: السمع والطاعة، فألقى عليَّ لحنه في أبيات لابن هرمة، وهي[3]: [المنسرح]

يا دار سعدى بالجزع من ملل ... حييت من دمنة ومن طلل

إني إذا ما البخيل أَمَّنها ... باتت ضموزاً مني على وجل

[٢٤٩] لا أمتع العوذ بالفصال ولا ... أبتاع إلا قريبة الأجل

ورده حتى أخذته وانصرف، ثم بكر عليَّ فاستعاد مني حتى رضيته حتى ركبنا أدرسه حتى صار إلى الرشيد، فلما دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئاً شيئاً، وكان إبراهيم أعلم الناس به، ثم أمر ابن جامع فرد الصوت ودعا برطلٍ فشربه، فلما استوفاه، واستوفى ابن جامع صوته، لم أدعه يتنفس حتى اندفعت فغنيت صوت إبراهيم، فلم يزل يصغي إليه، وهو باهت، حتى استوفتيه، فشرب وقال: أحسنت لمن هذا

---

(١) الأصل: نغلبه والمثبت من الأغاني.

(٢) في الأغاني: ولا مطعن.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٧١/٥.

الصوت؟ قلت: لإبراهيم، فلم يزل يستدنيني حتى صرت قدام سريره، وجعل يستعيد الصوت وأعيده حتى شرب أرطالاً، وأمر لإبراهيم بجائزة سنية، وأمر لي بمثلها، وجعل ابن جامع [يشغب ويقول][1] يجيء بالغناء فَيَدُ سُةُ في أَسْتَاهِ الصبيان، إن كان محسناً فليغنه هو، والرشيد يقول له: دع ذا عنك، قد والله استقاد منك وزاد[2].

قال يحيى بن عروة بن أذينة: خرجت في حاجةٍ لي، فلما كنت بالسيالة، وقفت على منزل إبراهيم بن هرمة فصحت، يا أبا إسحاق، فأجابتني ابنته: من هذا؟ فقلت: أعلمي أبا إسحاق، قالت: خرج آنفاً قال: فقلت: هل من قرى، فإني مقو من الزاد، قالت: لا والله ما صادفته حاضراً، فقلت: فأين قول أبيك[3]: [المنسرح]

لا أُمَتعِ العُوذَ بالفِصَالِ ولا ... أَبْتَاعُ إلا قَرِيْبَةَ الأجَلِ

قال: فذاك والله أفناها[4].

قال إسحاق: لما دخلت سنة ثمانٍ وثمانين ومئة، اشتد أمر القولنج على أبي ولزمه، وكان يعتاده في الأحيان، فقعد عن الخدمة للخليفة، وعن نوبته في ذلك، وقال في ذلك[5]: [مجزوء الرمل]

مَلَّ واللَّه طَبِيْبِي ... عن مُقَاسَاةِ الذي بِيْ
سَوْفَ أُنْعَى عَنْ قَرِيْبِ ... لِعَدُوٌ وحَبَيْبِ [٢٥٠]

قال: وركب الرشيد حماراً ودخل يعوده، فوجده وهو جالس على الأبزن، فقال له: كيف أنت يا إبراهيم، فقال له: أنا والله يا سيدي كما قال الشاعر[6]: [الوافر]

سَقِيْمٌ مَلَّ مِنْهُ أَقْرَبُوه ... وأَسْلَمَهُ المُداوي والحَمِيْمُ

---

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من الأغاني.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٧٥-١٧٦.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٧٢.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٧٢.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٦٧.
(٦) الأصفهاني، الأغاني: ٥/١٦٨.

فقال الرشيد: إن لله، وخرج، فما بعد حتى سمع الواعِيَةَ عليه، قال عمر بن شبة: مات إبراهيم الموصلي في سنة ثمانٍ وثمانين ومئة، ومات في ذلك اليوم الكسائي وابن الأحنف، فرفع ذلك إلى الرشيد، فأمر المأمون أن يصلي عليهم، فخرج فصفُّوا بين يديه، فقال: من هذا الأول: قيل: إبراهيم الموصلي، قال: أخروه وقدموا العباس بن الأحنف فقدم فصلّى عليهم وانصرف، ودنا منه هاشم بن عبد الله الخزاعي، فقال: يا سيدي كيف آثرت العباس بالتقدمة على من حضر، قال لقوله[1]: [الكامل]

وسَعَى بِهَا واشٍ فقالوا إنها ... لَهِي التي تَشْقَى بِهَا وتكَابِدُ

ثم قال: أتحفظها؟ قلت: نعم، قال: أنشدني باقيها، فأنشدته:

لما رأيتُ الليلَ سَدَّ طريقه ... عني وعذَّبني الظَّلامُ الرَّاكد
والنَجْمُ في كبدِ السَّماءِ كأنه ... أعمى تحيَر ما لديه قائد
ناديت من طرد الرقاد بصده ... عما أعالج وهو خلو هاجد
يا ذا الذي صدع الفؤاد بصده ... أنت البلاء طريفه والتالد
ألقيت بين جفون عيني فرقةً ... فإلى متى أنا ساهر يا راقد

فقال المأمون: أليس من قال هذا الشعر حقيقاً بالتقدمة؟ فقلت: بلى يا سيدي[2].

قال إسحاق: دخلت يوماً إلى الرشيد بعقب وفاة والدي، وذلك بعد فوات[3] شهرين، فلما جلست، رأيت موضعه الذي يجلس فيه خالياً، فدمعت عيني فكفكفتها وتصبرت، فلمحني الرشيد، فدعاني إليه وأدناني منه، وقبلت يده ورجله، والأرض بين يديه، فاستعبر وكان رقيقاً، فوثبت قائماً، ثم قلت[4]: [الخفيف]

[١٥١] في بَقَاء الخليفة الميمونِ ... خَلفٌ مِنْ مُصِيْبَة المحزونِ

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٦٨/٥.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٦٧/٥- ١٦٨.
(٣) الأصل: وفاة، والمثبت من الأغاني.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٧١/٥.

لا يضيرُ المُصَابَ خلفاً إذا مَا كانَ ذا مَفْزَعٍ إلى هارونِ[1]

قال لي: كذلك والله هو، ولن تفقد من أبيك ما دمت حياً إلا شخصه، وأمر بإضافة رزقه إلى رزقي، فقلت: بل يأمر به أمير المؤمنين إلى ولده، ففي خدمتي له ما يغنيني أنا، فقال: اجعلوا رزق إبراهيم لولده، وأضعفوا رزق إسحاق[2].

وأما الصوت الذي ذكرت أخبار إبراهيم بسببه والشعر فيه والغناء له، وهو من المئة المختارة، فهو[3]: [مجزوء الرمل]

ربما نبَّهني الإخـ ـوان والليل بهيم
حين غارت وتدلت في مهاويها النجوم
ونعاس الليل في عيـ ـني كالثاوي مقيم
للّتي تُعْصَرُ لما أيْنَعت منها الكروم
أنا بالرّيَ مقيم في قرى الرّيٌ أهيم
ما أراني يا خليلي عن قرى ريى أريم[4]

ومما رُثِيَ به إبراهيم الموصلي قول ابنه[5]: [الطويل]

أيا قبر إبراهيم حييت حفرةً ولا زلت تسقى الغيث من سبل القطر
لقد عزني وجدي عليك فلم يدع لقلبي نصيباً من عزاء ولا صبر
وقد كنت أبكي من فراقك ليلة فكيف إذا صار الفراق إلى الحشر

وقال أيضا[6]: [الطويل]

---

(١) في الأغاني: المصاب رزءٌ

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٧١/٥.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ١٠٤/٥-١٠٥.

(٤) في الأغاني:

ما أراني عن قرى الري مدى الدهر أريم

(٥) الأصفهاني، الأغاني: ١٦٩/٥.

(٦) الأصفهاني، الأغاني: ١٧٠/٥.

سلام على القبـر الذي لا يُجيبنا ... ونحـن نحيي تربـه ونخاطبه
ستبكيه أشراف الملـوك إذا رأوا ... محل التصابي قد خلا منه جانبه
ويبكيه أهل الظرف طرأ كما بكى ... عليـه أميـر المؤمنين وحاجبه
ولما بدا لي اليأس منه وأبرقـت ... عيـون بواكيـه وقلَّتْ نوادبه
وصار شفاء النفس من بعد مابها ... إفاضـة دمـعٍ تستهل سواكبه
جعلت على عيني للصبح عبرة ولليل ... أخرى ما بدت لي كواكبه

[٢٥٢] وقال أيضاً[١]: [الطويل]

عليك سلام الله من قبر فاجـع ... وجـادك من نوء السماكين وابل
هَلَ أنْتَ محيي القبر أم أنت سائل ... وكيـف تحيا تربة وجنادل[٢]
أظل كأني لم تصبني مصيبـة ... وفي الصدر من وجد عليك بلابل
وهَوَّنَ عندي فقده أن شخصـه ... علـى كل حالٍ بين عينَيَّ ماثل

٨ ـ أبو زَكَّار[٣]

رجل أوفى بعهده، ووفى بعقده، صحب بني برمك، وهم الغيوث السوافح، والبحار الطوافح، فغمروه بالنعماء، ورعوه أكثر مما رعت ابن ثابت، صنائع آل جفنه الكرماء، فلم ينس لهم حسن الصنيع، ويمن الأيام التي مالا انحاز عن مثلها الصديع، وكان في أهل الغناء مقدماً بصيراً مع ما هو عليه من العمى.

قال أبو الفرج[٤]: أخبرت عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي، أنه قال: سمعت مسروراً الكبير يحدث أبي قال: لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى،

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٧٠/٥.
(٢) الأصل: أهل أنت محيا، والمثبت من الأغاني.
(٣) أبو زكار الأعمى، بغدادي من قدماء المغنيين، وكان منقطعاً للبرامكة، انظر، الأصفهاني، الأغاني: ٧/ ١٦٥.
(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١٦٥/٧.

دخلت إليه وعنده أبو زكار الأعمى الطنبوري يغنيه[1]: [الوافر]

فَـلا تـبْـعَـدْ فَـكُـلُّ فَـتـىً سَـيَـأتِـي   عـلـيـهِ الـمـوتُ يَـطْـرُقُ أو يُـغَـادِي

فقلت له: في هذا والله أتيتك: وأمرت بضرب عنقك، فضربت عنقه، فقال لي أبو زكار: نشدتك الله ألا ألحقتني به، فقلت لـه: وما رغبتك في ذلك؟ فقال: إنه أغناني عما سواه بإحسانه، فما أحب أن أبقى بعده، فقلت: أستأمر أمير المؤمنين في ذلك، فلما أتيت الرشيد برأس جعفر، أخبرته بقصة أبي زكار، فقال: هذا رجل فيه مُصطنعٌ فاضممه إليك، وانظر ما كان جعفر يجريه عليه فأقمه له.

قال: غني علُّوية يوماً بحضرة إسحاق: [البسيط]

عَـمَّـيْـتُ أمـري عـلـى أهـلـي فَـنَـمَّ بـه   دَمْـعٌ إذا ذُكِـرَتْ مَـكْـنُـونـةٌ سَـفَـحَـا

قال إسحاق: هذا صوت معروف في العمى، الشعر لبشار الأعمى، والغناء لأبي زكَّار الأعمى، وأوله: عميت[2].

وهذا آخر ما يقع عليه الاختيار [٢٥٣] من جامع أبي الفرج الأصفهاني، اقتصر فيه على من ذكره من مشاهير المغاني، وقد بقيت مدة لا أجد ما أذيل عليه، ولا ما أصله به إلى زماننا هذا على ما جرينا عليه في جميع هذا الكتاب، لقلة اعتناء المتأخرين، ولا سيما بهذا الفن الذي فني ولم يبقى من يعانيه أو يسمعه، لرغبة ملوك زماننا فيما سوى هذا، وشواغل أبناء الزمان بالهموم الصادة عن السرور ثم ظفرت لابن ناقيا بتأليف جاء في تضاعيفه عرضاً ذكر جماعة على ذيل زمان أبي الفرج، ثم اقتطفت من كتب التواريخ والأخبار المقيدة عن أواخر الخلفاء من بني العباس، وبقايا الخلفاء بالأندلس من بني أمية وأعقاب الملوك، والجلة من كل أفق، ما جمعت مفرقة وألفت ممزقة، ثم أتبعته بما التقفته من ذماء بقية من أهل الاعتناء ممن تأخر بهم الأجل إلى هذا العصر، وبذلك الجهد فيه حسب الطاقة، ونقبت فيه حتى لم أجد، وأبديت فيه حتى لم أُعدْ، فأما نسبة

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١٦٥/٧.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٦٥/٧ دون الشعر.

الأصوات فقد أتيت بما قدرت عليه في ذلك دون ما صدني عنه العجز، وعن حال بيني وبينه يقضي أوقات السرور بأهله، على أنني لم أُخِلَّ محسناً، ولا أهملت حسناً، وكثيراً ما انبَتَّتْ عليه طاقة مثلي، وزماني وإخماد حدثان الدهر لجمرتي، وتكديره لصفوة مسرتي، وبالله أستعين.

ومنهم

٩ - دَلِيْل الطَّنْبُورِي(١)

كان بدمشق وأخذ صناعة الغناء عن مشايخها، وتفرد بضرب الطنبور، وأتى العراق، ولم يجد لـه بها عظيم نفاق، فعاد إلى دمشق وأقام بها، ونفق على أمرائها، وحضر مجالس سرواتها، ومن مشاهير أصواته: [الكامل]

ومكللٍ بالدر والمرجان ... كالورد بين شقائق النعمان
أخذ المِراة وقد أراد زيارتي ... فرأى محاسن وجهه فجفاني

والشعر لأبي تمام، قال ابن ناقيا: هو في الثقيل الأول من المعلق.

وكذلك صوته الآخر في مشطور السريع [٢٥٤] وهو(٢): [الرَّجَز]

وشادنٍ مكتحلٍ بسحر ... أجفانه سكرى بغير خمر
أرق من رقة ماء يجري ... أملك بي مني وليس بدري
آليت لا أقلل عنه صبري ... أو أسترد ما مضى من عمري

والشعر لأبي الفرج الوأواء شاعر شامي مقل، إلا أنه مطبوع الكلام، وكان عامياً مقلاً من الأدب، وله عدة مقاطع يَغَنِّي فيها وسيأتي ذكره في موضعه(٣).

---

(١) لم نجد له ذكراً في تاريخ دمشق لابن عساكر.
(٢) أبو الفرج الوأواء، الديوان: ١٠٣.
(٣) ترجم له العمري في مسالك الأبصار في الجزء الخامس عشر بتحقيقنا.

ومنهم:

١٠ - عَلِيُّ بنُ يَحْيَى المُنَجِّم(١)

كان من الشعراء الرواة الإخباريين المحدثين للغناء، وكان الأصفهاني شديد الكراهه له، وروى عن إسحاق الموصلي، وأذكر أهل أكابر أهل الصنعة والحذاق، وأخذ عنهم فطار اسمه في العراق، وهو ممن جرى مع أولئك السبق واخرس تلك الألسنة النطق، فجثم لديه أولئك الملأ العقود، وجفَّ كل بنان، وييس على عود، وكان يعد من ندماء الخلفاء وأهل القرب، والإصفاء، كأنما تخير أبوه المنجم لمولده الطالع، وختم عليه من خاتم الزهرة بالطابع، فجاء مطبوعاً على الطرب، لو تنحنح أطرب، ولو تكلم بالكلام المألوف لأغرب، لا يلحق إلا بالشمس أو هي منه أقرب، ومن مشاهير أصواته: [الطويل]

ومجدولةٍ جدل العنان كأنما سنا البرق في داجي الظلام ابتسامها
ولما التقينا قالت اليوم فالتمس سوى جلدها هيهات منها مرامها
فقلت معاذ الله أسال حاجةً أموت وتبقى بعد ذاك أثامها
فبت أثنيها علي كأنها من اللين سكرى أو قطاة عظامها

والشعر من أناشيد إسحاق، وقد رواه عنه، والصنعة له فيه خفيف ثقيل مشتركان في الإصبع.

وذكر ابن ناقيا صوتاً لإسحاق بن إبراهيم وهو(٢): [الطويل]

وأبرزتها بطحاء مكة بعدما أصات المنادي للصلاة فأعتما
فما ذر قرن الشمس حتى تبينت بعسفان نخلاً ومكمما

وذكر أنه غنى فيه في باب الرمل المزموم، ثم قال: والشعر لأبي دهبل الجمحي

---

(١) علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم (ت ٢٧٥ هـ) نديم الخليفة المتوكل، وكان شاعراً راوية علامة أخباريا، صنف كتب منها: كتاب الطبيخ، وكتاب الشعراء القدماء والإسلاميين، وكتاب أخبار أسحاق الموصلي. انظر: ياقوت الحموي، معجم الإدباء: ٢٠٠٨/٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٧٣/٣.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٧١/٣.

وكان له ناقة يقال لها العجاجة، زعم العرب أنه لم يكن في زمانها أسيرُ منها، ولا أحسن صورة، وفيها يقول هذا الشعر يصف حسن سيرها[١].

قال موسى بن يعقوب: أنشدني أبو دهبل قوله:

فَمَا ذَرَّ قرن الشمس

فقلت له: ما كنت إلا على الريح، قال: يا بن أخي أن عمك كان إذا هم فعل، وهي العجاجة[٢].

قال ابن ناقيا: أنشدنا الشريف المرتضى لنفسه إجازة لقول أبي دهبل: وأبرزتها بطحاء مكة ونقل الصفة إلى امرأة من أبيات: [الطويل]

فطيب رياها المقام وضوأت ... بإشراق مرآها الحطيم وزمزما
فيا ربٌ أن لقِّيت وجهاً تحيةَ ... فَحَيٍّ وجهها بالمدينة سُهمَّا

قال: وقال لي بعض أربات الصناعة: إن أبا عبد الله ابن المنجم قد غنى في هذين البيتين مع بيتي أبي دهبل في هذا المذهب، ومن قلائده[٣]: [الخفيف]

يا خليلي من ذؤابة قيس ... في التصابي رياضة الأخلاق
غنياني بذكرهم تطرباني ... واسقياني دمعي بكأس دهاق
وخذا النوم من جفوني فإني ... قد خلعت الكرى على العشاق

والشعر لأبي القاسم الشريف المرتضى، والغناء فيه مطلق من سادس الهزج ويقال: إن أخاه الشريف الرضي لما أنشد هذه الأبيات قال: لقد وهب مالا يملك لمن لا يقبل.

وحكى ابن ناقيا أنه كان يحضر مجلس المرتضي شيخٌ طِّيبُ الخلق يعرف بالقاضي المالكي ممن يَتَوكَّفُ بِرهُ ويصفو مع إمساكه وشحه، فلما قال المرتضى قد

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٧٨/٣.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٧٩/٣.
(٣) الشريف المرتضى، الديوان: ٢٠٢.

خلعت الكرى على العشاق، قال المالكي: هذا لما تفضل سيدنا وخلع، فضحك منه المرتضى ولم يؤاخذه به.

ومنهم:

١١ - زَرْفَل بن إخْلِيْج(١) [٢٥٥]

ابن عبد الملك الأهوازي، كان إذا نطق اهتز المجلس، واعتز المؤنس، وهز القلوب منه المطمع المؤيس، يضع لأصواته كُلُّ خلي يده فوق خِلْبِهِ، ويتقلب والشوق حشو قلبه، ولولاه لم ندر كيف تفتت الأكباد، ولا كيف يتحرك الجماد، ولا كيف تسمع الأُذُنُ فيهيمُ الفؤاد، كان في كل لهاةٍ له ضارب فتر، وكان له في كل نغمةٍ ما لو صدع الحجر لانفطر، وأكثر أصواته في الزريقي وما لهج به خلف المتأخرين من أهل الغناء، ومنها: [مجزوء الكامل]

أشــرْبْ مــعــتــقــة الــيــهــود صــرفــاً تــضــرم فــي الــخــدود
أشــربْ عــلــى تــفــاحــةٍ قــد أيــنــعــت مــن غــيــر عــود

ومنها: [مجزوء الكامل]

أطــع الــهــوى واعــص الأدب وكــذاك يــفــعــل مــن أحــب
لا يــشــغــلــنــك شــاغــل عــن بــنــت صــافــيــة الــعــنــب
جــاءت بــخــاتــم ربــهــا فــافــتــضــهــا شــيــخ الأدب

ومنهم:

١٢ - إسْرائِيْل العَوَّاد(٢)

ذكر ابن ناقيا في غير موضع في كتابه المسمى بالمحدث في الأغاني، وذكره

(١) لم نجد له ترجمة فيما أطلعنا عليه من مصادر.

(٢) لم نجد له ترجمة فيما أطلعنا عليه من مصادر.

غيره في المغنيات والمغاني، وطالما ضَمَّ إليه العود فترنم مسروراً وترنح محبوراً، وتذكر وهو في شعب الأغصان عهداً غير راجع، وزماناً تعلم فيه الضرب من السواجع، فحنَّ حنين المفارق، وشكا فجاوبه كل عاشق، فمهد مجلس أُنسه بالترحيب، وأنَّ فساعده كُلُّ مغرمٍ بالبكاء والنحيب، ومن مشاهير أصواته: [الطويل]

تلفتُ من داري إلى نحـو داركم ... تلفّت ظمآن إلى المورد العذب
فلم أستطع رد الدموع التي جرت ... ومن ذا يرى الدمع من مقلة الصبُّ
فيا حسرات الشوق دمعي على الخبا ... ويا قلبي المكروب لازلت في كربِ

والشعر لأبي بكر العنبري، صاحب أدب منسوب إلى صناعته، كان يعمل العنابر، وأصله من البصرة، ثم ألف بغداد وأقام بها وأحبها وفضلها على البصرة، وكان [٢٥٧] مذهبه التصرف والإيقاع عن الناس، وله شعر مدون مأخوذ عنه. ومن أصواته: [الكامل]

أصبحت كالجمل المضاع زمانه ... بكراً يلاعب ناقةً وزماما
ما هاج شوقك من بكاء حمامةٍ ... تدعو على فنن الأراك حماما
لولا تذكرك الأوانس بعدما ... قطع المطي سباسباً وهياما

قال ابن ناقيا: في هذا الصوت من أغاني إسرائيل في هذا المذهب، يعني مذهب صوت إبراهيم الموصلي في شعر مروان بن أبي حفصه[1]: [الكامل]

طرقَتْكَ زَائرةً فَحَيِّ خَيَالَهَا ... بَيْضَاءُ تَخْلِطُ بالحَيَاءِ دَلاَلَهَا

قال ابن ناقيا: ولم أسمعه إلا منه، يعني من إسرائيل، وممن أخذه عنه، وهو جيد الصنعة، وفيه لحن منسوب إلى يحيى المكي من خفيف ثقيل بالبنصر من كتاب أبي الفرج، والشعر لثابت قطنة مولى بني أسد بن الحارث بن عتيك، ولُقِّبَ قطنة لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه، فذهب بها بعض حروب الترك، فكان يجعل عليها قُطْنَةً، وهو شاعر فارس شجاع، من شعراء الدولة الأموية، وكان في صحابة يزيد بن المهلب، ولاه

---

(١) مروان بن أبي حفصه، شعره: ١٠٣.

أعمالاً من أعمال الثغور فحمد فيها مكانه لكفايته وطاعته، وفيه يقول حاجب بن دينار المازني[1]: [البسيط]

لا تعرِفُ النَّاسُ مِنْهُ غَيْر فُطْنَتِهِ   وَمَا سِوَاهُ من الإنسَانِ مَجْهُولُ

ومن قلائد إسرائيل[2]: [الطويل]

أمَا وجَلالِ اللّٰه لو تَذْكُرينَنِي   كَذكريك ما نَهْنَهْتُ للعينِ مَدْمَعَا[3]

فَقُلْتُ بلى والله ذكراً لَوَ انَّهُ   تضمنه صم الصفا لتصدعا[4]

والشعر للصمة بن عبد الله القشيري، والغناء فيه في الممخر من خفيف الرمل، وسبب قول الصمة هذا، فيما رواه الهيثم بن عدي أنه كان يهوى ابنة عم له، فخطبها إلى أبيها، فاقترح مبلغاً شطيطاً من المهر، وذلك من أبيه، فجعل يدافعه فغضب على أبيه وركب ناقته ورحل إلى الثغور، وقال هذين البيتين في قصيدة يصف [٢٥٨] فيها شوقه إلى أبنة عمه وحنينه إلى وطنه، ولم يرم هناك حتى مات[5]، ذكر ذلك ابن ناقيا، قال: ولعريب المأمونية في ذلك لحن من خفيف الرمل، وقال: فأما لحنها في هذا الباب فمن نقل المحدثين، وذكر ابن ناقيا له صوتاً: [مجزوء الكامل]

يوم أتاك مبشراً   بسعود جدك حين لاحا

اشرب سقيت مدامةً   نشر العبير بها ففاحا

والشعر لجعفر الكرخي، والغناء فيه خفيف ثقيل المزموم، وذكر له صوتاً آخر: [الرمل]

قل لمن يحمل ما حملته   من رسيس الحب إلا ظلعا

لم يزدني الحب إلا حسرة   ودواعي الشوق إلا طمعا

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٢٥٨/١٥.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٢٩٣/٦.
(٣) في الأغاني: ما كفكفت للعين.
(٤) في الأغاني: يصب على صم الصفا.
(٥) الأصفهاني، الأغاني: ٢٩٥/٦.

والشعر لمهيار بن مرزويه، والغناء فيه من خفيف الثقيل المجنب.

ومن أصواته: [الكامل]

إلا رحمتم موقفي بفنائكم ... متلدداً في داركم أتصدق
متحيراً أبكي إلى مَنْ مَرّ بي ... مثل الغريق بما يرى يتعلق

والشعر مجهول، والغناء فيه من الرمل المجنب.

ومنهم:

١٣ ـ طَرِيْفُ بنُ مُعَلَّى الهَاشِمَي[١]

من ولد جعفر بن أبي طالب، كان يدعي هذا النسب، وكان يُطعن عليه فيه، ويقال زيادةً على هذا إنه لغير أبية، إلا أنه ذو أدب نهض بحسبه، وَبيَّضَ منه عرق مكتسبه، وولع بالقيان واقتنائهن، وسماع غنائهن، ثم دخل في الطرب حتى أخذ بأزمته وتقدم حتى عد من أئمته، ومن أصواته: [الطويل]

عجبت وقد ودعتها كيف لم أمت ... وكيف انثنت يوم الفراق يدي معي
فيا مقلتي العبرى عليها اسكبي دماً ... ويا كبدي الحرَّى عليها تقطعي

والشعر لأبي القاسم كشاجم، والغناء فيه في خفيف الرمل المعلق.

ومن أصواته[٢]: [الكامل]

تعب يطول مع الرجاء لذي الهوى ... خير له من راحةٍ في الياس
[٢٥٩] لولا كرامتكم لما عاينتكم ... ولكنتمُ عندي كبعض الناس

والشعر للعباس بن الأحنف، والغناء فيه من خفيف الرمل المزموم، ويعرض فيه ما حكاه ابن حمدون النديم، قال: وقع بين عريب المأمونية ومحمد بن حامد شر، وكان

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما أطلعنا عليه من مصادر.

(٢) العباس بن الاحنف، الديوان: ١٦٦.

يجد بها الوجد كله، وتجد به مثل ذلك، فلقيته يوماً، فقالت: كيف قلبك يا محمد؟ فقال: أشقى والله ما كان وأقرحه، قالت: استبدل تَسْلَ، فقال: لو كانت البلوى باختيار لفعلت، فقالت: لقد طال إذاً تعبك، فقال: وما يكون، أصبر مكرهاً وأقول بقول الشاعر: [الكامل]

تَـعَـبٌ يَـطُـولُ مَـعَ الـرَّجَـاء ـ الـبـيـت ـ

فذرفت عيناها واعتذرت إليه وأعتبته واصطلحا، وعادا إلى أفضل ما كانا عليه.

قلت: وذكر ابن ناقيا في هذا الشعر صوتاً لعريب، قال: ومن أغانيها في هذا المذهب أيضاً من كتاب أبي الفرج فيما تضمنه في ذكر حالها، أن المأمون لما وقف على خبرها، أمر بإلباسها جبة صوف وختم زيقها وحبسها في بيت مظلم، ثم ذكر الحكاية، وقد تقدمت ترجمة عريب المأمونية.

ومن أصوات طريف: [مجزوء الكامل]

حبذا صبح تبدى … والدجى وحف الجناح
طلعت لي فيه شمس … أشْرَقَتْ حتى الصباح
فشربت الراح صرفاً … من ثنايا الأقاح
من غزالٍ سرق الخلـ … ـخال عطشان الوشاح

والشعر من المجهول، والغناء فيه مطلق من الطريقة السادسة من الهزج.

ومنهم:

١٤ ـ تحُفَة جَاريَة المُعْتَز[(١)]

أدّبها ابن المعتز وخرّجها، وعلَّمها النحو واللغة، وروَّاها الشعر وأيام الناس، وعلمها الغناء وضرب العود، وجمع لها الحذاق من أهل الصنعة حتى أخذت عنهم، وصارت من

---

(١) لم نجد لها ترجمة فيما أطلعنا عليه من مصادر.

المجيدات في الصنعة، لا تُلحق في ميدانها، ولا تُمارى في نطق عيدانها، إلى جمال بارع، وخلالٍ عذبة المشارع، وحسن باهر، وإحسان ظاهر، بوجه نقل بدراً، [٢٦٠] وطرف ينفث سحراً، وقَدٌّ يستقل غصناً نضراً، هذا مع جبين يجني من عناقيد الأصداغ أعناباً، وبنانٍ يقطف منه جناةُ الحسن عناباً. ومن مشاهير أصواتها[1]: [البسيط]

حطوا الرحال إلى خَمَّار دسكرةٍ مستعجل بافتتاح الدن محثوث
تميل من سكرات الخمر قامته كمثل ماشٍ على دفٍ بتخنيث

والشعر لمولاها أبي العباس بن المعتز، والغناء فيه ثقيل أول محمول على نحو صوت إسحاق الموصلي: [الطويل]

تغير لي فيمن تغير حارث وكم من أخ قد غيبَّته الحوادث
أحارث إن شوركت فيك فطالما عمرنا وما بيني وبينك ثالث

والشعر لإسحاق أيضاً ذكره ابن ناقيا في كتاب المحدث في الأغاني، وكذلك لتحفة جارية أبي العباس صوت في شعر مولاها، وهو: [مُخَلَع البسيط]

أجوز جهراً بلا حذار خوف رقيب على حبيب
وذاك أني ضنيت حتى خفيت عن ناظر الرقيب

والغناء فيه من محمول الرمل الذي يحصر بالسبابة.

ومنهم:

١٥ ـ إسْحَاق المُنَجِّم

وكان بدراً لا يتآكله المحاق، وجواداً لا يحاول به اللحاق، وبحراً في كل علم لا يُشَبُه إلا بِسْمِيِّه إسحاق، وكان يتحفَّى بالغناء تحفي المنهمك في طلب المطالب، ويتكتم تكتم المأمون من أبيه حب آل أبي طالب، إلا أنه كان تلو أخيه في اتساع الرواية

---

(١) ابن المعتز، الديوان: ٦٢/٢.

وارتفاع الراية، ومن مشاهير أصواته[1]: [الكامل]

مـــــا يَشْتَحِي أحَدٌ يُقَالُ لَهُ ... فضلوك آلُ بويهِ أو فَضَلُوا

فَوْقَ السَّماءِ وفوقَ ما طلبُوا ... فإذا أرادوا غَايةً نَزَلُوا

والشعر لأبي الطيب المتنبي، والغناء فيه في الهزج والمزموم، وكذلك صوته[2]: [المتقارب]

أرى ذلك القرب صار ازورارا ... وصار طويل السلام اختصارا

تركتني اليوم في خجلةٍ ... أموت مرارا وأحيا مرارا

[٢٦١] أسارقك اللحظ مستخفياً ... وأزجر في الخيل مهري سرارا

وأعلم إني [إذا] ما اعتذرت ... أراد اعتذاري إليك اعتذارا[3]

والشعر لأبي الطيب المتنبي، والغناء فيه ثقيل أول محمول.

قال ابن ناقيا: وفي هذا المذهب [المتقارب]

أقول وقد أزمعوا للنوى ... عشية البين حثوا المسيرُ[4]

يعز علي فراقي لكم ... وإن كان سهلاً عليكم يسيرُ

ولإسحاق المنجم صوت هو من قلائده وفرائده، وهو[5]: [السريع]

أعددت للأعداء خيفانةً ... مثل عقاب السرحة العادي

وأسمراً في رأسه أزرق ... مثل لسان الحية الصادي

أين محل الحي دون الغضا ... خَبِّر سقاك الرائح الغادي

والشعر لدعبل والغناء فيه من الرمل المسرج.

---

(١) المتنبي، الديوان: ٣٠٩/٣.

(٢) المتنبي، الديوان: ٩٤/٣.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الديوان.

(٤) الأصل: ازعموا. والصواب ما أثبت.

(٥) دعبل الخزاعي، الديوان: ١٣٠.

إن كنت لست معي فالذكر منك معي ... يراك قلبي إذا ما غبت عن بصري
العين تبصر من تهوى وتعدمه ... وناظر القلب لا يخلو من النظر

والغناء فيه الرمل المزموم. ومن أصوات إسحاق بن المنجم أيضاً[1]: [البسيط]

نطوي الليالي علماً أن ستطوينا ... فشعشعيها بماء المزن واسقينا
وتوجي بكؤوس الراح راحتنا ... فإنما خلقت للراح أيدينا

والشعر[2] للسَّرِيّ بن أحمد بن السَّرِيُّ الرفاء الموصلي، والغناء فيه مطلق من الطريقة الرابعة من الرمل، وكان السَّرِيُّ من شعراء سيف الدولة، فحسده الخالديان فارتحل إلى بغداد قاصداً حضرة الوزير المهلبي، فارتحلا وراءه ودخلا على المهبلي وثلباه فلم يحظ بطائل، فأقام وَرَّاقاً ببغداد إلى أن مات، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في موضعه.

ذكر أبو بكر الخطيب قال: أنشدني أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الجبار قال: أريت في منامي كأني دخلت [٢٦٢] دار عضد الدولة، ووصلت إلى الصُفَّة الكبيرة التي على البستان، فرأيته جالساً في صدرها، وبين يديه أبو عبد الله بن المنجم وهو يغني، فقال لي عضد الدولة: كيف تراه يغني، طيباً؟ فقلت: نعم، فقال: فاعمل له قطعة يغنيها، فانصرفت من حضرته، وجلست على طرف البستان، ومعي دواة وكاغد لأعمل وبدأت لا أفكر، فإذا الشيخ قد وافاني من عنده، وعليه رداء، فقال: ماذا تصنع؟ قلت: أعمل قطعة لأبي عبد الله ابن المنجم يغني بها، قال: فنتعاون عليها، فقلت: أفعل، فقال: إن شئت أن تعمل الصدور، وأعملُ الأعجاز فافعل، فبدأت وقلت: [الطويل]

فَبِتْنَا وسَادَانَا ذِراَعٌ ومِعْصَمُ

فقال في الحال:

وعَضْدٌ على عَضْدٍ وَخَدٌ على خَدٌ

(١) السري الرفاء، الديوان: ٢٧٢.
(٢) الأصل: والعشر، والصواب ما اثبت.

فقلت:

بَكَرَ التَّشَاكِي فِي حَدِيْثٍ كَأَنَّهُ

فقال في الحال:

تَسَاقَطَ ذُو العقدِ أو العَنْبَرِ الهِندِي

فقلت:

وَقَدْ لَفَّ جِيْدَيْنَا عِنَاقٌ مُضَيِّقٌ

فقال في الحال:

فَلَمْ تَدْرِ عَيْنٌ أيَّنَا لابِسَ العقدِ

فقلت:

أضَنُّ على بَدْرِ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا

فقال:

وأسترهُ مِنْ أن يُلاحِظَهُ جهدِي

ثم قال: ألَسْتَ تعلم أن قولك هذا في النوم، فقلت: بلى، فقال: كَرِّرْهَا حتى تحفظها وتثبتها إذا انتبهت ولا تَنْسَهَا، وأخذ الرقعة بيده، وطفقت أقرأها عليه مرات حتى حفظتها، ثم انتبهت فعملت لها أولاً مصوغاً وهو:

بنفسي التي زارت بلا وعد | تَسِيْر من الواشين في غابةِ الأُسْدِ

وبعد الأبيات:

إلى أن ثنت ريح الصبا من خمارها | فأبصر أبهى منه منها حمد
ولم أدر أن البدر أمسى متيما | يُجن بها أما في حشاي من الوجد
وكنت مروعاً فيه يفضح سرنا | ولم أدر أن البدر يفضح من عندي

١٦ ـ ابنُ العَلَّاف نَدِيم المُعْتَضِد

وهو أبو بكر الحسن بن علي بن أحمد بن بشار نديم المعتضد، ومسايس ذلك الأسد، وملاين صعاب تلك العريكة، ومجالس تلك الصمصامية على الأريكة، وكان ممن أجاد في الغناء، وجاء في ألحانه بقطع الروضة الغناء، وكان لا يغني إلا للمعتضد [٢٦٣] منفرداً، ولا يُسمع منه صوت إلا كالماء مطرداً، ولم تنقل أصواته إلا من دفتر كان لـه دَوَّنَ فيه غناءه، وَعَرَفَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُ اعتناءه[(١)]: [الطويل]

لعمرك إني في الحياة لزاهدٌ ... وفي العيش مالم ألق أم حكيمِ

من الخفرات البيض لم أر مثلها ... شفاء لذي بثٍ ولا لسقيمِ

ولو شهدتنا يوم دولاب أبصرت ... طعان فتى في الحرب غير ذميمِ

والشعر لقطري بن الفجاءة، وَرُوِيَ لعمرو القنا، وَرُوِيَ لحبيب بن سهم، وقيل: بل لعبيدة بن هلال اليشكري، ودولاب اسم قرية من أعمال الأهواز كانت بها حرب الأزارقة وابن عنبس بن كريز أيام ابن الزبير، والغناء فيه ثقيل أوَّلٌ مزموم، وذكره ابن خرداذبة[(٢)] ونسب صنعته إلى المعتضد، وقد نسب إليه عدة أصوات كثيرة، منها في شعر عمر بن أبي ربيعة[(٣)]: [الطويل]

رأت رجلاً أمَّا إذا الشمس عارضت ... فيضحى وأما بالعشي فيخصر

أخا سفرٍ جَّواب أرضٍ تقاذفت ... به فلوات فهو أشعث أغبر

قليل على ظهر المطيَّة ظله ... سوى ما نفى عنه الرداء المحبر

وكان الأصمعي يقول: كان جرير إذا أنشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال: هذا شعر تهامي إذا أنجدَ وجد البرد، حتى سمع قوله هذا فقال: ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر[(٤)].

---

(١) إحسان عباس، ديوان الخوارج: ١٢٠، والشعر لقطري بن الفجاءة.

(٢) الخبر غير موجود في كتاب المختار في كتاب اللهو والملاهي لابن خرداذبة.

(٣) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٩٤.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ٩١/١.

عدنا إلى ابن العلاف، ومن أصواته في شعره: [الطويل]

سرى طيف سعدى مَوْهِناً فاستقر بي ... هيوباً وصحبي بالفلاة رقود
ولما انتهينا للخيال الذي سرى ... إذا الدار قفرى والمزار بعيد
فقلت لعيني عاودي النوم واهجعي ... لعل خيالاً طارقاً سيعود

والبيت الثاني منسوب إلى المعتضد وباقية لابن العلاف، وكان ينادم المعتضد، ويُسرف في الاجتماع به ولا يقتصد.

وقد حُكِيَ أن المعتضد بعث إليه بخادم من خاصته في بعض الليالي، فقال: إن أمير المؤمنين يقول لك: ارْقُبِ الليلةَ، فعملت بيتاً من الشعر وارْتِجَ عَلَيَّ تمامه، قال: [٢٦٤] وأنشد البيت، قال: فأجزته له، فمضى وعاد، فقال: أحسنت ووقع قولك على غرض أمير المؤمنين، وقد أرم لك بجائزة، وها هي، فدفعها إليَّ، فقلت: [الطويل]

وَآخَرُ يأتي رِزْقُهُ وهوَ نَائِمُ

قال: ثم أمرني فغنيت فيه خفيف الثقيل المزموم.

ومن الأصوات المنسوبة إليه: [الكامل]

يا من يحاكي البدر عند تمامه ... ارحم فتى يحكيه عند محاقه
أوليس من إحدى العجائب أنني ... فارقته وبقيت بعد فراقه

والشعر له ويروى لغيره، والغناء فيه من الهزج المحمول، ولغيره فيه غناء: [البسيط]

أما ترى الليل قد ولت عساكره ... مهزومة وجيوش الصبح في الطلب
والبدر في أفق الغربي مطلعه ... من فوق دجلة منحازاً إلى الهرب
كأنما هو بالخط السوي بها ... قد مَدَّ جسراً على الشطين من ذهب

والشعر لبعض الهاشميين والغناء فيه في الهزج المجنب، وللمختارين فيه غناء في الزريقي المطلق وفي هذا ذكره ابن ناقيا وقال:

وغنوا في هذا المذهب: [الوافر]

وخـــمّارٍ تَـخُّب إليــه لـــيـــلاً	قــلائـص قـد تـعـبـن مـن الـنـهـار
فحمـحـم والكـرى فــي مقلتيه	لـمـخـمــــورٍ شكـا أَلَمَ الـخـمـار
أَبِنْ لـي كـيـف صرت إلـى حريمي	وجـفـن الـلـيــــل مـكـتـحــل بـقـار
فقلــت لـــه تــرفــق لـــي فإنـي	رأيـت الـصـبـح مـن خـلـل الـديـار
فـكـــان جـــوابـــه قـــال صبـح	ولا صـبـح سـوى ضـوء الـعـقـار

ومنهم:

١٧ ـ مُؤَدِّبُ الرَّاضِي

مؤدب ذلك الخُلُقُ السَّمْحُ، ومؤدى ذلك الكرم الجم إلى الصفح، كان بقربه محظياً، وبحبه الراضي مرضياً، ولم يُخْفِ أُفُقُ جمال هو كَوْكُبهُ، ولا شرف سماءٍ به موكبه، وكانت يده تَسُحُّ عليه سجالا، وتمر إليه عجالى، وكان في علم النغم عالماً لو اهتدت إليه الأوائل لما ذُكِرَ قائل. ومن أصواته: [البسيط]

قَـالـتْ بعـــــادُكَ مِنْ ربي يُقَرِّبُنِي	وفـي دُنُـوك أخْـشَـى الـنَّـارَ والـعَـارا
[٢٦٥] إذا قضيت لنا ما منك نأمله	فـاسـتـغـفـر الـلـه تـلـقـى الـلـه غـفــــارا
قالت لقد بعد المسرى فقلت لهـا	من عـاجـل الشوق أن يستبعد الدارا

والشعر فيه قديم، والغناء فيه من خفيف الرمل المزموم، وله صوت في شعر الواثق، وكان قد صنع فيه الواثق لحناً ولم ينقل محفوظاً وهو هذا: [البسيط]

لـمـا اسـتـقـل بـأرداف تـجـاذبـه	واخـضـر فـوق حـجـاب الـدر شـاربـه
كـلـمـتـه بـجـفـون غـيـر نـاطـقـةٍ	فـكـــان مـــن ردهـا مـا قـال حـاجـبـه

والغناء فيه من الهزج المزموم.

ومنهم:

١٨ - أبو سَعْد بن بِشْر[1]

العطار الطنبوري المعروف بغلام الديلمي، وإمام هذه الصناعة، وكم من كَمِيٍّ كَادَ بِهِ الطنبور أن يبيت يحرق العود، ويزم المزمار، وإن أُعْطِيَ نِعْمَةً من آل داود، وكان لا يعدل طرب صوت وتره الفصيح، وصوت ترتيبه الصحيح، وشدو أوتاره التي لو حيَّتْ بها القسي لكانت لها تناهز، ولما قيل فيها وقد ترنمت ثكلى أوْجَعَتْهَا الجنائز، ومن أصواته: [المديد]

رنــة الــدولاب فــي الــسـحـر　　واصــطـلاح الــنـاي والــوَتَــرِ
تــركــتــنــي جــار مــعــصــرةٍ　　لا أفــيــق الــدهــر مــن سَــكَــرِي

والشعر لأبي الحسن عاصم بن الحسن بن عاصم، والغناء فيه مطلق من الطريقة الرابعة وهي الرمل.

ومنهم:

١٩ - مِسْكِينُ بنُ صَدَقَة[2]

المديني مولى قريش، ومكمل طيب كل عيش، كان من صفو الحياة وطيبها، ولذاذة أيام العمر ونصيبها، لو بات يسمع السليم لألهاه، أو يشغل الكئيب لأسلاه، كان أنِساً للجليس، ونَفَسَا للخندريس، وشمساً للندماء، بل أين الشمس منه لمن يقيس.

ومن أصواته[3]: [الكامل]

يـا ويـح مـن لـعـب الـهـوى بـحـيـاتـه　　فـأمـاتـه مـن قـبـل حـيـن مـمـاتـه
وحـيـاة مـن أهـوى فـإنـي لـم أكـن　　أبـداً لأحـلـف كـاذبـاً بـحـيـاتـه

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.
(٢) مسكين بن صدقة المدني، مولى قريش. انظر عنه: الأصفهاني، الأغاني: ٣٠٣/١٩.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٣٠٢/١٩.

لأخالفن عواذلي في لذتي ولأسعدن أخي على لذاته

والشعر لأبي العتاهية، والغناء فيه مطلق من الرمل. وقد ذكر ابن ناقيا في هذا المذهب صوتاً: [٢٢٦] [الكامل]

الله يعلم ما هممت بسلوةٍ الدمع يخلف والعواذل تشهد
وعلي من ذكرى عهودك آمر ينهي الفؤاد عن السلو ويبعد

قال: والشعر لأبي محمد بن معروف القاضي، ثم قال: وحُكِيَ أن بعض الرؤساء عتبه على قول الغزل، فجحد ذلك، فقال له: من الذي يقول:

الدَّمْعُ يخلفُ والعواذلُ تَشْهَدُ

غَيْرُكَ، فإن هذه صفة مجلس الحكم.

ومنهم:

٢٠ ـ بَدِيْعُ بنُ مُحْسِنٍ(١)

بن عبد الرحمن من ولد عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي الشاعر، كجده الشارع سبيلاً لودِهِ، كان مع نظم القريض، وعظم شرفه المستفيض، مُبَرِّزاً في صناعة الغناء قَيِّماً بألحانها، منعماً في صنوف ريحانها، كأنما جاء في عصر أردشير، وأخذ عن الموابذة الزمزمة بالأساطير، أو تعلم ما يُقرب به كيقباذ، وزمزم به أنو شروان حول كروم طيزَنَاباَذْ، فسلب حلي فارس، وجنى من شجر لم يكن لـه بغارس.

ومن أصواته: [المتقارب]

سهرتُ لاغتنام ليلي والوصال وليل الصدود متى ترقد
فقال وقد رق لي قلبه وأيقن أني به مكمد
إذا كنت تسهر ليل الوصال وليل الصدود متى ترقد

والشعر مجهول، والغناء فيه مطلق من الرمل.

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

ومن أصواته: [مجزوء البسيط المخلع]

نكهتك العنبر الفُتَاتُ ... وريقك البارد الفرات
وعارضك اللذان راقا ... لما بدا فيهما النبات
وحيث ما كنت من بلادٍ ... فلي إلى وجهك التفات

والشعر يروى للشريف الرضي، والثالث معروف له، والغناء فيه من مجهول الرمل الذي يُحْصَرُ بالسَّبَّابَةِ.

ومن أصواته: [الخفيف]

لي حبيب تسيء فيه الظنون ... ليس لي في هواه دمع مصون
قال لي كيف كان حالك بعدي ... قلت مثلي بأي حالٍ يكون

والشعر مجهول، والغناء فيه من خفيف الرمل المعلق [٢٦٧].

ومنهم:

٢١ ـ غضوب جَارِيةُ المُتَّقِي

شمسُ كُلَلٍ وطرازُ حُلَلٍ، ورضى وإن سُمِّيَتْ بغضوب، وبدراً وإن عُوْجِلَتْ بغروب، ولم تُعَرَفْ إلا بعد المتقي، وامتداد أجلها الشقي، وكانت على هده لا يتعرف عنها مخبرا ولا يبلغ ريح الصبا عنها خبرا، وكانت من المهرة الحُذَّاقِ، والجواري اللائي لم يلحقن إلا فتنة للعشاق.

ومن أصواتها: [الكامل]

أوفى على بدر السماء بحسنه ... وزها على الشمس المنيرة إذ زها
وإذا أراد تنزهاً في روضةٍ ... أخذ المراة بكفه فتنزها
فكأنما أعطاه خالقه المنى ... وحباه من حلل الملاحة طرزها

والشعر مجهول، والغناء فيه من الرمل المسرح.

ومن أصواتها الطائرة[1]: [الوافر]

فقلت لها ظلوم مطلت ديني ... وشر الغارمين ذوو المطال
فقالت ويح نفسي كيف أقضي ... غريماً ما ذهبت له بمال

والشعر لكثير بن عبد الرحمن صاحب عَزَّة، والغناء فيه من الرمل المزموم وكذلك صوتها في شعر ابن المعتز[2]: [الوافر]

شجاني صوت مسمعةٍ وراح ... يباكرني إذا برق الصباح
ومعشوق الشمائل عسكري ... جنى قتلي وليس له سلاح
كأن الكأس في يده عروس ... لها من لؤلؤ رطب وشاح
وقائلة متى يفنى هواه ... فقلت لها إذا فني الملاح

وكذلك صوتها: [الطويل]

ألا أيها الظبي الذي مل من قربي ... أبِنْ لي فدتك النفس بالله ما ذَنْبِي
فإن كان ذنبي أنني بك ذا ضنى ... فلا غفر الرحمن ذلك من ذنبي

والشعر مجهول، والغناء فيه من الزريقي المطلق، وبهذا ذكرت شعراً كنت قلته وهو: [الطويل]

تَصُدّينَ عني والفؤاد معذب ... وما كنت يوماً عن ودادك راغبا
لئن كان ذنبي أنني لك عاشق ... فعذبت بالهجران إن جئت تائبا

[٢٦٨] ومنهم:

٢٢ ـ مَعْمَر بنُ قَطَامِي[3]

ابن خالد الدمشقي، كان بدمشق من أطرب شحاريرها، وأطيب على مجاري تلك

---

(١) كثير عزة، الديوان: ٢٩١.
(٢) ابن المعتز، الديوان: ٢/٧٣.
(٣) لم يترجم له ابن عساكر في تاريخ دمشق.

المياه من أصوات خريرها، أقام طول عمره يُؤْخَذُ عنه الغناء، وتأليف ضُروبه، وتصنيف غريبه، وإتقانه على حسن ترتيبه، فكان لا يشبثُ سَامِعُهُ، ولا يماثل به معبد ولا أبو الفرج وما حواه جامعُهُ.

ومن أصواته: [مجزوء الكامل]

يا راحلاً جعل الفرا ... ق لبعده سبب التلاقي
قد كان ساء فضمني ... ضم المودع للفراق
قد كان صد فحين وا ... صلني على غير اتفاق
عانقته وبكيت من ... جزعي لما بعد العناق

والشعر لأبي القاسم المطرز، والغناء فيه من المطلق في الرمل.

ومن أصواته: [المتقارب]

مريض الجفون بلا علةٍ ... ومكتحل الطرف لم يكتحل
شكا حسنه قبح أفعاله ... فأثر في وجنتيه الخجل
أقلي الملام ولا تَعْذُلِي ... ففي ذا الغزال يطيب الغزل

وكذلك صوته[1]: [الطويل]

وخبرني عن مجلس كنت زينه ... رسول أمين والنساء شهود
فقلت لها كري الحديث الذي مضى ... وذكرك من بين الحديث أريد

والشعر للعباس بن الأحنف، والغناء فيه خفيف الرمل المزموم.

قال: ومنهم ابن ناقيا في هذا المذهب: [الطويل]

وكنت وأيام المزار رخية ... عليَّ ورخص الود لي فيك مطمع
أعز فلا أعطي الهوى فيك حقه ... من الشكر والمعطي مع الحق يمنع
فلما استرد الدهر مني عطاءه ... وكادت شعاب من هواي تقطع

---

(١) الأصل: زيد والصواب ما أثبت.

فعدت مع الهجران أبكي على الهوى ... وأسألــــــه عن فائتٍ كيف يرجع

ومنهم:

٢٣ ـ تحُفَةُ جاريةُ أبي مُحَمَّد [٢٦٩]

الحسن بن عيسى بن المقتدر، وكانت تُغني غناء المقتدر، وتسرع أول المغاني وتبتدر وتذهب في أصواتها مذهب الأوائل، وتخلب القلوب بلقابة الشمائل، تُسْلِي عن هوى ميّ ذا الرمة، وتُنْسِي هوى زينب بشاراً الأَكْمَهَ، تعاود بها لهزم شبابه، ويعيد حبُّها زمان يزيد[1] وحبَّابة.

ومن أصواتها: [مجزوء الرمل]

يَــا بَــدِيْــعَــاً أَلْــبَــسَ الــسُّــقْـــ ... ـــمُ بــهِ جِــسْــمَــاً بَــدِيْــعَــاً
إنَّ صَــبْـــرِي وعَـــزَائِـــي ... هَــلَــكَــا فِــيْــكَ جَـمِـيْـعَـا

والشعر مجهول، والغناء فيه في الطريقة الرابعة من الرمل.

وكذلك صوتها في بحر المنسرح وهو: [المنسرح]

هـل لـك فـي خـمـرةٍ مـشـعـشـعـةٍ ... تـضـحـك فـي كـأسـهـا لـشـاربـهـا
كـأنـمـا الـمـاء حـيـن خـالـطـهـا ... يـلـعـب بـالـنـرد فـي جـوانـبـهـا

وكذلك صوتها[2]: [الطويل]

لـقـد قـتـلـت عـيـنـاك نـفـسـاً كـريـمـةً ... فـلا تـأمـنـي إن مـت سـطـوة ثـائـر
كـأن فـؤادي فـي الـسـمـاء مُـعـلـق ... إذا غبـت عـن عـيـنـي بـمـخـلـب طـائـر

والشعر لابن المعتز، والغناء فيه في خفيف الرمل المحمول فيه.

---

(١) الأصل: زيد والصواب ما اثبت.

(٢) ابن المعتز، الديوان: ٣/٢٨٠.

ومنهم:

٢٤ ـ تحية جَارِيَةُ أبي يَعْقُوب

وكانت تخلف القمر إذا غاب، وتخلب السالي وقد فارق زمان الشباب، تبسُمُ عَنْ سِمْطي جُمَانٍ، وتقرن تفاح خدودها من النهود برمان، وكان حسنها المفرط يأبى أنْ يُصان، وصوتها المطرب لا تحكيه الحمائم على الأغصان، ومن أصواتها: [مجزوء الرمل]

آخْ مــــن حُـــبُّـــك آخْ   آخْ مـــنـــه لابـــراحْ
إنـــمـــا تـــيّـــم قـــلـــبـــي   عـــقْـــدُ دُرٍّ ووِشَـــاحْ

والشعر للوليد بن يزيد، والغناء فيه مطلق في الطريقة الرابعة من الرمل.

وكذلك صوتها: [مجزوء الكامل]

هـبـو إلـى حـلـب الـكـرو   م مـزاجـه حـلـب بـالـسـحـاب
فـالـدهـر يـركـض فـاركـضـوا   ركـض الـمـشـيـب إلـى الـشـبـاب
ودعـــوا الـعـتـاب فـإنـه   وقـت يـجـل عـن الـعـتـاب

[٢٧٠] والشعر مجهول، والغناء فيه في خفيف الرمل المسرح.

ومنهم:

٢٥ ـ أبو العزِّ العَوَّاد

واسمه نصر الله بن أحمد، ويعرف بالبقري، وكان شاعراً مغنياً، ونديماً معيناً، حاذقاً في صناعته، نافقاً في سوق بضاعته، جيد الصوت، مليح النغم، صحيح الضرب، مذهبه مذهب الزُّطِّ في الحركة والخفة في المقاطع وصحة الإيقاع.

قال ابن ناقيا: ولـه غناء في عدة قطاع من شعري، ومن أصواته في شعر نفسه: [الطويل]

جـعـلـتـك لـي عـيـنـاً وأذنـاً لأنـنـي   أراك بـعـيـن الـود أشـرفَ مـنـهـمـا
واسـأل عـن الـقـلـب لا يَـحُـلُّـه   سـواك لـتـدري مـا يُـجـنُّ فـتـرحـمـا

والغناء فيه في الرمل المزموم.

ومنهم:

٢٦ ـ عَيْنُ الزَّمانِ أبو القَاسِم

مطرب لو غنى للجهام لهتن، أو لسالي الغرام لأثار له الفتن، بضربٍ أشجى من الورقاء، وأشد حنيناً من قلب المحب للقاء، لو سمعته صخرة الوادي لتفجري، أو مقلة القاسي لجرت، وله أصوات منها: [الكامل]

سترت بنفسج صدغها بنقابها ... وحمته بالتطريف من عنابها
بدوية ألفاظها ولحاظها ... والروم تستولي على أنسابها
شَرِق الجمال بحمرةٍ في خدها ... خجلاً فكاد يفيض ماء شبابها

والشعر لأبي الوليد أحمد بن محمد البخاري، والغناء فيه مزموم الرمل.

قال ابن ناقيا: أنشدني إياه عنه أبو محمد الحسن بن سهل بن خلف، شيخ من مشايخنا، مليح العارضة والمحاضرة، قد لقي جماعة من العلماء، وروى عنهم الأحاديث والأسانيد، وكان قد صحب الإخوان، وعرف الزمان وحلب الدهر أشطره وأتلف باللذة تالده في معاشرة من عاشره حتى سلب الشيب غرامه، وجلله ثغامه، فأيقظ حلمه، وألقى بين عينيه غرمه، فكان يحضر مجالس الأنس تعللا، لا حظٌّ له في غير السماع والمشاهدة والمحادثة والمناشدة، فبينا أنا وجماعة [٢٧١] من أبناء الأدب، حضور عند بعض الرؤساء على مذاكرة ومعاقرة، والشيخ قد انتظم في سلك اجتماعنا، ونثرت الأغاني عقودها في أسماعنا، قال الشيخ: بيوم من أيام الشبيبة، وقد حضر مجلساً كمجلسكم هذا، آهلاً من الأدب والطرب، وطرأ إلينا أبو الوليد البخاري، فأخذ في شأننا، ولم يَأْلُ في إنشادنا، وكان مطبوع الخلق، محتملاً للدعابة، فقلت له مازحاً: دعنا من أقطاعك الباردة، فقال: هل لك في الإنصاف؟ فقلت: أجل، فأنشد أبياته المذكورة، وقال: أمن الشعر البارد هذا؟ قلت: لا والله، وجعلت أعتذر إليه، وتعاطى روايتها جماعة الحاضرين شغفاً بها، واقترحها على بعض المغنين، فغنَّى فيها، وتصرم يومنا بسماعها، حتى أخذ منا الشراب، فيا له يوماً كأيام، ثم نطقت إشارته بالتأسف على ما مضى من زمانه، فقلنا له: نحن نتمم لك الحلف من يومك السالف باقتراح الغناء في الأبيات، وإليك ما يقتضيه

سماعها، وتقدمنا إلى أبي القاسم عين الزمان وهو حاضر، وكان له مذهب في حسن الإيقاع وجودة الاختراع، فغنى بها في هذا اللحن، فطار المجلس بأهله سروراً وطرباً وقام الشيخ الخَلَفِيُّ يصفق بيده ثم قال: والله لأؤدينّ هذا الصوت بنقض التوبة، وتناول كأساً فَسُرَّ بها فداخلنا العُجّب مما رأينا من ارتياحه وطربه، وصار الصوت من قلائد عين الزمان وخاص غنائه يُسميه ناقض التوبة.

ومنهم:

٢٧ ـ أبو العُبَيْس بن حَمْدُون

متقن للألحان، مؤثر في الألقاب تأثير بنت الحانْ، لو تغنى لمغنٍّ لأزال عنه النصب، أو عاد بعوده لمشف لأزال عنه الوَصَب، أو وقع على دفٍ لأغناه عن موصول القصب، يُطربُ السَّمْعَ ويُرْقِصُ في المجلسِ حتى الشَّمْعَ، يعرض دونه الغريض، ويرى علوية وقد انكسر لِخَفْضِ جناحه المهيض(١): [الطويل]

فـديتـك أعـــدائي كـثيـر وشـقـتـي ... بـعـيـد وأنـصـاري لـديـك قـلـيـل
وكـنـت إذا مـا جـئـت جـئـت بعـلّـةٍ ... فـأفـنـيـت عـلاتـي فـكـيـف أقـول؟
فـمـا كـل يـوم لـي بـأرضـك حـاجـة ... ولا كـل يــومٍ لــي إلـيــك رســول

[٢٧٢] والشعر ليحيى بن طالب الحنفي، ويُروى لابن الدمينة، والغناء فيه ثقيل أول مزموم، وكذلك من قلائد أصواته: [الخفيف]

بــأبــي أَنْــتَ شَــادِنــاً بـــي فَـظًّــا ... لـــم تَـدَعْ لـلـظِّـبَـاءِ عِـنْـدي حَـظًّـا
لـسـتُ أنـسَـاكَ مَـا حَـيِـيْـتُ وَلَـكِـنْ ... كُـلُّ يـومٍ تَـزيـدُ عِـنْـدِي وتـحَـظَـى

والشعر مجهول لا يعرف قائله، والغناء فيه ثاني ثقيل المجنب، وقد روى له المأمون صوتاً(٢): [الطويل]

---

(١) ابن الدمينة، الديوان: ١٨٧.

(٢) الشعر لمؤرج السدوسي: ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٠٥/٥.

لقَد جَعلَتْ نَفْسي على النَّأي تَنْطوي وَعَيني على فَقْد الحَبِيْبِ تنامُ
وفَارقتُ حَتَّى مَا أُبَالي مِنْ النَّوى وإن بان جيرانٌ عليَّ كِرَامُ

والشعر للطرماح ويروى لمؤرج السدوسي، والغناء فيه من الممخر من خفيف الثقيل.

ومنهم:

٢٨ ـ جَيْداءُ جَاريِةُ سَيْفِ الدُّوْلَة

ابن حمدان، وكانت أخت الغزالة محاسن، وشبه الغزال في نظر فاتن، إلى سِرٍّ فيها كامن، وسرى طرب يحرك كل ساكن، وخلائق كأنَّ نشر الصبا دَمَّثها، وكأن هاروت أو ماروت نفثها، لو اعترضت لسرية عبس لأوقفتها عن السَّرْح، أو سمعتها أذن بلقيس لألهتها عن الصرح، ولو تلمحت عن وجهها الأسارى لقالت إنه صرح مُمَرَّدٌ من قوارير، ومن مشاهير أصواتها: [المنسرح]

يا طُولَ شَوْقي إلى الرحيلِ غداً ويا بَلائِي مِنْهُ إذا وفَدا
أضْنَانِيَ الحُبُّ إذا تَعَرَّضَ بِي ما قَتَلَ الحُبُّ هَكَذا أبدا

والشعر لسيف الدولة، ويقال لغيره، والغناء فيه ثقيل أول مزموم.

وكذلك من أصواتها: [الخفيف]

لَكَ أَنْ تَمْنَع الجُفُونَ الهجوعَا ولنا أن نَسُحَّ فِيهَا الدُّمُوعَا
يا بديعَ الجمالِ أَبْدَعْتَ في الصَّدْ كما في هواك صِرْتُ بَدِيْعَا

والشعر لعلي بن محمد العلوي.

قال ابن ناقيا: ويغنِّى في الرمل المطلق، وحكيّ أنها كانت تنافث العلماء، وتطارح الشعراء، وكانت لا تزال تحضر مجلس سيف الدولة وراء ستر يسبل دونها، وهي بإزاء عين سيف الدولة، حيث ينظر[٢٧٣]، فلما أقام أبو الطيب المتنبي لديه ماثلاً، وأنْشَدَ في مدحه قائلاً قصيدته التي أولها[1]: [الطويل]

---

(١) المتنبي، الديوان: ١/٢٨١.

لِكُلِّ امرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا وعاداتُ سيفِ الدَّولةِ الطَّعْنُ في العِدى

اهتزت لها من وراء الستر طرباً، وصنعت لحناً في قوله منها: [الطويل]

تركت السرى خلفي لمن قل ماله وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا
وقيدت نفسي في هواك محبة ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

والغناء فيه رمل مطلق، فلم يفرغ أبو الطيب من إنشاده حتى فرغت من صنعته، ثم بعثت بالخادم إلى سيف الدولة تعلمه أنها صنعت لحناً فيه، فصرف الناس إلا خاصته، وأبقى أبا الطيب منهم، ثم قال: يا جيداء، هات ما صنعت، فاندفعت تغني الأبيات، قال أبو الطيب: فوالله ما ظننت إلا أن المجلس يرقص بنا، فاستعادها، ثم لم يزل يستعيدها وهي ترددها حتى مضت سحابة يومنا، وكأننا في كل مرة أول ما سمعناه، ثم أمر لي سيف الدولة بجائزة جليلة، فقلت: هي والله يا أمير[1] أحق بها، فسألتك بالله إلا ما جعلته لها، فقال: بل هي لك ولها مثلها.

ومن أصواتها السيارة في شعر ابن المعتز[2]: [الوافر]

وليلٍ قد سهرت ونام فيه ندامى صرعوا حولي رقودا
أنادم فيه قهقهة القناني ومزماراً يعللني وعودا
فكاد الليل يرجمني بنجم وقال أراه شيطاناً مريدا

والغناء فيه من الرمل المزموم، وقد ذكر الثعالبي[3] في اليتيمة لجيداء هذه خبراً مع سيف الدولة وأبي فراس بن حمدان قريبه غير أنه لم يُسَمِّهَا، قال: وكان سيف الدولة قلما ينشط لمجلس الأنس لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش، وملابسة الحروب، وممارسة الخطوب، فوافت حضرته إحدى المحسنات من فتيات بغداد، فتاقت نفس أبي فراس إلى

(١) الأصل: يا أمير المؤمنين، وهو وهم من الناسخ.
(٢) الديوان: ٩١/٢.
(٣) يتيمه الدهر: ٥٨/١.

سماعها، ولم ير أن يبدأ باستعارتها قبل سيف الدولة، فكتب إليه يحثه على استحضارها، فقال[1]: [السريع]

محلك الجوزاء أو أرفع ... وصدرك الدهناء وأوسع

[٢٧٤] وقلبك الرحب الذي لم يزل ... للجد والهزل به موضع

رفه بقرع العود سمعاً غدا ... قرع العوالي جل ما يسمع

فبلغت هذه الأبيات المهلبي الوزير، فأمر القيان بحفظها وتلحينها، وصار لا يشرب إلا عليها، انتهى.

ولعل هذه جيداء، وكان هذا قبل أن يشتريها سيف الدولة، أو لعلها جارية أخرى قدمت عليه ولم تَصِرْ إليه.

ومنهم:

٢٩ ـ القَاسِمُ بنُ زُرْزُر

ذكره ابن ناقيا، وشكره حقيقةً لا رياءً، وإذا غَنَّى سلّى الحزين فجعه، وسلب الحمام سجعه، وغرغر في المآقي دمعة المشوق، ومثل للمفارق طعنة المعشوق، كم هَزَّ غُصْنَ بانٍ، وأنسى المتيم الشغف مَنْ بان، وكان يُغنِّي في رسيل وآلةٍ ومن أصواته المشهورة[2]: [الطويل]

وركبٍ كأطراف الأسنة عرسوا ... على مثلها والليل يسطوا غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره ... وليس عليهم أن تتم عواقبه

والشعر لأبي تمام في قصيدة يمدح بها عبد الله بن طاهر، وهو على خراسان.

قال ابن ناقيا: وحُكِيَ انه لما أنشده إياها أمَرَ فَنُثِرَ عليه ألف دينار، ثم حمل إ ليه الجائزة بعد ذلك، والغناء فيه ثقيل مزموم.

---

(١) ابو فراس، الديوان: ١٦٤.

(٢) أبو تمام، الديوان: ١/١٢١.

ثم قال: وفي هذا المذهب من بحر المديد: [المديد]

يَا نَدِيمي الصُّبْحَ قَدْ وَضَحَا فَأَدْر لا تَحْبِسِ القَدَحَا
مَا تَرَى بردَ الهَوى عَبِقا بِنَسِيْم المِسكِ قَدْ نَفَحَا؟

وهذا البيت الثاني في نحوه ما يأتي من شعر فلتةً، ونحن في مجلس قد رُكِّبَ على نهر مُطَّرِدٍ كأنه أيمٌ فَرَّ من يد قاتله أو اضطرب في جوف مخاتله، والدوح قد مالت ذوائبه، والنسيم قد رَقَّ ولان جانبه، والليل قد جَلَّلَ الأفق مسكي رذاته، وَبَلَّلَ مطارف الثرى بأندائه، والقمر قد أقبل عرى طوق هالته، وجلا ضوؤه المنير حالك حالته: [البسيط]

[٢٧٥] لله مجلسنا والنهر مطرد كأنه ممعن قد جد في الهربِ
والدَّوْح قد مال مهتزاً بلا طرب فكيف لو حركته نشوة الطرب
وللنسيم بنا أخذ تلذ به كأنه أخذةُ الوسنان بالهدب
وهذا وقد ذرا مسك الليل جنح و لولا نوافجه في الليل لم يطب
وعندنا كل ذي ودٍّ نسر به هو السرور فدع عنك ابنة العنب
وأقبل البدر محفوفاً بهالته كمثل بيضاء في طرقٍ من الذهب

عدنا إلى ذكر زرزر، ومن أصواته: [مجزوء الكامل]

يا عين ما ظلم الفؤا د وما تعدي في الصنيع
ذوقته ألم الهوى فمحا سوادك بالدموع

والشعر مجهول: والغناء فيه من الممخر من ثاني ثقيل، ومن أصواته في شعر نفسه: [مجزوء الكامل]

بالرَّاحِ أعْمُرُ رَاحَتِي ما دامَ لي جَسَدي وروحي
وعلى النَّصِيح مَلامَتِي وعَلَيَّ عصيانُ النَّصيْح

والغناء فيه من مزموم الرمل.

ومنهم:

٣٠ ـ عَليُّ بنُ مَنْصُوْر الهَاشمي

إمام من أئمة الغناء، وتمام من البدور الكاملة السناء، يأخذ القلوب أخذة الوسن الوسنان، ويملك الألباب ملكة الجواد بالعنان، فلم يفتح على مثله طرف، ولا منح شبيه فضله صاحب ظرف، كان في فنه غريباً، وعلى بعده إلى النفوس قريباً.

وله أصوات منها: [مجزوء الرمل]

قل لمن ريقته مسـ ... ـك ونـد ونـدام
والذي حلل قتلي ... وهو محظور حرام
كل نار غير ناري ... فيك برد وسلام

والشعر لابن الحجاج، والغناء فيه في الرمل المزموم.

قال ابن ناقيا: وفي هذا المذهب صوت: [السريع]

يا ويح قلبي من تقلبه ... أبدا يحن إلى معذبه
قالوا كتمت هواه عن جلد ... ولَوَ انّ لي جلداً لبحت به

ومنهم:

٣١ ـ كُرْدُم بنُ مَعْبَد

ابن الوليد بن محمد بن معبد بن كردم بن معبد المديني، أحد المغاني الفصاح، وواحد أهل المباني الصحاح، له نسب مُعْرِقٌ لا يُدَانَى ذلك الأب أبوه، وذلك النسب بالطرب يحبوه لكنه لم تُنْقَل عنه أعمال، ولم تنحل المنى آمال، وله صوت هو[1]: [الخفيف]

قل لأحبابنا الجفاة رويداً ... درجونا على احتمال الملال

---

(١) أبو فراس، الديوان: ١٣٠.

أحسنوا في صنيعكم لمحبٍ لا عدمناكم على كل حال
إن الصدود من غير جرمٍ لم يدع فيّ موضعاً للمقال

والشعر لأبي فراس بن حمدان، والغناء فيه مِنْ الرمل المجنب.

ومنهم:

٣٢ ـ أحْمَدُ بنُ أُسَامَة النَّصْبِي(١)

كان من أسباب الطرب، وأشتات الأدب، لا يعدله في ضربه ضريب، ولا في نظرائه من يَصْبُو به اللبيب، يسلب الضاحي رداء الوقار، ويلبس الصاحي جلاء العقار، ويفعل طربه بالألباب، ما يفعله قرع المزاج بالحباب، إلى أدب ما قل له من نصيب، وطرب ليس هو من مثله بعجيب.

ومن مشاهير أصواته(٢): [الكامل]

أصبحت رهناً للعداة مكبلاً أمسي وأصبح في الأداهم أرسف
ولقد رآني قبل ذلك ناعماً جذلان آبي أن أضام وآنف

والشعر للأعشى، أعشى همذان، والغناء فيه مطلق من الطريقة الثالثة، وهي من خفيف الثقيل، والبيتان من قصيدة أولها:

لمن الظعائن سيرهن ترجف عوم السفين إذا تقاعس يجدف
مرت بذي خشب كأن حمولها نخل بيثرب طلعه متصفف
وغدت بهم يوم الفراق عرامس فتل المرافق بالهوادج دلف
بان الخليط وفاتني برحيله خود إذ ذكرت لقلبك تشغف

[٢٧٧] وسبب قول الأعشى هذه القصيدة أن الحجاج كان قد أغزاه بلد الديلم، فَأُسِرَ، ثم إن بنتاً للعلج الذي أَسَرهُ هَوِيَتْهُ، وصارت إليه ليلاً ومكنته فأصبح قد واقعها

(١) ترجم له في القسم الأول وأعاد الترجمة نقلاً عن ابن ناقيا.

(٢) الشعر لأعشى همدان، الصبح المنير: ٣٣٤.

ثماني مرات، فقالت: يا معاشر المسلمين، أهكذا تفعلون بنسائكم، فقال: هكذا نفعل كلنا، فقالت: بهذا الفعل نُصِرْتُم، ثم عاهدته أن يصطفيها لنفسه إن خلصته، فلما كان الليل حلت قيوده وأخذت طرقاً تعرفها حتى نجا. فقال الشاعر من أسرى المسلمين يُعَرِّض به(1): [الطويل]

فَمَنْ كَانَ يفديها مِنَ الأسْرِ مَالُهُ ... فهمدانُ تَفْدِيْهَا الغَدَاةَ...

ومن أصوات النصبي: [المتقارب]

أيَا دْهر وَيْلَكَ ماذا جَمِيلُ ... فؤادٌ عليلٌ وإِلْفٌ نَحيْلُ
كأني أرى شَخْصَهُ في المراةِ ... يَلُوحُ ومالي إليه سَبِيْلُ

والشعر لأبي الحسن محمد بن محمد البصروي، والغناء فيه من الطريقة الرابعة من الرمل.

ومنهم:

٣٣ ـ وَشِيْحَة

جارية من أهل منبج وناطقة لسنة، كأن أناملها على محضر العود سوسنة، لطيفة تُعْشَقُ وظريفة بسهام النواظر ترْشَقُ، لغنائها أخذة الكرى بالهدب، وهبة الصبا بالكتب، لم يسعد بها جد البحتري حيث حاطت، وإلى منهج التأمير، وحل منه بعد المتوكل محل السمير، ولا قَيَّضَ له هواها فكان لا يذكر علوية، ولا يَتَبَصَّرُ طيفَهَا ولو من علوه ويمنع برقها أن يُشَام، وجانب هواها ولم يَقُلْ يا دارَ عَلْوَةَ من أعالي الشام.

ومن أصواتها المشهورة(2): [المتقارب]

ولما عبثن بأوتارهن ... قبيل التبلج أيقظنني
عمدن لإصلاح عيدانهن ... فأصلحنهن وأفسدنني

(1) الأصفهاني، الأغاني: ٦/٤٣.
(2) كشاجم، الديوان: ٤٧٣.

والشعر لأبي الفتح كشاجم، والغناء فيه مطلق من الطريقة الثالثة، وهي من خفيف الثقيل.

ومنهم:

٣٤ ـ إسْرائِيْل اليَهُودِيّ

أثرى في أهل صناعته وتَخَوَّلَ، وخَلَفَ منهم إسرائيل الأول، إلا أ ن ضعة دينه وضَعَتْهُ، وضائقة دينه ما وسعته، فكان عند اليهود محرما، لكنه أدام درس [٢٧٨] الزبور، ولبس الحبور حتى أصلح عوج لسانه، وأوضح منهج إحسانه، فصبر لمعاداة أهل دينه واحتسب، وألهاه كثرة ما اكتسب.

ومن أصواته: [الطويل]

أيا نفحات الريح من أرض بابل ... بحق الهوى إلا حملت رسائلي
فإن لصحراء الغوير منازلاً ... لأحبابنا أكرم بها من منازل
وفيها التي هام الفؤاد بحبها ... وكم سائل لم يحظ منها بطائل
تعلقها بالأمس خلواً من الهوى ... فقد شغلته اليوم من كل شاغل

والشعر لأبي بكر العنبري، والغناء فيه خفيف الثقيل المعلق، وكذلك صوته في شعر أبي الهندي: [البسيط]

أَبَا الوليدِ أمَا واللَّه لو عَمِلتْ ... فيكَ الشَّمُولُ لما فَارقْتَهَا أبدا
فلا نَسِيْتَ حَمَيَّاها ولذَّتَهَا ... ولا عَدَلْتَ بَهَا مَالاً ولا وَلَداَ

ومنهم:

٣٥ ـ يَحْيَى جَارِيَةُ أبي مُحَمَّد المَهلَّبي

وكانت جارية تملأ العين، وتفرع العِيْن، لو رأها عيينه لما لبث بلحظه أن رشقها، أو أبو يزيد البسطامي، لما زاد في أن بسط عذر من عشقها، هيفاء رؤد بيضاء، تطول

بحدق سود مُخَضَّرةٌ تزدانها عقودها، وترفُّ إليها رفيف الخزامى بان كل نجودها، ومن أصواتها: [المتقارب]

تـأوب عـيـنـي طـيـف ألـم لـطـارقـة طـرقـت فـي الـظـلـمِ
تـخـيـل مـنـهـا خـيـال سـرى لـتـسـلـب حـلـمـي بـذاك الـحـلـم
فـمـا أنـس لا أنـس إذ أقـبـلـت تـمـيـس كـغـصـن سـقـتـه الـديـم
عـلـى رأسـهـا مـعـجـر أخـضـر وفـي جـيـدهـا سـبـح مـن بـرم

والشعر لأبي الفرج الأصفهاني، والغناء فيه من خفيف الثقيل المزموم، وحكى أبو الفرج قال: أنفذ إليَّ الوزير أبو محمد المهلبي ذات ليلة خمسة آلاف درهم صلةً، لا أعرف سببها، فلما حضرت مجلسه من الغد على العادة في المنادمة قلت: لقد خفت أن يكون الرسول قد أخطأ القصد فيما حملة إليّ، وإن كان لا ينكر خطرات كرم الوزير، فقال: إني جلست البارحة على الشرب وَخَرَجَتْ إليَّ يحيى وفي يدها عودها، وعليها قناع أخضر، وفي عنقها مخانق البرم، فذكرت أبياتاً في قصيدة أنشدتها مُعِزَّ الدولة، وذكر [٢٧٩] هذه الأبيات، قال: فأنْشَدْتُهَا إيَّاها، فَغَنَّتْ فيها، وتقدمت بإنفاذ الدراهم إليك، فقلت: هي الآن صلة أخرى بالسكون إلى علم سببها وشكرته على فعله.

ومنهم:

٣٦ ـ عِنَانُ جَارِيةُ النَّطاف(١)

مهاترة أبي نواس، ومظهرة غرائب الأنفاس، لم يبلغ مبلغها في المولدين امرأة من النساء، ولا حظِيَ بمثلها أحدٌ من الرؤساء، ولا سُمِعَ مثلُ شعرها إلا مِنَ الخنساء، وغلبت على هوى الرشيد غلبةً أوهنت عرقة، وأوهنت حدقه، حتى كاد ينضب بها جدول أُمِّ جعفر، وتمر ماردة وتكفر، فنصبت لها أُمّ جعفر أشْراكَ الحيل، ومدت لها طوائل الطيل، وأقامت من أبي نواس لها قرناً منابذاً، ورامياً إليها سهماً نافذاً، مقبحاً لحسنها، ومبغضاً لأحبها، حتى سَفَّهَ رأي الرشيد، ونَكَّدَ فيها علة عيشه الرغيد.

---

(١) شاعرة ومغنية، توفيت سنة ٢٢٦هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٨٤/٢٣، الأماء الشواعر: ٢٣.

قال أبو الفرج[1]: نشأت باليمامة وتأدبت، وهَمَّ الرشيد أن يبتاعها، ثم منعه هجاء الشعراء لها، وكان ذلك بكيد من زبيدة، دخلت عليه وهي تتبختر، فقال لها: أتحبين أن أبتاعك؟ قالت: ولم لا أحب ذلك يا أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً قال: أما الخلق فظاهر، وأما الخُلُقُ فما علمك به؟ قالت: رأيت شرارة قد طاحت من المجمرة حين جاء الغلام بالبخور إليك، فسقطت على ثوبك فأحرقته، فوالله ما قبضت لها وجهاً، ولا راجعت في جنايتها حرفاً، فقال لها: والله لولا أن العيون قد ابتذلتك لاشتريتك، ولكن لا يصلح للخلافة ما هذا سبيله، فاشتراها طاهر ابن الحسين.

وروى الأصمعي قال: بعثت إليَّ أم جعفر أن أمير المؤمنين قد لهج بذكر عنان، فإن صرفْتَهُ عَنْهَا فَلَكَ حُكْمُكَ، قال: فالتمست وقتاً لخطابه فأعوز، وكنت أهابه فلا أقدم عليه ابتداءً، فرأيت يوماً في وجهه أثر الغضب فانخزلت فقال: مالك، قلت: رأيت في وجه أمير المؤمنين أثر الغضب، فقال: هذا الناطفي مولى عنان: أما والله لولا أني لم أَجُرْ في حكم قط متعمداً، لجعلت على كل حبلٍ منه قطعةً، ومالي في جاريته أَرَبٌ غير الشعر، فقلت: أجل ما فيها غير الشعر، أويَسُرُّ أميرَ المؤمنين أن يُجَامِعَ الفرزدق، فضحك حتى استلقى وترك ذكرها[2].

وحكى يعقوب بن إبراهيم، أن الرشيد طلب من الناطفي جارية، فأبى أن يبيعها بأقل من مئة [٢٨٠] ألف دينار، فقال له: أعطيتكها على صرف سبعة دراهم بدينار، فأمر أن تحضر، فَأُحْضِرَتْ ثم لم يمض البيع، ولم تزل في قلب الرشيد حتى مات مولاها الناطفي، فبعث بمسرور الخادم، فأخرجها إلى باب الكرخ، وأقامها على سرير، وعليها رداء رشيدي قد جللها، فنودى عليها، بعد ان شاور الفقهاء فيها، وقال: على مالكها دين، فأفتوا في بيعها، فانتهت إلى مئتين وخمسين ألف درهم، فأخذها مسرور، ولم يكن فيها ما يُعَابُ، فطلبوا لها عيباً لئلا تصيبها العين، فأوقعوا بخنصر رجلها شيئاً في ظفرها،

(١) الأماء الشواعر: ٢٣.
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٤٠-٤١.

فأولدها الرشيد ابنين ماتا صغيرين، ثم خرج بها إلى خراسان، فمات هناك، وماتت بعده بمدةٍ يسيرة[1].

وروى ابن عمار أنها خرجت إلى مصر وماتت بها حين اعتقها النَطَّاف، ورثته بقولها[2]: [الكامل]

يـا دَهْـرُ أفْـنَـيْـتَ الـقـرونَ ولـم تَـزَلْ   حَـتَّـى رَمَـيْـتَ بِـسَـهْـمِـكَ الـنَّـطَـافـا

وكانت مجيدة في الشعر مقصرة في الغناء، جارت مروان بن أبي حفصه وأبا نواس والعباس بن الأحنف، وكان يتعشقها العباس بن الأحنف.

حكى رجل أن ابن أبي حفصة قال: لقيني الناطفي فدعاني إلى عنان، فانطلقت معه إليها، فقال لها: قد جئتك بأشعر الناس مروان، وكانت عليلةً، فقالت: إني عنه لفي شغل، فأهوى إليها بسوطه، فضربها به، فبكت، فرأيت الدموع تنحدر من عينيها فقلتُ: [السريع]

بَـكَـتْ عَـنَـانٌ فَـجَـرى دَمْـعُـهَـا   كَـالـدُّرِّ إذ يَـنْـسَـلُّ مِـنْ خَـيْـطِـهِ

فقالت مسرعة بديهةً: [السريع]

فَـلَـيْـتَ مَـنْ يـضـربُـهَـا ظَـالـمـاً   تَـيْـبَـسُ يُـمْـنَـاهُ عـلـى سَـوْطِـهِ

فقلت للنطاف: أعتق مروان ما يملك إن كان في الإنس والجن أشعر منها[3].

وأنشدها أبو نواس[4]: [المنسرح]

عَلِقْتُ من لو أَتى عَلى أنْفُسِ الما   ضِـيـنَ والـغـابِـرِيْـنَ مـا نَـدَمَـا

فقالت[5]:

لـو نَـظَـرَتْ عَـيْـنُـهُ إلـى حَـجَـرِ   وَلَّـد فَـيـه فُـتُـوْرُهَـا سَـقَـمَـا

---

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٤١.
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٤٢.
(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٢٤-٢٥ وفيه الشعر.
(٤) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٢٧.
(٥) الأصفهاني، الإماء الشواعر، ٢٧.

وحكى أحمد بن معاوية قال، قال لي رجل تصفحت كتباً، فرأيت فيها بيتاً جهدت جهدي [٢٨١] أن أجد أحداً يجيزه لي فلم أجده، فقال لي صديق لي: عليك بعنان، فأتيتُها فَأَنْشَدْتُهَا وهو:

وما زال يشكو الحب حتى رأيته تنفّس من أحشائها وتكلّما

فقالت بديهاً: [الطويل]

ويبكي فأبكي رَحْمَةً لِبُكَائِهِ إذا ما بَكى دَمْعاً بَكِيْتُ لَهُ دَمَا[1]

وحكى الحسن بن وهب قال: دخلت على عنان يوماً، فسألتني أن أقيم عندها، ففعلت، وأتينا بالطعام والشراب، فأكلنا وشربنا، وغنتني، فكان غناؤها دون شعرها، فشربت ستة أرطال ونكتها خمسة، وضجرت فقالت لي: ما أنصفت، شربت ستةً ونكت خمسةً، فتغافلت وقلت: غني صوتي: [الطويل]

خليلي ما للعاشقين قلوب ولا للعيون الناظرات ذنوب
ويا معشر العشاق ما أبغض الهوى إذا كان لا يلقى المحب حبيب

فغنت: [الطويل]

وكتبت عنان على عصابتها باللؤلؤ: (إذ لم تستح فاصنع ما شئت)

وقال هبة الله بن إبراهيم بن المهدي: أنشدني أبي لعنان[2]: [الكامل]

نفسي على حسراتها موقوفه فوددت لو خرجت مع الحسرات
لو في يديَّ حساب أيامي إذاً أنفقتهن تعجلاً لوفاتي
لا خير بعدك في الحياة وإنما أبكي مخافة أن تطول حياتي

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر، ٢٥
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٤٠.

ومنهم:

٣٧ ـ دَنَانِيْرُ جَارِيةُ مُحَمَّد بن كُنَاسَة(١)

جارية لا تُسَامُ بألوف، ولا تنفر عن ألوف، أجادت في الشعر كل الإجادة وزادت فيه على الشعراء حتى استبعدت أبا عبادة، وشدت من الغناء شدواً، وقنعت منه بما جاء عفواً، وكان ملهيةَ النوادر، مسرعة البوادر، تشد إزارها على الكثيب وتعدل قوامها إلا على الكثيب، كانت مَوَلَّدةً من مُوَلَّدَات الكوفة [٢٨٢] رَّباها ابن كناسة وأدَّبها، فخرجت شاعرة أديبة فصيحة، وقيل إنها كانت تغني، وكان ابن كُنَاسَةَ دِّيناً صالحاً، وهو ابن خالة إبراهيم بن أدهم، وذكر علي بن عثام الكلابي قال: كان لابن كُنَاسَةَ صديق له يُكَنَّى أبا الشعثاء، وكان عفيفاً مَزَّاحاً، فكان يدخل على ابن كناسبة يسمع غناء جاريته دنانير ويعرض لها بأنه يهواها، فقالت فيه شعراً منه(٢): [الرمل]

لأبـــي الـشَّـعْـثَـاءِ حُـبٌّ ظَـاهِـرٌ ... لـيـسَ فِـيْـهِ مَـطْـعَـنٌ لـلـمُـتَّـهَـمْ
يـا فُـؤَادِي فَـازْدَجِـرْ عَـنْـهُ وَيَـا ... عَـبَـثَ الـحُـبِّ بـهِ فَـاقْـعُـدْ وَقُـمْ

ومنهم:

٣٨ ـ فَضْل اليَمَامِيَّة(٣)

جارية المتوكل وهي المعروفة بفضل الشاعرة، أجلُّ أن تكون أخت الخنساء، أو تقعَ في تخت أحد من الرؤساء، جارت الفحول وجبذت وقيدتهم الوحول، ومهرت في القريض، وَحَبَّرَتْ منه الروض الأريض، وعلقت فيه القرناء، وقد ذكرها صاحب كتاب الإماء(٤) قال: كانت من مولدات البصرة، وبها نشأت، وذكر محمد بن داود أنها عبدية، وكانت تزعم أن أمها علقت بها من مولى لها من عبد القيس، وأنه مات وهي حامل

---

(١) مغنية وشاعرة انظر الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٤٥.
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٤٦.
(٣) جارية مولدة من مولدات البصرة. انظر: الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٤٩، الأغاني: ١٩/١٩٩.
(٤) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٤٩-٥٠.

بها، فباعها ابنه فولدت بعد بيعها واسترقت، وكانت سمراء حسنة الوجه والقد والجسم، شكلة حلوة أديبة فصيحة سريعة الهاجس، حادة الخاطر، مطبوعة في الشعر متقدمة فيه، وكانت تجلس في مجلس المتوكل على كرسي وتقارض الشعراء الشعر بحضوره، فألقى عليها يوماً أبو دلف(١): [الكامل]

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم | أشهى المطي إليَّ مالم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة | لبست وحبة لؤلؤ لم تثقب

فأجابته بديها(٢): [الكامل]

للناس أهواء ولذة بعضهم | وهواه في الأمر الذي لم يصعب
ويرى سواه يحب بكراً كاعباً | كم بين بكرٍ في القياس وثيِّب

وكتب إليها بعض من كان يحضرها(٣): [الطويل]

ألا ليت شعري أنت هل تذكرينني | فذكرك في الدنيا إلي حبيب(٤)
[٢٨٣] وهل لي نصيب في فؤادك ثابت | كما لك عندي في الفؤاد نصيب
فلستُ بمتروك فأحيا بزورةٍ | ولا النفس عند اليأس عنك تطيب(٥)

فكتبت إليه(٦): [الطويل]

نعم وإلهي إنني بك صبة | فهل أنت يا من لا عدمت مثيب(٧)
لمن أنت منه في الفؤاد مُصَوَّرٌ | وفي العين نصب العين حين تغيب

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٥
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٥١.
(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٦١.
(٤) في الإماء الشواعر: عنك هل تذكرينني.
(٥) في الإماء الشواعر: ولست بموصول.
(٦) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٦١.
(٧) الأصل: نعم والهوى والمثبت من الإماء الشواعر.

فشق بفؤاد أنت تُظهر مثله على أن بي سقماً وأنت طبيب

وقال علي بن يحيى: دخلت على المتوكل يوماً، فدفع إليَّ رقعةً وأمرني بقراءتها، فإذا فيها[1] [مجزوء الكامل]

قد بدا شبهك يامو لاي يحدو بالظلام
فأجب نقض لبانا ت اعتنقا والتزام[2]
قبل أن تفضحنا عو دة أرواح النيّام

قلت: مليح والله قائلها، لمن هو؟ قال: وعدتني فضل البارحة على أن أبيت معها، فسكرت سكراً شديداً منعني من التيقظ لها، فلما أصبحت وجدت رقعتها في كمي، والشعر لها وهو بخطها[3].

وروى أبو هفان عن رجل قال: خرجت قبيحة على المتوكل في يوم نيروز وفي يدها كأس من بلور فيه شراب صافٍ، فقال: ما هذا؟ فقالت: هديت إليك في هذا اليوم، عرفك الله يمنه، فشربه وقَبَّل خدَّها، فقالت فضل[4]: [السريع]

سلافة كالقمر الباهر في قدح كالكوكب الزاهر[5]
يديرها خِشْفٌ كبدر الدجى فوق قضيب أهيف ناضر
على فتىً أروع من هاشمِ مثل الحسام المرهف الباتر

وحكى أحمد بن أبي طاهر قال: ألقى بعض أصحابنا على فضل[6]: [الطويل]

وَمُسْتَفْتِحٍ بَابَ البلاءِ بِنَظْرةٍ تَزَوَّدَ مِنْها قَلْبُهِ حَسْرَةَ الدَّهْرِ

---

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٦٢.
(٢) في الإماء الشواعر: قم بنا نقض... التئام والتزام.
(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٦٢-٦٣.
(٤) الأصهفاني، الإماء الشواعر: ٦٣.
(٥) في الإماء الشواعر: سلافة كالقمر الزاهر.
(٦) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٦٤.

فقالت[1]: [الطويل]

فَوَاللـه مَـا يَـدْرِي أيـدري بـمـا جَـنَـتْ عَـلَـى قَـلْـبِـه أم أهْـلَـكَـتْـهُ ومَـا يَـدْرِي[2]

[٢٨٤] وحكى أبو يوسف الضرير قال: صرت أنا وأبو منصور الباخرزي إلى فضل الشاعرة، فحجبنا عنها، وما علمت بنا، ثم بلغها خبرنا بعد انصرافنا، فكتبت إلينا تعتذر[3]: [الطويل]

ومَـا كـنـتُ أخْـشَـى أن تَـرىَ لـي زَلَّـةً ولـكـن أمَـر الـلَّـهِ مَـا عَـنْـهُ مَـهْـرَبُ
أعــوذُ بِحُسْنِ الصَّفْحِ مِنْكُم وقَبْلَنَا بِـعَـفْـوِ وَصَـفْـحِ مـا تَـعَـوَّذَ مُـذْنِـبَ

فكتب إليها أبو منصور[4]: [الطويل]

لـئـن أهـديـت عـتـبـاك لـي ولإخـوتـي لـمـثـلـك يـا فـضـل الـفـضـائـل تـعـتـبُ
إذا اعـتـذر الـجـانـي مـحـا الـعـذر ذنـبـه وكـل امـرئ لا يـقـبـل الـعـذر مـذنـبُ

وحكى عليٌّ بن الجهم قال: كنت يوماً عند فضل الشاعرة فلحظتها لحظة استرابت بها، فقالت[5]: [الرجز]

يـــا رُبَّ رامٍ حَـــسَـــنٍ تَـــعَـــرَّضُـــهْ يَـرْمِـي ولا يَـشْـعُـر أنِّـي غَـرَضُـهْ

فقلت: [الرجز]

أيُّ فَـتَـىَ عَـهْـدُكِ لـيْـسَ يُـمْـرِضُـهْ وأيُّ عَـهْـدِ مُـحْـكَـمِ لا يَـنْـقُـضُـهْ

فضحكت وقالت: خذ في غير هذا الحديث[6].

---

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٦٤.
(٢) الأصل: ما يدري أيدي، والمثبت من الإماء الشواعر.
(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٦٤.
(٤) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٦٤.
(٥) الأصفهاني، الأماء الشواعر: ٦٩.
(٦) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٦٥ وفيه الشعر.

ومن شعرها ما كتبت إلى سعيد بن حميد، فكان منهما ما كـــان[1]: [الكامل]

الـصَّبْر يـنـقـــصُ والـسَّـقَـامُ يـزيـدُ ... والـدَّار دانـيــــةٌ وأنـــتَ بـعـيـدُ
أشـكُـوكَ أم أشـكُـــو إلـيـكَ فَـإنَّـهُ ... لا يـسـتـطـيـعُ سِوَاهُـمـــا الـمـجـهـودُ

وكتبت[2]: [الطويل]

وعيشك لو صرحت باسمك في الهوى ... لأقصرت عن أشياء في الجد والهزل
ولـكـنـني أبـدي لـهـذا مـــــودة ... وذلـك وأخـلـو مـنـك خـلـوة ذي خـبـل
مـخـافـة أن يـغـرى بـنـا قـول كـاشـح ... عـدواً فيسعى بالصدود على الوصل

فكتبت إليها[3]: [الطويل]

تـنـامـيـن عـن لـيـلـي وأسـهـره وحـدي ... وأنـهـى جـفـونـي أن تـبـثـك مـا عـنـدي
فـإن كـنـت لا تـدريـن مـا قـد فـعـلـتـه ... بـنـا فـانـظـري مـاذا عـلـى قـاتـل الـعـمـد

[٢٨٥] وحكى القاسم بن زُرْزُر قال: قصد سعيد لِحُمى نالته، فسألتني فضل أن أساعدها أنا وعريب، في المضي إليه للسلام عليه، وأهدت إليه هدايا فيها ألفُ جدي وألف دجاجة فائقة وألف طبق فاكهة، وطيب كثير وشراب وتحف حسان، فكتب إليها سعيد: إن سروري لا يتم إلا بحضورك، فجاءته في آخر النهار، وجلسنا نشرب، واستأذن غلامه بنان، فأذن له فدخل إلينا وهو يومئذ شاب طرير حسن الوجه، حسن الغناء، سَرِيُّ الملبوس كثير العطر شَكِلٌ، فذهب بفضل كل مذهب، وبان ذلك في إقبالها عليه، وتحققها به، فتنمر سعيد واستطيرَ غضباً، وتبين ذلك لبنان فانصرف، وأخذ سعيد يعذلها ساعة ويوبخها تارة ويزيد في تأنيبها، وهي تعتذر منه، ثم سكت، فكتبت إليه فضل[4]: [مجزوء الكامل]

يـــــا مـــن أطـلــت تـــفــرُّســي ... فــــي وجـــــهـــهِ وتــنــفــسِّــي

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٦٩
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٥٣ وجاءت على قافية الدال.
(٣) الأصفهاني، الإماء، الشواعر: ٥٣.
(٤) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٥٥.

أفـديـك مـــن مُـتـدلّــل يـزهـي بـقـتـل الأنـفـسَ
هـبـنـي أسـأت ـ ومـا أسـأ ت ـ بـلـى أقـرُّ أنـا الُـمـسِيـي
أحـلـفـتـنـي أن لا أسـا رق نـظـرةً فـي مـجـلـسـي
فـنـظـرت نـظـرة مـخـطـئ أتـبـعـتـهـا بـتـفـرسـي
ونـسـيـت أنـي قـد حـلـفـ ـت فـمـا عـقـوبـة مـن نـسـي؟

فقام سعيد لوقته وقبل رأسها، وقال: لا عقوبة عليك، بل نحتمل هفوتك ونتجافى عن زلتك، وغنت عريب في الشعر رملاً، وشربوا عليه بقية يومهما ذلك، ثم افترقا، وقد أثر بنان في قلبها أثراً، وعلقته، ولم تزل تواصله سراً حتى ظهر أمرها، ثم غضب بنان على فضل في أمر أنكره، فاعتذرت فلم يقبل، فكتبت إليه كأنها تخاطب نفسها[(١)]: [السريع]

يـا فَـضْـلُ صَـبْـراً إنَّـهَـا مِـيْـتَـةٌ يَـجْـرعُـهَـا الـكـاذِبُ والـصـادقُ
ظَـنَّ بـنـانُ أَنَـنّـي خُـنْـتُـهُ رُوحـي إذاً مِـن جَـسَـدِي طَـالِـقُ

ومنهم:

٣٩ ـ [تيماء جارية خزيمة][(٢)]

وكانت مدنية شاعرة جريئة، ذا عورة ضحوك لعوب، كَشلى دَلَالٍ لا يعتريها لغوب [٢٨٦] تجرُّ على الغواني ذيلاً، وتخسف البدور ليلاً، وتخطئ المتيم الذي يقول: [الطويل]

وخـبـرتـمـانـي أن تـيـمـاء مـنـزل لـلـيـلـى

وأجادت في الشعر، ولم تقصر في الغناء، ولم تدع لمن بعدها غير الغناء، ومن شعرها[(٣)]: [البسيط]

---

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٥٨.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة من الإماء الشواعر: ٧٣ وفيه ترجمتها.
(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٧٣.

تفيدك تيماء من سوء تحاذره فأنت مهجتها والسمع والبصر[1]
لئن رحلت لقد أبقيت لي حزناً لم يبق لي معه في لذة وطر
فهل تذكرت عهدي في المغيب كما قد شفني الهم والأحزان والفكر

وحكت أنها عرضت على خزيمة هي ووصيفةٌ بكرٌ حلوة الوجه، فمال إليها، وأقبل عليَّ كالمعتذر فقال: [الكامل]

قالوا عشقت صغيرةً فأجبتهم

البيتان[2]

فقلت[3]: [الكامل]

إن المطِيّةَ لا يلذُّ رُكُوبهَا حَتَّى تُذَلَّلَ بالَّزمَامِ وَتُرْكَبُ
والدُّر ليسَ بِنَافعٍ أصحابها حَتَّى يُؤَلَّف بالنظام وَيُثْقَبُ

هكذا رواهما أبو الفرج في كتاب الإماء، قالت تيماء، فضحك واشترانا معاً، ثم غلبتها عليه، ولها غناء فيهما.

ومنهم:

٤٠ ـ سُكُون جَارِيَة طَاهِر بن الحُسَيْن[4]

وكانت بيضاء مولدة بادية السناء، حسنة الوجه والغناء، ربيت في دار ابن بسخنر بن محمد، وأخذت الغناء عنه وعن ابنه وبناته وجواريه، وتلقت عن إسحاق وطبقته، واستحسنها إبراهيم الموصلي وسائر رفقته، وأعجب بها ابن المهدي، واهتز لصوتها الندي، وكانت مبرزة في الشعر، تعد من الشعراء، وتلحق منهم بالرجال لا بالنساء،

(١) في الإماء الشواعر: تفديك نفسي.... فأنت بهجتها.
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٧٤.
(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٧٤.
(٤) انظر عنها: الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٧٥.

وسمعها إبراهيم الموصلي فاستحسن طبعها، وقال: ليت شعري هذا السيف لمن يشحذ. وحظيت عند طاهر بن الحسين ثم غلبتها عليه جارية أخرى انقطع إليها مدة، ثم جاز بحجرة سُكُون، فوثبت إليه وقبلت يديه فاستحيى منها وقال: الليلة أزورك، فتأهبت لذلك وتزينت وتعطرت، وأنسي طاهر فلم يأت إليها، فكتب إليه[1]: [الوافر]

ألا يـا أيُّـهـا الـمـلِـكُ الـهُـمَـامُ لأمِـرِكَ طَـاعَـةٌ ولَـنَـا ذِمَـامُ
طَـمِـعْـنَـا فـي الـزيـارة والـتَّـلاقـي فَـلَـمْ يَـكُ غَـيْـرُ عُـذْرٍ والـسَّـلامُ

فلما أتَتْهُ رقعتها حَرَّكَتْهُ وهاجَتْ دواعيه وأطربته، فقام إليها ودخل مسارعاً عليها [٢٨٧] فأقام عندها ثلاثاً، وأبرم لها حبله الذي كان أنكاثا، وعاد لها إلى ما كان عليه، وعلى ما لم يزل لديه[2].

ومنهم:

٤١ ـ فُنُونُ جَارِيَةُ يَحْيَى بن مُعَاذ[3]

وكانت كاتبة شاعرة، حلوة الوجه، والنادرة، بارعة في الغناء عزيزة لا تسام بالغلاء، وهي القائلة[4]: [البسيط]

يـا ذا الـذي لام فـي تـحـريـق قـرطـاسـي كـم مر مثلك في الدنيا على راسي
الـحـزم تـحـريـقـه إن كـنـت ذا أدب وإنـمـا الـحـزم سوء الـظـن بـالـنـاس
إذا أتـاك وقـد أدى أمـانـتـه فـاحـفـظ أسـاطـيـره عـن كـل وسـواس
واشـقـق كـتـاب الـذي تـهـواه معتمـداً فـرب مـفـتـضـح فـي حـفـظ قـرطـاس

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٧٦.
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٧٥- ٧٦.
(٣) انظر عنها: الأصفهاني، الأماء الشواعر: ٧٧.
(٤) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٧٧.

ومنهم:

٤٢ ـ صرح جَارِيَة أمّ حُصَيْن[١]

مولى جعفر بن سليمان، وكانت جارية مليحة، وشاعرة فصيحة، ومغنية حسنة الوجه والغناء، كأن الشمس من أخواتها، والمورق في لهواتها، من مولدات البصرة، ومتوكدات الحسرة، ولها في الغناء صنعة بديعة، ذكر الهاشمي منه هذا الصوت[٢]: [الطويل]

كريم يغض الطرف فرط حيائه ... ويدنو وأطراف الرماح دوان[٣]

وكالسيف إن لاينته لان متنه ... وحداه إن خاشنته خشنان

ولحنه في خفيف الرمل.

وكتب إليها عبد الصمد بن المعذل[٤]: [السريع]

حبوت صرفاً بهوى صرف ... لأنها في غاية الظرف

يا صرف ما تقضين من عاشق ... بكاؤه يبدي الذي يخفي

فكتبت إليه[٥]: [السريع]

لبيك من داعٍ أبا قاسم ... حبك يدنيني من الحتف

صرف الذي يصفيك صرف الهوى ... وخلته جلت عن الوصف

---

(١) انظر عنها: الأصفهاني: الإماء الشواعر: ٧٩ وفيه أسمها صدق وفي الشعر تالياً اسمها صرف.
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٧٩.
(٣) في الإماء الشواعر: فضل حيائه.
(٤) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٨٠.
(٥) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٨٠.

ومنهم:

٤٣ ـ نسِيْمُ جَارِيَةُ أحْمد بن يُوسِف الكَاتِب(١)

شاعرة مغنية، زاهرة عن الكواكب مغنية، مولَّدة مولِّده لكل صبابة طبعت عليها [٢٨٨] النفوس، وكأنه خلعت عليها فلا ينزع لها لبوس.

وهي القائلة في سيدها وقد مات(٢): [الكامل]

ولو أن حياً هابه الموت قبله ... لما جاءه أو جاء وهو هيوب
ولو أنَّ حياً قبله صانه البلى ... إذن لم يكن للأرض فيه نصيب

وكذلك هي القائلة فيه(٣): [البسيط]

نفسي فداؤك لو بالناس كلهم ... ما بي عليك تمنوا أنهم ماتوا
وللورى ميتة في الدهر واحدة ... ولي من الهم والأحزان موتات

ومنهم:

٤٤ ـ عَارِم جَارية وليهدة النخاس(٤)

مُوَلَّدةٌ من مُوَلَّدَاتِ البصرة، والمولِّدَاتِ في القلوب الحسرة، باعها مولاها فابتاعها بعض الكتاب، وحلت منه محلاً لم يبلغه العتاب.

قال الخاركي الشاعر: مرت بي عارم يوماً وأنا مخمور، فاستوقفتها وقلت لها(٥): [الرجز]

(١) انظر عنها: الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٨١.
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٨١.
(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٨١.
(٤) انظر عنها: الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٨٣.
(٥) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٨٤.

ومنهم:

٤٥ ـ سَلْمَى اليَمَامِيَّة[(١)]

جارية أبي عباد، وكانت فتنةً للنظر، ومحنة لمن بات من العشق على غرر، وهي القائلة في رثاء[(٢)]: [الكامل]

يا نازحاً شط المزار [به] شوقي إليك يجل عن وصفي[(٣)]
أسهرت عيني في تفرقنا ما التذ بعدك بالكرى طرفي
أغفي لكي ألقاك في حلمي ومن الكبائر ثاكل تغفي

ومنهم:

٤٦ ـ مُرَاد جَارِيَة عليّ بنِ هِشَام[(٤)]

مُولدةٌ مِنْ مولدات المدينة، صفراء كأنها الذهب، هيفاء كأنها مال بها الطرب، اشتراها علي بن هشام لما حج وكانت تقول الشعر في معاني فتوحه، وتداني به ما يهتز به [٢٨٩] من مديحه، وغضبت عليه مرةً وهجرته، وعرض إلى ترضيها فزجرته، فكتب إليها[(٥)]: [الكامل]

لئن كان هذا منك حقاً فإنني مداوي الذي بيني وبينك بالهجر
ومنصرف عنك انصراف ابن حرةٍ طوى وده والطي أبقى على النشر

فكتبت إليه[(٦)]: [الطويل]

إذا كنت في رقي هوى وتملكٍ فلا بد من صبرٍ على غصص الصبر

---

(١) انظر عنها: الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٨٥.
(٢) الأصفهاني، الأماء الشواعر: ٨٦.
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة من الإماء الشواعر.
(٤) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٨٧.
(٥) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٨٨.
(٦) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٨٨.

وإغضاء أجفانٍ طوين على قذى ... وإذعان مملوكٍ على الذل والقسر
فذلك خير من معاصاة مالك ... وصبر على الإعراض والصد والهجر

ومنهم:

٤٧ ـ مُتيَّمُ الهِشَامِيَّة(١)

كانت تعبث بالشعر فإذا قالته تجيده، وقادته لا يأبى عليها شريده، وعلى أنه بحر لم تقع إلينا منه إلا فريده، قال لها المأمون أجيزي(٢): [الطويل]

تعالي يكن للكتب بيني وبينكم ... ملاحظة نومي بها ونشير
فعندي من الكتب المشومة خيرة ... وعندي من شؤم الرسول أمور

فقالت(٣): [الطويل]

جعلت كتابي عبرة مستهلة ... وفي الخد من ماء الجفون سطور

وهي القائلة(٤): [السريع]

يا منزلاً لم تبل أطلاله ... حاشا لأطلالك أن تبلى

الأبيات، وفيه صنعة رمل على طريق النوح، وقد ذكر في أخبار المعتصم.

ومنهم:

٤٨ ـ سَمْرَاءُ وهِيْلانَة(٥)

شاعرتان فاخرتان، ومُوَلَّدتَانِ للقلوب مفسدتان، من مُوَلَّدَاتِ الحجاز، ومجددات

(١) الأصل: الهاشمية وقد سبق أن ترجم لها في القسم الأول.
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٩٢.
(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٩٢.
(٤) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٩٢.
(٥) انظر عنهما: الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٩٥.

الهوى الذي ماله حجاز، وكان يجمع لمعارضة الشعراء لهما أهل الآداب ووجوه الكتاب.

قال أبو الشبل البرجمي الشاعر: دخلت إلى سمراء فتحدثنا ساعة، ثم أنْشدْتَها بيتاً لأبي المستهل في المعتصم[1]: [المتقارب]

أقــام الإمـــام مـــنـــار الـــهـــدى وأخـــرس نـــاقـــوس عـــمـــوريـــه

ثم قلت لها: أجيزي، فقالت[2]: [٢٩٠] [المتقارب]

كـسـانـي الـمـلـيـك جـلابـيـبـه ثـيـابـاً عـلاهـا بـسـمـوريـه
فـأعـلـى افـتـخـاري بـهـا رتـبـتـي وأذكـى بـبـهـجـتـهـا نـوريـه

ثم أكلنا عندها، وخرجت من عندها، فأتيت هيلانة، فقالت: من أين يا أبا الشبل؟ فقلت: من عند سمراء، فقالت: قد علمت أنك تبتدئ بها، وكانت سمراء أجملهما، فقالت: وأعلمُ أنها لم تدعك حتى أكلتَ عندها، قلت: أجل، قالت: فهل لك في الشرب، قلت: نعم، فأحضرت شراباً، فشربت منه، ثم قالت: أخبرني بما جرى بينكما، فأخبرتها، قالت: هذه المسكينة كانت تجد البرد، واحتاجت إلى سمورية، فهلا قالت[3]: [المتقارب]

فـأضـحَـى بـهِ الـديـنُ مُـسْـتَـبْـشَـراً وأَضْـحَـتْ زنـادُ الـهُـدى مـوريَـه

فقلت لها: أنت في كلامك أشعر منها في شعرها، وشعرك فوق شعراء أهل عصرك[4].

(١) الأصفهاني، الأماء الشواعر: ٩٦.
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٩٦.
(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٩٦.
(٤) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٩٦.

ومنهم:

٤٩ ـ ظَلُوم جَارِيَة مُحَمَّد بن مُسْلِم[١]

وكانت شاعرة ماهرة، وناثرة باهرة، وكاتبة قادرة ومغنية محسنة، سريعة البادرة، كانت لأبي صالح محمد بن مسلم الكاتب، ثم باعها لبعض الكتاب، فاستفادت عنده طرائق الآداب، واستزادت فوق ما يحتاج إليه في هذا الباب.

قال جعفر بن قدامة: حدثني أحمد بن أبي طاهر: كان محمد بن مسلم لي صديقاً، وكان يقال له أبو الصالحات، فرأيت جاريته يوماً إلى جانبه وعلى رأسها كور منسوج بالذهب مكتوب عليه بخط أحسن من كتب[٢]: [الطويل]

وإني على الود الذي قد عرفتمُ ... مقيم عليه لا أحول على العهد
وذلك أدنى طاعتي لمحبتي ... كأيسر ما أطفي به علة الوجد

فقلت لها: ما أملح هذا الشعر الذي على كورك، قالت: هو شعري أفتحب أن أغنيك به؟ قلت: أجل، فغنته أملح غناء، ثم اشتراها بعد ذلك فتى من الكُتَّاب[٣].

ومنهم:

٥٠ ـ عَاذِلُ جَارِيةُ زينب بنت إبراهيم الهَاشِميَّة[٤]

من أحسن الناس شعراً وغناءً، وسناً وسناءً، إلى محيا وسيم، وقوام كما [٢٩١] عبث بِغُصْنِ البان النسيم، ورقة معاطف كأنما تصبّب من قطراتها المدام، ولين بشرةٍ كأنما تصوَّبَ من خطراتها الغمام، وكان إبراهيم بن العباس الصولي بها سكران لا يفيق، ونشآنَ لا يأنس إلى رفيق.

قال أبن السخي: وكان مولاتها زينب بنت إبراهيم أخت عبد الوهاب بن إبراهيم تقيِّن

---

(١) كانت شاعرة كاتبة مغنية. انظر عنها: الأصفهاني: الإماء الشواعر: ٩٧.
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٩٧.
(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ٩٧.
(٤) انظر عنها الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١١٣.

عليها وتخرجها إلى الوجوه بِسُرُّ مَنْ رأى، وكانت كاملة في الظرف، وكان إبراهيم بن العباس ممن اخرجتها عليه، فمالت إليه وأصفتهُ هواها، فلم يكدر له جوةٌ، ولا تنكر له دَوُّه، وامتنعت من جماعة كانوا يهوونها واحتجبت عنهم حتى كأنهم ما كانوا يرونها، ثم إن إبراهيم علق غيرها جاريةً كانت للواثق أهداها إليه بعض ملوك الأتراك، فخرجت بعد وفاة الواثق حرة، كانت ولدت منه بنتاً، فلما واصلها جفا ظلوم وظلمها في الوفاء، وأضرمها بنار لا تعاجل بالانطفاء، فلما رأت تكدره، وتَبَيَّنَتْ تغيره لها وتنكره، كتبت إليه[1]: [المنسرح]

يا ناقضاً للعهود [ليتا] بمن ... بعدك من أهل صبوتي أثق[2]
وأسوأتا واستجبت لي أبداً ... إن ذكر العاشقون من عشقوا
لا غرني كاتب له أدب ... ولا ظريف مهذب لبق

قال إبراهيم بن الصولي: فلما قرأت الأبيات: أخذني مثل الجنون عليها، ثم هجرت الواثقية وأقبلت عليها، ولم نزل على مصافاةٍ ومواصلة حتى قطع الموت بيننا، وقرب حينُنا حنيننا[3].

ومنهم:

٥١ ـ رَيَّا وظَمْيَاء[4]

مُوَلَّدَتَان يماميتان، هما الشمس وأختها، والخَطِيَّةُ وتحتَها غصن بانة، ومعطفا ريحانة، وغزَالا سَرْبٍ، وقسيما شرب، وقمرها لـه ومقلتها، ظبي أفلت من حباله.

حكى أحمد بن خلف قال: حدثني أحمد بن سهل وكان أحد كتاب صاعد، قال: سمعت الحسن بن مخلد يحدث، أن رجلاً نَخَّاساً من اليمامة قدم بجاريتين شاعرتين على المتوكل، فنظر إلى إحديهما، فقال: ما اسمك؟ قالت: ريا، قال: أنت

---

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١١٤.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الإماء الشواعر.
(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١١٣-١١٤.
(٤) انظر عنهما: الأصفهاني: الإماء الشواعر: ١١٥.

شاعرة؟ قالت: كذا زعم مالكي، قال: فقولي في مجلسنا شعراً ترتجلينه، وتذكرينني وتذكرين الفتح، فوقفت هنيهة ثم قالت[1]: [الطويل]

أقول وقد أبصـــرت صورة جعفـــر إمام الـهدى والـفتح ذا العز والـفخر

[٢٩٢] أشمس الضحى أم شبهها وجه جعفر وبدر السماء الـفتح أم شبـهه البدر

فالتفت إلى الأخرى، ثم قال: وقولي أنت، فقالت[2]: [الطويل]

أقـول وقـد أبـصـرت طـلـعـة جـعـفـر تـعـالـى الـذي أعـلاك يـا سـيـد البـشرِ

وأكـمـل نـعـمـاه بـفـتـحٍ نـصـيـحــــة فـأنـت لـنـا شـمـس وفتح هـو الـقـمـــر

فأمر أن تُشْتَرى الأولى وَتُرَدَّ الأخرى، فقالت المردودة: ولم رددتني يا مولاي؟ قال: لأن بوجهك نمشاً، فقالت[3]:

لـم يـسـلـم الـظـبـي عـلـى حـسـنـه يــومــاً ولا الــبــدر الــذي يــوصــفُ

الـظـبـي فـيـه خـنـس ظـاهـــــر والـبـــــدر فـيـه نـكـت تـعـرفُ

فاشتراهما معاً، ولم يفرق لهما مجمعاً، إلى أن فرق بينهما الدهر المشتتُ، وبت اجتماعهما صرفُ الزِّمان المُبتِّتُ.

ومنهم:

٥٢ ـ بَنَان جَارِيَة المُتَوَكِّل[4]

وكانت تخجل القمر بصفحتها، والغزال بلمحتها، والقضيب المتأود بقدها، والتفاح الجِنّي بخدها، وتغير القلائد بنظمها الذي لا يُحَلّيه إلا مبسمها، ولا يضاهية إلا الثريا لمن يتوسمها، لا تجيء عريب لها بأصبع من بنانٍ، ولا دنانير إلا مما يُدَّخَر للامتنان، ولا سابقة لا تلحق إلا وهي معها في طَيّ عنان.

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١١٥.
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٢٦.
(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١١٦.
(٤) انظر عنها: الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٢١.

قال الفضل بن العباس الهاشمي: حدثتني بنان الشاعرة المتوكلية قالت: خرج المتوكل يوماً يمشي في صحن القصر وهو يتوكأ على يدي ويد فضل الشاعرة فأنشد[1]: [الطويل]

تعلَّمْتُ أسبابَ الرِّضَا خَوفَ هَجْرِها وعَلَّمَهَا حُبِّي لها كيفَ تَغْضَبُ

ثم قال لنا: أجيزا هذا البيت، فقالت فضل[2]: [الطويل]

تَصُدُّ وأبدي بالمودَّةِ جاهداً وتبعُد عَنِّي بالوصال وأقربُ[3]

وقلت أنا[4]: [الطويل]

وعِنْدِي له العُتْبَى على كُلِّ حالةٍ فَمَا عَنْهُ لي بُدٌّ ولا عَنْهُ مَذْهَبُ[5]

ومنهم:

٥٣ ـ رَيَّا جَارِيَةُ إسْحَاقَ[6]

وكانت مولدة ربيت باليمامة، وتربت على غناء أشجى من تغريد اليمامة، وكانت صفراء كأنما [٢٩٣] تجر معصفرات الجلابيب، أو تُكسى مصفرات الذهب الصبيب، هذا إلى حلاوة تؤكل بالعيون، وحسن لا يقضي منه عدات الديون، وكانت شاعرة لو فاوضت النساء أو أوجبت عليهن الفخر، أو باكت الخنساء لما كانت لها عينان تجري على صخر، وطالما تمناها مُتيمٌ لو أن الأيام ساعدت، وظل لا يزيد على أن يقول: [الطويل]

حَنَنْتَ إلى ريَّاً وَنفْسُكَ باعَدَتْ

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٢١.
(٢) الإصفهاني، الإماء الشواعر: ١٢٢.
(٣) في الإماء الشواعر: تصد وأدنو.
(٤) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٢٢.
(٥) في الإماء الشواعر: فما منه لي بد.
(٦) انظر عنها: الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٢٣.

حكى حماد بن إسحاق الموصلي قال: اشتراها أبي لما حج، وكان يحبها ويستحليها وهي التي تقول فيه[1]: [مجزوء الخفيف]

يـا لـذيـذَ الـمـعـانَـقَـهْ يـا كـثـيـرَ الُـمـفَـارَقَـةْ[2]
جُـزْتَ يـا مُـنْـتَـهـى الـمُـنـى فـيَّ حَـدَّ الُـمـوافَـقَـهْ
وأنَـا دَوْنَ مَـنْ تَـرى لـك والـلَّـهِ عَـاشِـقَـهْ[3]

قال حماد: وفيه لحن من الرمل لبعض جوارينا، إما صيد وإما دمن وكانت قد أخذت عنهما الغناء وسرقته من إسحاق[4].

ومنهم:

٥٤ - [مَحْبُوبَة جَارَيةُ الُمتَوَكِّل][5]

وكانت ضرة الشمس، ومسرة النفس، قيد كل ناظر، وأمنية كل خاطر، لو حدرت في الليل قناعها لابيضت غرابيبه، واتَّقَدَتْ بطلائع الصباح جلابيبه، أحسن من الريم سالفة وحدقا، وأكثر من الإغصان أعطافاً ومعتنقا، هذا إلى صفاءٍ فيه لا تناول، وصفاء لا يقاس به الشمول، وإجادة في الشعر لا يعرف لذات خمارٍ، ولا يعد للأخيلية معها إلا ما يُحكى في أكاذيب الأسمار، تَنْحَطُّ عنها رتبةً عُليَّة أخت إبراهيم، وترد عنان وقد أصبحت حدائقها كالصريم.

قال أبو الفرج في كتاب الإماء[6]: كانت مولدة شاعرة مغنية متقدمة في الحالين على طبقتها، وكانت حسنة الوجه والغناء، أهداها عبد الله بن طاهر للمتوكل في جملة

---

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٢٣.
(٢) في الإماء الشواعر: يا كريه المفارقة.
(٣) البيت لم يرد في الإماء الشواعر.
(٤) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٢٣.
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الإماء الشواعر: ١١٧ وفيه ترجمتها.
(٦) الإماء الشواعر: ١١٧.

أربعمائه فيهن قيان وسواذج، فتقدمتهن جميعاً عنده، ولما قتل صارت إلى وصيف، فلزمت النسك حزناً ووفاءً للمتوكل، حتى أراد وصيف قتلها، فاستوهبها منه بغا، فأعطاه إيَّاها فأعتقها [٢٩٤]، وقال: أقيمي حيث شئت، فانحدرت عن سر من رأى إلى بغداد وأخملت نفسها إلى أن ماتت.

قال[١]: وحدثني جعفر بن قدامة عن عليٍّ بن الجهم قال: كنت يوماً بحضرة المتوكل وهو يشرب ونحن بين يديه، إذ دفع إلى محبوبة تفاحة مغلفة بغالية، فقبلتها وانصرفت عن حضرته إلى مجلسها، ثم خرجت جارية لها ومعها رقعة، فدفعتها إلى المتوكل، فقرأها وضحك ضحكاً شديداً، ثم رمى بالرقعة إلينا، فإذا فيها: [المنسرح]

يا طيبَ تُفَّاحةٍ خَلوتُ بها ... تُشْعِلُ نارَ الهوى على كَبِدي
أبكي إليها وأشتكي دَنَفي ... وما أُلاقي من شِدَّةِ الكَمَدِ
لو أنَّ تفاحةً بكتْ لَبَكتْ ... من رحمةٍ هذهِ التي بيدي
إنْ كنتِ لا تعلمينَ ما لَقِيتْ ... نفسي فَمِصْدَاقُ ذاكَ في جسدي
وانْ تأمَّلْتِهِ علمت بأن ... ليسَ لخَلْقٍ عليه من جَلَدِ

قال: فما والله [بقي][٢] أحد إلا استظرفها واسْتَمْلَحَ الأبيات، وتقدم المتوكل إلى عريب وشارية أن يصنعا في الأبيات لحناً، فصنعتا لحنين وغنتا بهما.

وحدثني جعفر بن قدامة قال: حدثني علي بن يحيى المنجم، قال: قال المتوكل لابن الجهم وكان يأنس به ولا يكتمه شيئاً: يا عليُّ إني دخلت على قبيحة الساعة فوجدتها قد كتبت اسمي على بياض ذلك الخد، فقل في هذا شيئاً، وكانت محبوبة جالسة من وراء الستارة تسمع فسبقت علينا على البديهة، وقالت[٣]: [الطويل]

وكاتبةٍ بالمِسْكِ في الخَدِّ جَعْفرا ... بنفسي مَخَطُّ المِسْك من حيث أثرا

---

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١١٨ وفيه الشعر.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الإماء الشواعر.

(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١١٩.

لَئِنْ كتَبَتْ في الخَدِّ سَطْراً بِكَفِّها لقد كتبتْ بالقلب في الحُبِّ أسطرا[١]

فيا مَنْ لـــمملوكٍ لُملكِ يَمينهِ مُطِيْعٌ لــــهُ فيما أسَرَّ وأظْهَراَ[٢]

ويا مَنْ مُنَاهَا في المنِيَّةِ جعفرٌ سقى اللَّهُ عَهْداً من ثناياك جَعْفَرا[٣]

وأنشدتها للمتوكل، فبقي علي بن الجهم واجماً لا ينطق بحرف، وغنت عريب بهذه الإبيات[٤].

وحدثني جعفر قال: حدثني علي بن يحيى أن جواري المتوكل تفرقن بعد قتله، فصار لوصيف عدة فيهن محبوبة، فأصبح يوماً وأمر بإحضار الجارية والجواري [٢٩٥] فأحضرن وعليهن أصنافُ الثياب والحلي متزينات متعطرات، سوى محبوبة، فإنها جاءت شعثاء مُتسلبة، عليها ثياب بيض، فغنين وطربن وشرب وصيف وطرب، ثم قال لمحبوبة: غني، فغنت على العود[٥]: [مجزوء الخفيف]

أيُّ عــيــشٍ يــطــيــبُ [لــي] لا أرى فــيــه جــعــفــرا[٦]

مَــلــكــاً قَــدْ رأتْــهُ عَــيْــنــي صــريــعــاً مُــعَــفَّــرا[٧]

كُــلُّ مَــنْ كــان ذا سَــقَــا مٍ وحُــزْنٍ فــقــد بَــرَا

غــيــرَ مــحــبــوبــةَ الــتــي لــو تــرى الــمــوتَ يُــشْــتــرى

لاشــتــرَتْــهُ بــمــا حَــوتُـــه جــمــيــعــاً لِــتُــقْــبَــرا[٨]

فأشتد ذلك على وصيف وهم بقتلها، فأستوهبها منه بغا، فأعتقها وأطلقها حيث

---

(١) في الإماء الشواعر: لقد اودعت قلبي من الحب أسطرا.

(٢) الأصل: للملوك بدلا من المملوك والمثبت من الإماء الشواعر.

(٣) في الإماء الشواعر: السريرة بدلاً من المنية.

(٤) الأصفهاني، الأغاني: ١١٩.

(٥) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١١٩/١٢٠.

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الإماء الشواعر، وفيه، أي عيش يلذ لي.

(٧) في الإماء الشواعر: طريحا معفرا.

(٨) في الإماء الشواعر:

لاشــتــرتــه بــمــلــكــهــا كــي تــوار وتــقــبــرا

أحبت، فلم تزل متسبله حتى ماتت[1].

وحدثني جعفر قال: قال علي بن يحيى بن الجهم قال: غاضب المتوكل محبوبة فاشتد عليه بُعدها، ثم جئته يوماً فحدثني أنه رأى في النوم أنها صالحته، ودعا له بخادم، فقال له: اذهب فاعرف لي خبرها، فمضى وعاد فأعلمه أنها جالسة تغني، فقال: ما ترى إلى هذه؟ أنا غضبان عليها وهي تغني، ثم قال: قم معي حتى نسمع ما تغني به، فقمنا حتى انتهينا إلى حجرتها، فإذا هي تغني[2]: [مُخَلَّع البسيط]

أدوُر في القَصْرِ لا أرى أحداً ... أشكو إليه ما يُكَلِّمُني
حتَّى كأنَّي أتيتُ معصيةً ... ليست لها توبةٌ تُخَلِّصُني
فهل لنا شافِعٌ إلى ملكٍ ... قد زارني في الكرى فصالَحني
حتى إذا ما الصباحُ لاحَ لنا ... عادَ إلى الهجرِ فصارَمَني

قال: وطرب المتوكل فأحَسَّتْ به، فخرجت إليه وخرجنا نتبادر، فأعلمته أنها رأته في النوم قد صالحها، وأنها صالحته في النوم، وقد صنعت تلك الأبيات وغنت فيها، وحَدَّثَها بما رأى، فتعجبا جميعاً، واصطلحا، وأقاما يشربان يومهما[3].

ومنهم:

٥٥ ـ أمَل جَارِيَة قَرِيْن النَّخَّاس[4]

أخذت من الأقمار غرتها ولزَّتْ بالشمس فكانت ضرتها، جاءت في غرة الشباب [٢٩٦] وجالت من الحسن جلباب، وأصبحت تترشقها النظرات، وتتشوقها في أوراقها النضرات، لو بدت للأيام لجلت بكرها الوضاح، أو للبدر لتستر بالغمام خشية الافتضاح.

وحكى أبو حفص الشطرنجي قال: قال لي صالح بن الرشيد: إن لقرين النخاس

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٢٠.
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٢٠.
(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٢٠.
(٤) انظر ترجمتها، الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٢٥.

جارية شاعرة، فاعترضها وعرفني خبرها، فدخلت إلى قرين فأخرج إلي جارية حسنة طريفة حلوة المنطق، فقلت: ما اسمك؟ قالت: شيء إذا بلغته نلت المنتهى، قلت: إذاً أمل، فضحكت، فقلت: يقول لك الأمين[1]: [مجزوء الكامل]

أسأل المهيمنَ خالقَ الـ ... ـخلقِ الكثير ورازقه
أنْ لا أموتَ بغُصَّتي ... يوماً وأنت مفارِقَهْ

فأخذت دَرجاً وكتبت[2]: [مجزوء الكامل]

لا بلْ أراكِ وأنتِ لي ... مملوكةٌ ومعانقَه
لو كنت أعلم أن نفسـ ... ـك في المحبة صادقه
لدنوتُ منك ولو علو ... ت إلى الجبالِ الشاهقَهْ
هل قولهُمُ جميـ ... ـعاً فاسقٌ أو فاسقَةْ
وكذاكَ نحن فكأنما ... ذا عاشِقٌ مع عاشِقَهْ

وقالت: ادفع هذا الجواب إلى الأمين، فأتيته بخبرها وجوابها فَسُرَّ بِهِ وأمر بابتياعها[3].

ومنهم:

٥٦ ـ رَابِعَة جَارِيَة إسْحَاق بن إبراهيم المَوْصِليّ[4]

غراء تستنير الأيام بصنعها، فرعاء تستذم الليالي بفرعها، جيداء لا تلتفت إلى الغزال، غيداء لا تصلح إلا للأغزال، أجلب للعِلَّةِ من السَّقمِ، وأجلى من النعم المجلية لآثار النقم، مع سهم ضاربٍ في الشعر والغناء، وخلائق تسام فيها العلاء.

---

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٢٥.

(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٢٦.

(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٢٥-١٢٦.

(٤) انظر ترجمتها: الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٣٣ وفيها أسمها: رائقة.

قال الأصفهاني[1]: كان يقال إنها أخت مخارق، ويقال: كانت صاحبته نشآ في موضع واحد، شاعرة مولدة.

وقال[2]: اخبرني جعفر بن قدامة، قال: أنشدني عبد الله بن طاهر لرابعة: [مجزءو الكامل]

[٢٩٧] قلْ للأميرِ المصعبيِّ ... أخي المكارمِ والمِنَنْ
والمشتري الحمدَ الرفيـ ... ـعَ بما يجلُّ من الثَّمَنْ
إذا المدامةَ بكرةً ... واشربْ على الوجهِ الحسنْ
واغْنَمْ سُرورَك عاجلاً ... من قبلِ أحداثِ الزَّمَنْ
إنْ لم تكُن فَطِناً لَما ... قد قُلْتُ من هذا فَمَن؟
عيشُ الفتى شُرْبُ المُدَا ... مِ وتَرْكِ ذاكَ من الغَبِنْ

وكتبت بها إلى إسحاق، فقال: لعمري إن ترك ما أشارت يغبن، واصطبح به أياماً معها وغنت.

ومنهم:

٥٧ ـ قَاسِم جَارِيَة ابنِ طَرْخَان[3]

ربيبة حجرٍ وحبيبة قلب لا تروع بالهجر، لو أشارت إلى القمر المخسوف لانجلى، أو الشمس في الكسوف لأبرزتها تجتلى، ما خطرت والمسك مُكَتَّمٌ إلا فاح، ولاسفرت إلا رأيت صفحات الصفاح، ولا نظرت إلا ذكت اللواعج، وأذكرت بالحنين إلى أوطانها النواعج.

قال الأصفهاني[4]: حكى يزيد بن محمد المهبلي عن إسحاق قال: دخل العباس

---

(١) الأماء الشواعر: ١٣٣.
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٣٣-١٣٤ وفيه الشعر.
(٣) انظر ترجمتها: الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٣٧.
(٤) الإماء الشواعر: ١٣٧-١٣٨ وفيه الشعر.

بن الأحنف على قاسم جارية ابن طرخان، وكانت شاعرة مغنية، فقال لها: أجيزي هذا البيت: [الكامل]

أهْـــدَى لَـــهُ أحْـــبَـــابُـــهُ أُتْـــرُجَّـــةً ... فَـبَـكـى وأشـفـقَ مـن عـيـافـةِ زاجـرِ

فقالت بديهاً: [الكامل]

مُـتَـطَـيـراً لـمـا أتَـتْـهُ لأنَّـهـا ... لـونـان بـاطـنـه مـخـالـفُ ظـاهِـرُ

ومنهم:

٥٨ ـ مَهَا جَارِيَة عَرِيْب[١]

وكانت جارية تسفر كالقمر الطالع، وتظهر كالنجم ما فيه أمل لطالع، تحلي العقد الرائع، وتحكي الظبي الراتع، تربية مثل عريب وهل تلك، ومن جواريها الحسان ردة في سلك، وكانت تجيد الشعر وتغني، وتزيد أمنية المتمني.

قال أبو الفرج الأصفهاني[٢]: قال سراج المالكي: كنت أهوى جارية لعريب يقال لها مها، فكانت في غنائها أديبة شاعرة، فكان سبب عشقي لها أدبها وغناءها، وتعرضتها وقتاً [٢٩٨] فكتبت لها بيتاً قلته: [البسيط]

كَيْفَ احتِيَالي بِنَفْسِي أنْتِ يا أمَلِي ... فـي زَوْرَةٍ مِـنْـكِ قَـبْـلَ الـنوم تُـحْـيِـيْـنِـي

فوقعت في ظهرها: [البسيط]

أنـفِـذْ صِـحَـاحَـكَ إنَّ الـشِّـعـرَ مَـفْـسَـدَةٌ ... بـضِـاعَـةُ الشِّـعرِ مِنْ نَقْـدِ الـمـجـانِـيْنِ[٣]

فبعت ضيعة لي بثلاثين ألف درهم، وأنفقتها عليها.

---

(١) انظر ترجمتها: الأصفهاني الإماء الشواعر: ١٤٣.

(٢) الإماء الشواعر: ١٤٣-١٤٤ وفيه الشعر.

(٣) في الإماء الشواعر: من نقد المغاليس.

ومنهم:

٥٩ ـ بديعة الكُبْرَى جَارِيَة عَرِيْب[١]

وكانت بديعة في الجمال، ونبعة للآمال، إلى صنعة غريبة، ولفتات للظنون مريبة، وحركات من حركات عريب قريبة، حتى لأصبحت بها تشبه المحسنات، وتنبه اللواحظ الوسنات، قام بها الحسن أتم القيام، وجلاها في صفة التمام.

قال الأصفهاني[٢]: كانت أحسن أهل دهرها وجهاً وغناءً، وقد ذَكَرْتُ من أخبارها في كتاب القيان، وكانت تقول شعراً ليس هو بمستحسن من مثلها، وكان إسحاق التغلبي يهواها، وخبره معها مشهور، فلم تفكر فيه حتى التقيا بحضرة المعتصم، ثم عرفت مقداره وأوصلته وزارته، فحدثني عَرَفَةُ وكيلُها قال: لما رأى إسحاق بن أيوب بدعة، وسمع غناءها زاد عشقه بها ومالت إليه، بعد انحراف ونفار وبغض له، وكانت تبعث بالشعر فكتبت إليه[٣]: [الخفيف]

كيفَ أصبحتَ سيدي وأميري عشتَ في نعمة وحبورِ
عَلِمَ اللَّهُ كيفَ كانَ اغتباطي ونعيمي وبهجتي وسروري
بلقاء الأمير لاعَدِمَتْ نَفْـ ـسي وعيني لقاءَهُ من أميرِ

فلما أوصلتها سُرَّ بها سروراً، وخلع عليَّ خلعة نفيسه من ثيابه، ووصلني بثلاثمائة دينار، وبعث معي بهدايا إليها فيها ألف دينار مُسَّيفَة قد أطبقت دينارين دينارين على غالية ودرج كبير من ذهب مملوء مشكاً وعنبراً ونِدًّاً، ومئة ثوب من ألوان الثياب وفاخرها وكتب إليها[٤]: [الخفيف]

أنا في نعمةٍ بقُرْبِكِ تفديـ ـكِ حياتي من مُفْظعاتِ الأمورِ

(١) انظر ترجمتها: الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٣٩ وفيه أسمها بدعة.
(٢) الأماء الشواعر: ١٣٩.
(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٤٠.
(٤) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٤٠.

بلغت مهجتي بقربكِ مِنّي أملي كلَّهُ وتَمَّ سُروري
[٢٩٩] وصلَ اللَّهُ ذاكَ ما عِشْنا وأبقاكِ لي بقاءَ الدُّهورِ

وحدثني عرفة قال: لما قدم المعتضد من حرب وصيف دخلت عليه بدعة فقالت: يا مولاي شَيَّبَتْكَ واللَّهِ هذه السفرةُ، فقال: دون ما كنت فيه يشيب، فقالت[1]: [الخفيف]

إنْ تَكُ شِبْتَ يا مليكَ البرايا لأمورٍ عانيتُها وخطوبِ
فلقَدْ زادكَ المشيبُ جَمالاً فالمشيبُ البادي كمال الأديبِ
فابقَ أضعافَ ما مضى لك في عزْ زٍ ومُلْكٍ وخِفْضِ عيشٍ رطيبِ

فطرب المعتضد لها وخلع عليها[2].

وقال لها يوماً: يا بدعة أما ترين الشيب كيف اشتغل في لحيتي ورأسي؟ فقالت: يا سيدي عمرك الله حتى ترى أولادك قد شابوا، فأنت والله في الشيب أحسن من القمر، وفكرت طويلاً ثم قالت هذه الأبيات، وغنت بها[3]: [مجزوء المجتث]

ما ضَرَّكَ الشَّيْبُ شيئاً بل زِدْتَ فيهِ جمالا
قد هذَّبتكَ الليالي وزِدْتَ فِيهِ كمالا
فَعِشْ لنا في سرورٍ وأنعمْ بعيشكَ بالا
تزيُد في كُلِّ يومٍ وليلةٍ إقْبَالا

فوصلها بصلة سنية، من ثياب ومال وطيب كثير[4].

---

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٤١.
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٤٠-١٤١.
(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٤١.
(٤) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٤١.

ومنهم:

٦٠ - مَثَل جَارِيَةُ إبْرَاهيم بن المُدَبِّر(١)

جارية طالما غنت فأطربت، وسميت مثلاً وما ضربت، طلبت الشعر وخاضت لجج البحور، وأضاءت منه بالدرر في النحور، فاقت في الجواري، وفاتت المُجاري، وشغفت سيدها، وشغلت بضرب العود يدها، حتى عدت الأضراب، وعَدّت في التراب الأتراب.

ذكرها صاحب كتاب الإماء و قال الأصفهاني(٢): حدثني جعفر بن قدامة، قال، حدثني إبراهيم بن المدبر، قال: اشتريت جارية شاعرة مدنية يقال لها مثل، وقد تعالت سني وكبرت، فلما كان الليل خلوت بها، فأردتها فلم تنهضني الشهوة، فخجلت منها فقلت لها: [٣٠٠] [البسيط].

قَدْ يُدْرِكُ المتَأَنّي بعضَ حَاجَتِهِ ... وقَدْ يكونُ مع المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

فقالت مجيبةً غير متوقفة بديهاً:

وَرُبَّمَا فاتَ بعضَ القومِ أمرُهُم ... مع التَأَنّي وكلُّ الحزمِ لو عَجِلوا

فأزداد والله خجلي، ثم علمت أن فيها ما في المدنيات من الشبق وأنا عجزا عن بلوغ رجائها، فبعتها كارها غير راض.

ومنهم:

٦١ - [نَبْت جَارِيَة مَحْفِزانَة](٣)

جارية يجور قدها المعتدل، ويجوز الوهم به على المعتقل، يستنطق ألحاظها الجمود، ويشق نظرها القلوب قبل الجلود، يقل قضيباً في نقا، وتقل صبر أهل التقى،

---

(١) انظر ترجمتها: الأصفهاني: الإماء الشواعر: ١٢٧.

(٢) الأماء الشواعر: ١٢٧ وفيه الشعر.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الإماء الشواعر: ١٢٩ وفيه ترجمتها.

البدر تحت خمارها إلا أ نه غير جانح، واللهب في وجناتها إلا أنه بين الجوانح علقت المستوفز لسماعها، وحطت رجال الركائب للإقامة بعد إزماعها، بحسن غناء ما أوتيته جارية، ولا وعته أذن إلا وانهلت الدموع جارية.

قال الأصفهاني(١): كانت مغنية محسنة، وأخبرني جعفر بن قدامة قال، حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: دخلت على نَبْت يوماً، وكانت حسنة الوجه والغناء، فقلت: [البسيط]

يـا نَـبْـتُ حُـسْـنُـكِ يُـغْـنـي بـهـجـةَ الـقَـمَـرِ

فقالت:

قَـدْ كَـان حُـسْـنُـكَ أن يَـبْـتَـزَّنِـي بَـصَـرِي

ووقفت أنا فسبقتني هي فقالت: [البسيط]

وَطَيْبُ نَشْرُكِ مِثلُ المسكِ قَدْ نَسَمَتْ	رَيَّا الُّرياضِ علـيه في دُجَى السَّحَرِ

فثبط طبعي فقالت: [البسيط]

فَـهَـل لَـنَـا مِـنْـكِ حَـظٌّ فـي مُـوَاصَـلـةٍ	أو لا فـإنـي راضٍ مـنـك بـالـنَّـظَـرِ

فقمت من عندها محتمشاً من انقطاعي عن مساجلتها، ثم عرضت ذلك على المعتمد فاشتراها فامتحنها في الكتابة والغناء فأرضته.

وكان أول صوت غنته شعر عريب وصنعتها لعريب في المعتمد وهو(٢): [الكامل]

سَـــنَـــةٌ وشَـــهْـــرٌ قَـــابِـــلٌ بـــســـعـــودِ

وقد مضت الأبيات في أخبار عريب فأغنت عن إعادتها، فطرب المعتمد، وتبرك بما استفتحت [٣٠١] به، ثم قال لابن حمدون: قارضتها بشعر، فقال: [مجزوء الرجز]

وهـــب نَـــفْـــسِـــي لـــلـــهَـــوَى

(١) الإماء الشواعر: ١٢٩ وفيه الشعر.
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٣٠.

فقالت:

فَـــجَـــارَ لَّـــمـــا أن مَـــلَـــكْ

فقال لها:

فَـــصِـــرْتُ عَـــبْـــداً خَـــاضِـــعَـــاً

فقالت:

يـــســـلـــكُ بـــي حَـــيْـــثُ سَـــلَـــكْ(١)

ومنهم:

٦٢ - [صاحب جَاريَة ابن طِرْخَان النخاس](٢)

وكانت شاعرة مغنية، تنظم الشعر وتصنف مذهبه، وتفوق مذهبه بما يسوغ الطرب، ويسول للنفس الأدب، هذا إلى جمال فتان، وكمإ تم فيه الحسن والإحسان، وكان ابن أبي أمية يهواها هوى يخالط صميمه ويخالل صبابته القديمة، فكتب إليها(٣): [الكامل]

إنـي رأيـتُـكِ فـي الـمـنـام كـأنَّـمـا ... عـاطَـيْـتِـنـي مـن ريـقِ فِـيْـكِ الـبـاردِ
وكـأنَّ كـفَّـك فـي يـدي وكـأنَّـمـا ... بـتـنـا جـمـيـعـاً فـي فـراشٍ واحـــد
ثـم انـتـبـهـتُ ومـعـضـداك كـلاهـمـا ... بيدي اليمين وفي يمينِكِ ساعدي

قال فأجابته(٤): [الكامل]

خـيـراً رأيـتَ وكـلُّ مـا عـايـنـتَـهُ ... ستـــنـــالُـهُ مِنِّي برغـــم الـحـاسـدِ
إنَّـي لأرجـو أنْ تـبـيـتَ مُـعَـانـقـي ... وتـظـلَّ مـنِّـــي فـوقَ ثـديِ نـاهـدِ

---

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٣٠-١٣١.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الإماء الشواعر: ١٣٥ وفيه ترجمتها.

(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٣٥.

(٤) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٣٦.

ونبيتُ أنعَمَ عاشقينِ تفاوضا طرفَ الحديث بلا مخافة واحد

ومنهم:

٦٣ - [جلُّنار جَارية أخت رَاشِد بن إسحاق الكوفي الكاتب](١)

جل نار منها في الخدود، وجُلنار ثمرة رمان النهود، من مولدات الكوفة، ومولّيات العيون على القلوب المخوفة، شاعرة تأتي بالعجب، ومغنية ترى استقطاع هوى العشاق من بعض ما وجب.

قال عيسى بن القاشي الكاتب: كانت لأخت راشد جارية يقال لها جلنار، وكانت مليحة حسنة الغناء حسنة الشعر، فحدثني راشد أخو مولاتها قال: عشقتها وهمت شغفاً بها، وعلمت أُختي بذلك فحجبتني عنها أشد حجاب، إلا بأن أبتاعها بحصتي من ضيعة ورثتها أنا وهي عن أبينا، وحلفت أن لا تبيعها إلا بذلك، فشاورت ثقات إخواني، فعابوا هذا عليَّ، ونهوني عن إتيان ذلك، وضننت أنا بالضيعة أن تخرج من يدي، ثم غلبني ما أجده، فقلت(٢): [المتقارب]

أيُعْذَلُ صَبٌّ عن وَجْدِهِ وقَدْ لَجَّ مَوْلاهُ في صَدِّهِ
[٣٠٢] وكيفَ أرى الصَّبْرَ عَمَّنْ أرى دُنُوُّ المنِيَّةِ في بُعْدِهِ
غزالُ يُنسِّيْك قَدَّ القضيـ ـبِ بحُسْنِ الرشاقَة من قَدِّه
إذا عَدِمَ الوَرْدُ في روضِهِ فلم يُعْدَمِ الوَرْدُ من خَدِّهِ

قال: وبلغني أن الجارية تتعجب من صبري عنها، ومن إيثاري الضيعة على نفسي في حبها، وتقول غدر بي واختار ملكه علي، فأجبت أختي إلى ذلك مع الحصة، وتقرر الأمر بيننا، فكتبت إلى الجارية(٣): [الكامل]

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الإماء الشواعر: ١٤٥ وفيه ترجمتها.
(٢) الأصهفاني، الإماء الشواعر: ١٤٦.
(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٤٦.

نَزلَ الوصالُ بساحةِ الهَجْرِ ... ومحا الوفاءُ معالمَ الغَدْرِ
وغدا اللقاءُ عليهما بلوائِهِ ... وعليه تخفقُ رايةَ النَّصْرِ

فكتبت إليَّ[1]: [الكامل]

ما كان أخوفني من الهجرِ ... حتى كتبتَ إليَّ بالعُذْر
فسكنتُ منك إلى مراجعةٍ ... قوّى الوصالُ بها على الهَجْرِ
أرجو وفاءَكَ لي ويُؤْنِسُني ... أشياء تعرضُ لي منك في صدري
لا شَتَّتَ الرحمنُ شملَ هوى ... متآلفٍ منَّا على الدَّهْرِ

ثم اشتريتها وصارت في ملكي، فما آثرت عليها أحداً طول مقامها عندي، حتى ماتت.

ومنهم:

٦٤ ـ خَنْسَاء البَرْمَكِيَّة[2]

وكانت لبعض آل يحيى بن خالد، تزهى بها الأساور والقلائد، تفتك بلحظها، وتفتن بلفظها، مغنية تهز الجماد، وشاعرة لا تغترف من ثماد، ولو قيست ببنت عمرو بن الشريد لعرف من أي البحرين يلتقط الفريد.

قال عمرو بن بانة: كان من جيراني رجل من البرامكة، وكانت له جارية أديبة مغنية يقال لها خنساء، يدخل إليها الشعراء فيقارضونها ويسألونها عن المغاني فتأتي بكل غريبة وبديعة، فدخل إليها يوماً سعيد بن وهب فحدثها طويلاً ثم قال[3]: [الهزج]

أَبِيْنِي لي يَا خَنْسَا ... ءُ عَنْ جِنْسٍ مِنَ الشِّعرِ
وماذا طولُه شِبْرٌ ... وقد يوفي على الشِّبْرِ [٣٠٣]

---

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٤٦.
(٢) الأصفهاني، الأماء الشواعر: ١٤٧ وفيه إسمها حسناء.
(٣) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٤٨.

لـــهُ فـــــي رأســـهِ شِـــقٌّ نَــــــطُـوفٌ بــالـنَّـدى يـجـري
إذا مــا جــفَّ لــم يَـنْـفَـعـ ـلـك فـــي بــرٍّ ولا بــحــرِ
وإنْ بُـــلَّ أتـــى بـــالــعَـ ـجَـبِ الُـمـعْـجِـبِ والـسِّـحْـرِ
وإنِّـــي لـــم أرد فُـــحْـــشـاً وربِّ الــشَّــفْــعِ والـــوَتْـــرِ
ولـــكـــنْ صُـــغْـــتُ أبــيـــاتـاً حَـــوَتْ مـــعـــنـــى مـــن الـسِّـرِّ

قال: فغضب مولاها وتغير لونه، وقال لسعيد: أتخاطب جاريتي بالفحش والخنا؟ فقالت الجارية: خفض عليك، فما ذهب إلى ما ظننت، وإنما يعني القلم، فسرى عنه وضحك سعيد وقال: هي أعلم منك بما سمعت، فاحتبسه مولاها عنده يومه، فجعلت تغنيهم تارة وتقارضهم تارة إلى أن سكروا(١).

قال عمرو: ثم لقيني مولاها فسألته عن القصة فحدثني بها، وأخرج إليَّ ابتداء سعيد وجوابها تحته، وهو(٢): [الهزج]

أبـــا عـــثـــمـــانَ حــــاجَـيْـتَ بــمــا قــلــتَ مــــن الـشــعــرِ
فــتـــاةٌ ذُلِّـــلَ الــــشــعـــــرُ لـــهـــــا صـــافـيـــةُ الـــفـــكـــرِ
وفـــي ظـــاهـــرهُ فُـــحْـــشٌ ولـــيـــس الـــفـــحـــشُ فـــي الـــسِّـــرِّ
أردتَ الـــمـــخـــطـــفَ الـــمـــرهـــفَ إذ يـــبـــريـــهِ مَـــنْ يـــبـــري

وكتبت البرمكية على عصابتها: [الطويل]

ولا خيرَ في شَكْوى إلى غير مُشْتَكي ولا بُدَّ من شَكْوى إ ذا لم يَكُنْ صَبْرُ

ومنهم:

٦٥ - [خنساء جارية هشام المكفوف](٣)

وكانت جارية ماهرة، أديبة شاعرة، تأتي بكل غريب، وتبلغ مالا يجرجر فيه بعنان،

---

(١) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٤٧-١٤٨.
(٢) الأصفهاني، الإماء الشواعر: ١٤٥.
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة اعتماداً على بقية الترجمة.

ولا تحدث عن عريب، صفراء من مولدات البصرة نشأت حيث يرف النخيل، ويرق السلسبيل، وكانت فضل الشاعرة تهاجيها ولا تهيجها، ولا يلفى في الحسن ما تنشره بهيجها وكان لكل واحدة منهما عصبة من شعراء الوقت يتعصبون لها وهي لا تتقنع، ويعيبون لديها الأخرى وما فيهم إلا من يتصنع.

حكى أحمد بن أبي طاهر قال: كانت فضل تهاجي خنساء جارية هشام المكفوف، وكان أبو الشبل عصم بن وهب البرجمي يعاون فضلاً الشاعرة على خنساء ويهجوها [٣٠٤] على لسانها، وكان الحفصي والصعيدي يعاونان خنساء، فقال أبو الشبل فيها على لسان فضل(١): [السريع]

خنساءُ طيـــري بجناحين | أصبحتِ معشوقةَ نَذْلين(٢)
من كان يهوى صاحباً واحداً | فأنتِ رهنٌ بهوى اثنينِ
هذا الصعيدي وهذا الفتى الـ | ـحفصي زاراكِ كقردين
وكنتِ من هذا وهذا كما | ينعمُ خنزير بِحُشَّيْنِ

فقالت خنساء(٣): [السريع]

ماذا مَقَالٌ لكِ يا فضلُ بَلْ | مقالُ خنزير قودين(٤)
يُكْنَى أبا الشّبْلِ ولكنَّهُ | دَعَوهُ بالكلبِ بن كلبينِ

فقالت خنساء في فضل(٥): [الطويل]

تقولُ له فضلٌ إذا ما تخَوفَتْ | ركُوبَ قبيح الذُّلّ في طَلَبِ الوصلِ
حِرُ أمٍّ فتى لم يَلْقَ في الحب ذِلَّةً | فقلتُ لها لا بل حِرُ أمٍّ أبي الشَّبْلِ

---

(١) الشعر لأبي الشبل في الأغاني: ٢٠٤/١٩.
(٢) في الأصل: أصبحت مشوقة نذلين والمثبت من الأغاني.
(٣) الشعر لخنساء جارية هشام في الأغاني: ٢٠٤/١٩.
(٤) في الأغاني: مقال خنزير بن فردين.
(٥) لخنساء جارية هشام المكفوف في الأغاني: ٢٠٤/١٩.

ولها أيضاً فيهما أبيات[1]: [الخفيف]

نعم مأوى الغرابِ بيتُ هِشَام ... مُشعِفٌ بالحرامِ أهلَ الحرامِ
من أرادَ المبيتَ يبغي سفاحاً ... وينالُ المرادَ تحت الظلامِ
فهشامٌ يبيحُهُ في دُجى الليـ ... ـلِ فتاة تُدعَى فتاةَ هشام
ذاك جِرٌّ دواتُهُ لا تُعَرَّى ... أبداً من تَرَدُّدِ الأقلام

وذكر أحمد بن الطيب: أن أبا الشبل كان يهوى خنساء ثم هجاها فهجرته، فعدل عنها إلى فضل الشاعرة، ووعد أبو الشبل يوماً خنساء أن تزوره، وجاء [٣٠٥] مطر شديد منعها من زيارته، فقال يذم المطر[2]: [البسيط]

دعِ المواعيدَ لا تعرضْ لوجْهَتها ... إنَّ المواعيدَ مقرونٌ بها المَطَرُ
إنَّ المواعيدَ للأحبابَ قد مُنِيَتْ ... به بأنكدِ ما يُمنى به البَشَرُ
كذا الشيابُ فلا يَغْرُرك إن غُسِلَتْ ... صَحْوٌ شديدٌ ولا شَمْسٌ ولا قَمَرُ
وإنْ هَمَمْتَ بأن تلقاكَ زائرةٌ ... فالغيثُ لا شَكَ مقروّن به السَّحَرُ

وكان سبب القطيعة بينهما أنه سكر عندها، فخاطبها مغلظاً لها في شيء فقالت: بم تدل على الناس؟ بأكثر من شعرك؟ وإنه لغير طيب، والله لئن شئت لأهجونك بما يبقي عليك عاره، فغضب وقال فيها[3]: [مخلع البسيط]

خنساءُ قد أفرطتْ علينا ... تزعُمُ أنْ ليسَ لي مُجِيرُ
تاهتْ بأشعارها وصَالتْ ... كأنَّما ناكها جريرُ

فخجلت ولم تجبه، وتقاطعا، وقيل: بل قالت فيه مبتدئه: [مخلع البسيط]

قُل لأبي الشِّبْلِ إنْ أتاهُ ... مُقَذعٌ سَبٌّ له مجير
هيهاتَ ما إنْ له مُجيرٌ ... ولا نصيرٌ ولا ظهيرُ

---

(١) الشعر لخنساء في هجاء أبي الشبل في الأغاني: ٢٠٥/١٩.
(٢) الشعر لأبي الشبل في الأغاني: ٢٠١/١٤ مع اختلاف في الرواية.
(٣) الشعر لأبي الشبل البرجمي في الأغاني: ٢٠١/١٤.

ومنهم:

٦٦ - [خزامي جارية الطيط المغني][1]

الملقب بالطيط، كانت حسنة الوجه والغناء، شاعرة بيوتها وثيقة البناء، وكان المعتز يقدمها ويثقف قناتها ويقومها، ولا يبخل باستدعائها واستئمانها على خفايا السر واسترعائها.

قال ابن المعتز: كانت خزامى جارية الطيط تألفني وتنادمني وأنا حدث، ثم تابت من النبيذ، وكانت مغنية حسنة الغناء، شاعرة ظريفة نظيفة، فراسلتها مراراً أستدعيها فتأخرت، فكتب إليها وأهديت لها ورداً[2]: [الطويل]

رأيتُكِ قد أظهرتِ زهداً وتوبةً ... فقد سَمُجَتْ من بعد توبَتَك الخمرُ[3]

فأهْدَيْتُ وَرْداً كي يُذكِّرَ ريحُهُ ... لمنْ لم يُمتَعْنَا ببهجته الدَّهْرُ

فأجابتني تقول[4]: [٢٠٦]

أتاني قريضٌ يا أميري مُحَبَّرٌ ... حكى لي نَظْمَ الُدِّر فُصِّلَ بالشَّذْر

أأنكرتَ يا ابنَ الأكرمينَ بأنَّني ... وقد أفْصَحَتْ لي ألْسُنُ الدَّهْرِ بالزَّجْرِ[5]

وآذنني شَرْخُ الشَّبَابِ بَبْينهِ ... فياليتَ شِعْري بعد ذاك ما عُذْري

قال ومن شعرها: [مجزوء الرمل]

قُلْ لَمنْ تاهَ علينا ... وجَفانا وتعاصا

نلتَ والرَّحمنِ من قَلْـ ... ـبي بالحُسْنِ اختصاصا

فَتَوقَّ اليومَ في قَلْـ ... ـبي أن تلقى قصاصا

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من بقية الترجمة.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٣٣٢/١٠.

(٣) الأصل: رأيت والمثبت من الأغاني.

(٤) الأصفهاني: الأغاني: ٣٣٢/١٠.

(٥) الأصل: بالجزر بدلاً بالزجر والمثبت من الأغاني.

ومنهم:

٦٧ ـ صَدَقَة بن مُحَمَّد

من أغنياء أهل الغناء، وأذكياء أصحاب الاعتناء، ذكره ابن المستوفي(١) في ترجمة البحراني النحوي، قال: حدثني صدقة بن محمد الملحن، قال: حضرت القاضي أبا حامد الشهرزوري وقد صنعت لحناً في أبيات البحراني: [الرمل]

أيُّها البارقُ من وادي سَلَمْ ... أبِسَلْمى لكَ عِلْمٌ قُلْ نعمْ
أنتَ لو لم تَقْتَبِسْ من وجهِها ... هذهِ الأنوارَ لم تَجْلُ الظُّلَمْ
فأرقنا بقلوبٍ لم تَقف ... من هواها وجفونٍ لم تَنَمْ
وتَوَلَّتْ ويدي في كَبِدِي ... أوْقَدَ الوَجْدَ عليها فاضْطَرَمْ

قال: فجعل يهزه الطرب والارتياح، فيميل مثل النشوان مالت به الراح، ويقول: لمن هذا الشعر الذي دونه السحر؟ فقلت: لأبي عبد الله البحراني، فما زال يستعيده ويكرره ويوفيه في الإحسان حقه، إلى أن تقوض المجلس عليه، وقمنا وبه ما يعلم الله من الشوق إليه، وهذا اللفظ لابن المستوفي.

ومنهم:

٦٨ ـ الحُسَيْن بنُ الحَسنْ(٢)

ابن أبي نصير بن منصور الدهان زين الدين أبو عبد الله الموصلي، سابق يوم الرهان، وفاتق عرفٍ بكل وردةٍ من الدهان، تنسب إليه محاسن من الأمور، ويقسم من زخرف بنائه بالسقف المرفوع والبيت المعمور، تجني من إنعامه كل ذات كمام كأنها زهرة في دهانه، وثمرة غريبة من بدائع ألوانه، أتى بالبديع وأجاد [٣٠٧] في نغمه ودهائه، فجاء في كل منهما بالصنيع، وأبدع فيهما، فقيل هذه البلابل غنت وهذه

(١) لم يرد الخبر في المطبوع من تاريخ اربل لابن المستوفي.

(٢) لم نجد له ترجمة فيما أطلعنا عليه من مصادر.

المصبغات ألوان فصل الربيع، وكان عالماً فاضلاً أديباً حسن الأخلاق، لا يمل جليسه محادثته، فريد عصره في صناعة الطرب وعلم الموسيقا، وله فيه مصنف، وسمع منه الكمال ابن الفوطي وغيره، ومن شعره: [الطويل]

وحلوُ اللُّمى مُذْ عاينَ النمل قد بدَتْ ... لـــهُ زُمَرٌ تبغي بفيهِ جَنَــى النَّحْلِ
غدا جاحداً قتلي بسيفِ لحاظِهِ ... ومن حَمْرَةِ الخَدَّين لي شاهِداً عَدْلِ

ومنه: [الطويل]

رأيتُ حبيبي بُكْرَةً وهو مُعْرِضٌ ... فسَمَّيْتُهُ فازوَّر يرنـــو إلى الشرقِ
فيا عَاذِلي كُنْ عاذري فيهِ رحمةً ... فقد أظلمتْ من فرطِ هجرانهِ طُرْقي

ومنها: [الوافر]

ألا يـــا سادةً مازالَ قَلْبــي ... لطولِ فراقِهْم في ضيقِ سِجْنِ
وحَقَّ جميـــل ما أوليتموني ... من الإحسانِ لم تُتْبَعْ بِمَـــنّ
إلـيــه صادق أنـي إذا مـــا ... ذكرتُكُمُ شَرِقْتُ بمـاءِ جَفْني
فعَيْني ما رأتْ حُسْناً سِواكم ... وغيرُ حديثكم مـــا راقَ أُذْني
فقدتُ لطولِ غَيْبَتِكم سروري ... ومُذْ فارقتُكُمْ واصلـتُ حُزْني
نَــدمْتُ نَدامَةَ الكُسَعِيِّ لكنْ ... علـــى أوقاتِكُمْ وقَرَعْتُ سِنِّي
كفى حُزْني فراقكُمُ وحَسْني ... بشوقـــي أنَّهُ ما انفكَّ عَنِّي

ومنه ما يكتب على مقلمةٍ: [الكامل]

كلُّ السُّيوفِ لها جفونٌ تُنْتَضى ... منها وإنـــي جَفْنُ كُلِّ يَرَاعِ
واعلمْ بأنَّ السَّعْيَ للقَلَمِ الذي ... لولاهُ خابتْ للسيوفِ مَسَاعِ

ومنها: [الرجز]

يـــا خالقــي من نُطْفَةٍ مَهينَةٍ ... ومـــوجدي من عَدَمٍ مَقْدِرَتي
يا عُدَّتي في وحدتي يا مُؤْنِسي ... في وحدتي إذا نزلتُ حُفْرتي
اغْفِرْ ذنـــوبي وتجاوزْ كَرَمَاً ... عَنِّي بعَفْوِ منك واكشفْ كُرْبَتي

[٣٠٨]ولا تـؤاخْ بـذنوبٍ سَلَفَتْ لـشَقْوَتـي فأنـتَ أهلُ الرحـمةِ
وعـافـني مـن مـرضـي تَـصَـدُّقـاً وجُـدْ عـلـى ضَـعْـفـي ورادد غُـرْبَـتـي

ومن أصواته ما رواه لي عنه الجمال المشرقي في الراست: [مجزوء المجتث]

يـا نـار أسْـود قـلـبـي ونـورَ أسْـود عـيـنـي
كُـنْ راحـمـاً لُـمـحِـبٍّ أبـاحـكَ الأسْـوديـنِ

توفي يوم الجمعة سابع عشر رمضان سنة سبع وثمانين وست مئة ودفن بالوردية شرقي دار السلام، وكان له اختصاص بالسطان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل.

ومنهم:

٦٩ - [ياقُوتُ المُسْتَعْصِميَ](١)

وهو الياقوت الذي لا يغلو به سعر، ولا يعرف الدر إن لم ينشد له شعر، بل هو الذي دونه ياقوت الخدود، ودر العقود، ووسائط القلائد، ولا أعني إلا قواعد النهود، كتب فسلب، وشَعَرَ فخلب، وغني فقيل من أين جاء إلى العراق وادي سرنديب هذا الجلب، وكان في الكَنفَ المستعصمي يرد طرف كل مبهوت، ويوفي حق كل خدمةٍ لا تفوت، وتفرد بكل خاصة، يقول ألقني في لظى فإن أحرقني فتيقن أني لست بالياقوت.

ما تقدم لمناهلته إلا من تأخر، ولا لمباهلته إلا من قيل له هيهات يا عرض أغلى أفخر الجوهر يتكبر، ولا لمضاهاته إلا من صفى جمره وتكشف عنه الرماد، وتوقد وخمد والياقوت ياقوت ما نقص ولا زاد.

مجيد في الشعر والموسيقا والخط، وله الأدب الكامل والنحو المتقن، أخذ الأدب والنحو عن نجم الدين بن كبوش البصري، ومن شعره(٢): [مجزوء الرجز]

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من بقية الترجمة وتوفي سنة ٦٩٨ هـ. انظر عنه ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: ٢٦٣/٤. ابن الفوطي، الحوادث الجامعة: ٣٣٧.

(٢) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة: ٣٣٧.

بـــــدا بــوَجْـــهِ مـــخـــجـــــــلِ الـشـمـس الـمـنـيـر الُـمـشْـرِقَـةْ
فــــــي أذنِــــــــه لـــــؤلــــؤةٌ كـــــأنَّـــهـــــــا والــــحـلَـقَـــةْ
قِــــــدَّاحـــــــةٌ فـــــــي وردةٍ بـــالـيـــــاسـمـيـن مـلـــحـقَـةْ

وله: [مجزوء الهزج]

وحـــــمَّـــامٍ دخـــلــنـــــا وَ فـيـــــه مـقـيـمٌ حــــامــي
بــــأنــواعٍ مـــن الـــخـــدمـــــ ـــةِ لا ألـــــوى ولا وانـــــي
فـــتـــمـــريــخٌ بـــمـــعـــروفٍ وتـــســـريـــخٌ بــــإحـــســانِ

وله[1]: [الخفيف]

وَعَــدَتْ أن تــزورَ لــيــلاً فَــأَلْــوَتْ وأتَــتْ بــالــنَّــهــار تــســحــبُ ذَيْــلا
قلتُ هَلا صَدَقْتِ في الوعدِ قالتْ كيفَ صَدَّقْتَ أن ترى الشمسَ لَيْلا

[٣٠٩] وكان هو وظهير الدين بن محاسن في زيارة كمال الدين ابن عم ظهير المذكور، وانتبها وقد برد، فقال: [البسيط]

جــــــاءَ الشتاءُ ببردٍ لا مردَّ له ولــم يُـطِـقْ حجرٌ قاسٍ يُقَاسِيهِ
لا الكأس عندي ولا الكانون متَّقداً كـفـى ظلامي وكيس قلَّ ما فيه
دعِ الكبـــابَ وخَلِّ الكيس وأسفاً علـى كِساءٍ تغطَّى فــي دياجيهِ

فأعطاه ظهير الدين فروة سمور كانت لابن عَمٍّ الكمال هناك، فلما سمع الكمال بالأبيات، أعطاه عمامة دمياطية ومئة دينار.

ومنهم:

٧٠ ـ عَبْدُ المؤْمِن بن يُوسِف[2]

ابن فاخر الأرموي، صفي الدين أبو الفضائل، مؤلف ضروب أشتات، ومصنف نوب يجمع عليها شتات، خدم الخلافة زمناً، وأخذ الدنيا لأنفاسه ثمناً، وبلغ من علم

---

(١) ابن شاكر، فوات الوفيات: ٤/٢٦٤.
(٢) انظر ترجمته: الصفدي، الوافي بالوافيات: ١٩/١٦.

الموسيقا مبلغا ضم له ضمن لحده سائب، وحاق به لإسحاق أن يظهر المعايب، لو سمعته الوحوش الشوارد لأنِسَتْ، وأوعته لما نبست، وأغنى في واقعة هولاكو بما منح من حسن التدبير، ويمن اللفظ في المقادير بالتلطف مع من أبيحت له لأيدي النهب محلته، وتعتعت له بسنابك الركض حلته، لكنما القدرة أذهبت الحفيظة، وبردت حرق الصدر المغيظة، ثم كان هذا سبباً له إلى هولاكو فأوجب به صلته، وأوجز منه صلته.

ذكر الشيخ أبو الخير الدهلي، ومخْلصُ ما قال: ورد بغداد في زمن المستعصم أبي أحمد ونزل في رباط ابن البيار وكتب لـــه مصفحاً بخطٍ منسوب، ووصل إلى المستعصم فتعرف إليه به وجعل من الملازمين الباب يكتب المصاحف ويعلم أولاد المستعصم، ثم بلغ عنده ما لم ينله عنده أحد من المقربين، وكان ابن سيدنا اليهودي كاتبه، وكان مقصوده منه أن يغنيه في علم الحساب لتقسيم أجزاء الموسيقا، ولم يلزم بيده ديناراً ولا درهماً، وكان خرجه في سنة واحدة كما ذكر إبن سيدنا ثلاث مئة ألف دينار عِوَالا، وكانت له معرفة بسائر العلوم، تغلب عليه الحكميات والرياضيات، وبلغ من الموسيقا ما لم يبلغه أحد من المتأخرين، [٣١٠] وصنف في عملياته كثيراً، حفظ لـــه الناس ثلاثين ومئة نوبة، ولم يكن نكته عويصة إلا وصنف فيها نوبة مذكورة متداولة بين الناس، وصنف كتابين في علم الموسيقا، أحدهما الشرقية باسم الصاحب شرف الدين هارون ابن الوزير شمس الدين الجويني، والكتاب الآخر يسمى الأدوار، وله النظم الرائق والخط الفائق، وكان مليح الشكل عذب الأخلاق، ذا مروءة وقوة وكرم نفس، ظريفاً لطيفاً، وكتب عليه ياقوت المستعصمي وابن السهروردي، واشتغل عليه في الموسيقا في جماعة من الأعيان، قال: ومن كتابته السطر الطومار الذي على بركة جامع الكوفة التي عمرها الصاحب علاء الدين الجويني، وكتب درجاً للسلطان هولاكو فأعجبه، ثم وقع ذلك الدُّرج في يد من عرضهُ للبيع فاشتراه بمئة دينار عوالٍ، وفوض هولاكو إليه نظر الأوقاف بجميع في العراق وصدورها، وعظم عند الناس بمنزلة هولاكو، ثم توصل خواجا نصير الطوسي بالجوينين، وابتاع منه صدورية الوقف بسبعين ألأف دينار رائجاً، وبان على الأئمة وأهل الأوقاف فقده، لأنه كان محسناً إليهم، بخلاف من ولي بعده، ومن شعره: [الطويل]

لِحُسْنِكَ من كلِّ العيون نصيبُ وأنتَ إلى كلِّ القلوب حبيبُ

ومن شعره أيضاً: [الوافر]

أُلاقي في سُهادي من أُلاقي وأنتم في الكرى مِلءُ المآقي

ومن شعره أيضاً: [الخفيف]

يا حياةَ النُّفوسِ يا مُشْتَهَاها أنْتَ للعاشِقِيْنَ أقْصَى مُنَاهَا

قال الدهلي: وصنف عليه قولاً في العشاق طويلاً

ومن شعره أيضاً: [الكامل]

هل للمُعَنَّى الهائمِ المُضْنَى الصَّدِيّ من رَاحمٍ أو مُسْعِدٍ أو مُنْجِدِ
عَرفَ الهوى وتلطَّفَتْ أسرارُهُ فسرى ورَقَّ توجُّعَاً للمكْمَدِ
يصبو لِبَثّ جَوى يكادُ زفيرُهُ لولا الرجاءُ لدقَّ صُمَّ الجلمدِ
ليس الودود فتى يودك يومهُ حتى إذا استغنى يملُّك في غد
[٣١١] بل إنّما الودود فتى إذا قَعَدَ الزمانُ بصاحبٍ لم يَقْعُدِ

قال الدهلي: وسمع من نظمه جماعة، منهم الإمام علي بن سعيد المغربي قديماً ببغداد، وتوفي في يوم الأربعاء ثامن عشر من صفر سنة ثلاث وتسعين وست مئة.

وحدثني الجمال المشرقي عنه، وذكر عدة أصوات له، فمنها في شعر المتنبي[(١)]: [الكامل]

اليومَ مَوْعِدُكم فأينَ الموعِدُ هَيْهَاتَ ليسَ ليوم وعدِكُم غَد

والغناء فيه في الروكند، وفي هذا البيت: [الطويل]

لِحُسْنِك مِنْ كُلِّ القلوبِ نَصِيْبُ وأنت إلى كُلِّ القلوبِ حَبِيْبُ

والغناء فيه في المجير من النيروز، وفي هذا البيت: [الكامل]

---

(١) المتنبي، الديوان: ١/٣٢٧.

فـؤاد بـنـار الـوجـد والـنـار مُـحـرق وجـفـف بـأمـواج الـمـدامـعِ مـغـرق

والغناء فيه من الراست، وفي هذا البيت من الزنكله:

اصْنَـعْ جَـمِـيْـلا مـا اسْـتَـطَـعْـتَ لأنَّـهُ لا بُـدَّ أن يَـتَـحَـدَّثَ الـسُّـمَّـارُ

قال الجمال المشرقي: ولي في هذا المعنى: [الكامل]

أعْـدِلْ إلـى فِـعْـلِ الـمـكـارمِ والـعُـلـى إنَّ الـمـكـارِمَ لـلـعُـلـيِ أنْـصَـارُ

وذكر العز حسن الأربلي في تاريخه(١) قال: جلست مع عبد المؤمن بالمدرسة المستنصرية، وجرى ذكر واقعة بغداد، فأخبرني أن هولاكو طلب رؤساء البلد وعرفاءه، وطلب منهم أن يقسموا دروب بغداد ومحالها وبيوت ذوي يسارها على أمراء دولته، فقسموها وجعلوا كل محلة أو محلتين أو سوقين باسم أمير كبير، فوقع الدرب الذي كنت أسكنه في حصة أمير متقدم عشرة آلاف فارس أسمه بانوا نوين، وكان هولاكو قد رسم لبعض الأمراء أن يقتل ويأسر وينهب مدة ثلاثة أيام، ولبعضهم يومين، ولبعضهم يوم واحد، على حسب طبقاتهم، فلما دخل الأمراء إلى بغداد، أول درب جاء إليه الدرب الذي كنت أنا ساكنه، وكان قد اجتمع إليه خلق كثير من ذوي اليسار، واجتمع عندي نحو خمسين جوقة من أعيان المغاني من ذوي المال والجمال فوقف بانوانوين على باب الدرب وهو مدبس [٣١٢] بالأخشاب والتراب، فطرقوا الباب وقالوا: افتحوا لنا الباب وادْخُلُوا في الطاعة، ولكم الأمان، وإلا أحرقنا الباب وقتلناكم، ومعه الزراقون والنجارون وأصحابه بالسلاح، قال عبد المؤمن: السمع والطاعة، أنا أخرج إليه، ففتحت الباب وخرجت إليه وحدي وعلي ثياب وسخة، وأنا أنتظر الموت، فقبلت الأرض بين يديه، فقال للترجمان، قل له من أنت، كبير هذا القوم الذي في الدرب؟ قلت: نعم، فقال: إن أردتم السلامة من الموت، فاحملوا لنا كذا وكذا وطلب شيئاً كثيراً، فقبلت الأرض مرة ثانية وقلت: كل ما طلب الأمير يحضر، وقد صار كل ما في هذا الدرب بحكمك، فَمُرْ جيوشَكَ ينهبون باقي الدروب المعنية، وانزل حتى أضيفك ومن تريد من خواصك،

(١) الخبر لم يرد في المطبوع من تاريخ أربل.

فأَجْمَعُ لك كل ما طلبت، فشاور أصحابه، ونزل في نحو ثلاثين رجلاً، فأتيت به داري، وفرشت لــه الفرش الخليفية الفاخرة، والستور المطرزة بالزركش، وأحضرت لــه في الحال أطعمه قلايا وشوايا وحلو، وأكلت بين يديه شسني، فلما فرغ من الأكل، عملت له مجلساً ملوكياً وأحضرت له الأواني المذهبة من الزجاج الحلبي وأواني فضة فيها شراب مروق، فلما دارت الأقداح وسكر قليلاً، أحضر عشر جوق مغاني كلهم نساء، كل جوقة تغني بملهاة غير ملهاة الأخرى، وأمرتهم فغنوا كلهم على سار واحد فارتج المجلس وطرب وانبسطت نفسه، وضم واحدة من المغنيات أعجبته فواقعها في المجلس، ونحن نشاهده، وتم يومه في غاية الطيبة، فلما كان وقت العصر، حضر أصحابه بالنهب والسبايا، قدمت لــه ولأصحابه الذين كانوا معه تحفاً جليلة من أواني الذهب والفضة، ومن النقد والذهب، ومن الأقمشة الفاخرة شيئاً كثيراً، سوى العليق وهبات العوانية الذي كانوا بين يديه، واعتذرت من التقصير وقلت: جاء الأمير على غفلةٍ، لكن غداً إن شاء الله أعمل للأمير دعوة أحسن من هذه، فركب وقبَّلْتُ ركابه، ورجعت فجمعت أهل الدرب من اليسارة، وقلت لهم: انظروا لأنفسكم [٣١٣]، هذا الرجل غداً عندي، وكذا بعد غد وكل يوم، وأريد أضعاف اليوم المتقدم، فجمعوا لي من بينهم ما يساوي خمسين ألف دينار من أنواع الذهب والأقمشة الفاخرة والسلاح، فما طلعت الشمس إلا وقد وافاني، فرأى ما أذهله، وجاء في هذا اليوم ومع نساءه، فقدمت إليه ولنسائه من الذخائر والذهب والنقد ما قيمته عشرون ألف دينار، وقدمت له في اليوم الثالث لآلىء نفيسة، وجواهر ثمينة، وبغلة جليلة بآلات خليفية، فقلت: هذه مراكب الخليفة، وقدمت لجميع من معه وقلت: هذا الدرب قد صار بحكمك، فإن تصدقت على أهلة بأرواحهم، فيكون لك وجه أبيض عند الله وعند الناس، فما بقي عندهم سوى أرواحهم، فقال: قد عرفت ذلك ومن أول يوم، وهبتهم أرواحهم، وما حدثتني نفسي بقتلهم ولا سبيهم، ولكن أنت تجهز معي قبل كل شيء إلى حضرة القان، فقد ذكرتك له وقدمت له شيئاً من المستظرفات التي قدمتها لي فأعجبته، ورسم بحضورك، فخفت على نفسي، وعلى أهل الدرب، وقلت: هذا يخرجني إلى خارج بغداد ويقتلني وينهب الدرب، فظهر عليَّ الخوف، وقلت: يا خوند، هولاكو ملك كبير وأنا رجل حقير مُغَنّ

أخشى منه ومن هيبته، فقال: لا تخف ما يصيبك إلا الخير، فإنه رجل يحب أهل الفضائل، فقلت: أنا في ضمانك أنه لا يصيبني مكروه، قال: نعم، فقلت: لأهل الدرب: هاتوا ما عندكم من النفائس، فأتوني بكل ما يقدرون عليه من المغيبات الجليلة ومن النقد الكثير من الذهب والفضة، وهيأت من عندي مآكل كثيرة طيبة وشراباً كثيراً عتيقاً فائقاً وأواني فاخرة كلها من الذهب والفضة المنقوشة، وأخذت معي ثلاثة جوق مغاني من أجمل من كان عندي وأتقنهن للضرب، ولبست بدلة من القماش الخليفتي، وركبت بغلة جليلة كنت أركبها إذا رحت إلى الخليفة، فلما رآني بانوانوين بهذه الحالة قال لي: أنت وزير، قلت: بل أنا مغني الخليفة ونديمه، ولكن لما خفت منك لبست هذه الثياب المقطعة الوسخة، ولما صرت من رعيتك أظهرت نعمتي وأمنت، وهذا الملك هولاكو ملك عظيم، وهو أعظم من الخليفة، فما ينبغي أدخل عليه [٣١٤] إلا بالحشمة والوقار، فأعجبه مني هذا وخرجت معه إلى مخيم هولاكو، فدخل عليه وأدخلني معه، وقال لهولاكو: هذا الرجل الذي ذكرته، وأشار إليَّ، فلما وقعت عينُ هولاكو عليَّ قبلت الأرض، وجلست على ركبتي كما هو من عادة التتار، فقال له بانوانوين: هذا كان مغني الخليفة وقد فعل معي كذا وكذا، وقد أتاك بهدية، فقال: أقيموه، فأقاموني فقبلت الأرض مرة ثانية ودعوت له، وقدمت له ولخواصة الهدايا التي كانت معي، فكلما قدمت شيئاً سأل عنه، ثم يفرقه، ثم فعل بالمأكول كذلك، ثم قال لي: أنت كنت مغني الخليفة؟ فقلت: نعم، فقلت: أيش أجود ما تعرف في علم الطرب؟ فقلت: أحسن أغني غناء إذا سمعه الإنسان ينام، فقال: فغني لي الساعة حتى أنام، فندمت وقلت: إن غنيت لـــه ولم ينم قال: هذا كذاب وربما قتلني، ولا بد لي من الخلاص منها بحيلة، فقلت: يا خوند، الطرب بأوتار العود لا يطيب إلا على شرب الخمر، ولا بأس أن يشرب الملك قدحين ثلاثة حتى يقع الطرب في موقعه، فقال: أنا مالي في الخمر رغبة لأنه يشغلني عن مصالح ملكي، ولقد أعجبني من نبيكم تحريمه، ثم شرب ثلاثة أقداح كبار، فلم أحمَرَّ وجهه أخذت منه دستورا وغنيته، وكان معي مغنية اسمها صبا، لم يكن في بغداد أحسن منها صورة، ولا أطيب صوتاً، فأصلحت أنغام العود وضربه جالبة للنوم مع زم رخيم الصوت، وغنيت فلم أتم النوبة حتى رأيته قد نعس، فقطعت الغناء بغته، وقويت ضرب

الأوتار فانتبه، فقبلت الأرض وقلت: نام الملك، فقال: صدقت نمت، تمنَّ عليَّ، فقلت: أتمنى على الملك أن يطلق لي السُّمَيْكة قال: وأي السميكة شيء هي، قلت: بستان كان للخليفة، فتبسم وقال لأصحابه: هذا مسكين مغني قصير الهمة، وقال للترجمان: لم لا تمنيت قلعة أو مدينة، أيش هو بستان، فقبلت الأرض وقلت: يا ملك هذا البستان يكفي وأنا ما يجئ مني صاحب قلعة ولا مدينة، فرسم لي بالبستان وبجميع ما كان لي من المرتب أيام الخلافة، وزادني علوفة تشتمل على خبز ولحم وعليق دواب يساوي دينارين، وكتب لي بذلك [٣١٥] فرماناً مكمل العلائم، وخرجت من بين يديه، وأخذ لي بانوانوين منه أميراً بخمسين فارساً ومعهم علم أسود هو كان علم هولاكو الخاص به يرسم حماية دربي، فجلس الأمير على باب الدرب ونصب العلم الأسود على أعلى باب الدرب، فبقي الأمر كذلك إلى أن رحل هولاكو عن بغداد.

قال الأربلي: فكم نابك في الثانية من المغارم؟ قال: أكثر من ستين ألف دينار ذهب، وأكثرها ممن كان انزوى إلى دربي من ذوي اليسار، والباقي من نعم موفرة كانت عندي من صدقات الخليفة، فسألته عن المرتب والبستان أخذه مني أولاد الخليفة وقالوا: هذا إرثنا من أبينا، والعلوفة أقطعها عني الصاحب شمس الدين الجويني، وعوضني عنها وعن البستان ستين ألف درهم.

ومنهم:

٧١ ـ لَحاظ المغَنِّيَة[١]

سحرت فقيل لحاظ، وملأت نفسَ كل عاشق ففاض، طالما تجلَّت فجلتِ الهموم، وغنَّت فاقتادت القلوب المزموم، وبرزت فتنه للأنام، ومحنة للمستهام، إلا أنها لو تقدمت زماناً كما لو تقدمت افتناناً، لأرخصت دنانير وصرفت عناناً، وأعربت بما لم تدع لعريب امتناناً، كانت تلازم مجلس الغناء عند الخليفة المستعصم، وكان يعجبه غناؤها.

---

(١) لم نجد لها ترجمة فيما أطلعنا عليه من مصادر.

قال صفي الدين الدين عبد العزيز، حدثتني لحاظ قالت: داعبني الخليفة، يعني المستعصم، يوماً ونحن في خلوة مداعبة ظننت أنه يريد مني بعض الأمر، فظهر له مني ما يدل على الإجابة، فتوقر وغضب، وقال: ويلك أظننت أني جاد، وهل ترين إلا المزاح، نعوذ بالله من المعصية.

قال عبد المؤمن: كان ببغداد رجل يقال له ابن معمر، وكان ناظر ديوان المكوس، وكان يسكن الكرخ، وكان يحمل إليها في كل شي خمسمائة دينار، وانطوى ذلك عن الخليفة، ففي بعض الأيام حضرت لحاظ على عادتها بين يدي الخليفة مع جماعة من المغنين فغنت بأبيات أولها: [٣١٦] [الخفيف]

ذَكَــرَ الــكَــرخَ نــازح الأوطــانِ فَــاسْــتَــهَــلّــتْ مَــدَامِــعُ الأجْــفَــانِ

فقال بعض الحاضرين من المغنين: كيف لا يذكر الكرخ من يصل إليه في كل شهر خمسمائة دينار، فسأل الخليفة عن القصة، فأخبروه بالحال، فأمر بنفي المغنية فنفيت، وعزل ابن معمر عن ولايته، وما زالت تُسْتَصْفَى أمواله.

ومنهم:

٧٢ ـ التُّوثي(١)

صاحب الأرمال واسمه، ومن أصواته قوله والشعر لــه، والغناء في السيكاه: [الطويل]

أيَجْمُلُ من بعد الوصالِ صدودُ وتُنْسَى مــواثيّق لنا وعُهودُ
وتجحَدُ ما بيني وبينَكَ في الهوى ولي منَ ضنَى جسمي عليكَ شهودُ
شهودي عظامي ناحلاتٌ من الضَّنى وأجفأن عيني بالدمــاء تجــودُ
وروحي نأت يومَ نأيتم وأقسمتْ يميــناً بكــم إنْ عُدْتُم ستعودُ

ومنها أيضاً له والشعر والغناء في السيكاه: [الوافر]

(١) لم نجد له ترجمة فيما أطلعنا عليه من مصادر.

عـلـيـلُ الـشَّـوْقِ فـيـك مـتـى يَـصُـحُّ | وسـكـرانٌ بـحُـبِّـكَ كـيـف يـصـحـو
وأعــجــب أن يــكــون لــه شِــفــاءٌ | فُـؤادٌ مــن لــحــاظِـكَ فـيـه جُـرْحُ
وبـيـنَ الـقـلـبِ والـسـلـوانِ حَـرْبٌ | وبـيـنَ الـجـفـنِ والـعَـبَـراتِ صُـلْـحُ
مـزحـتُ بـحـبِّـكـم يـا صـاحِ جَـهْـلاً | وكـم جـلـبَ الـسَّـقَـامَ عـلـيّ مـزْحُ

ومنهم:

٧٣ ـ الخَرُوْف(١)

من ندماء الملك المنصور صاحب حماة ومغانية، وأهل الحظوة الذي لم يكن فيها أحد يدانيه، والنجب الذي أدناه من صاحب النخت لبلوغ أمانيه، وكان من نجوم مجلسة الطالعة، وغصون حضرته اليانعة، وجلساء مدامه وأخصاء ندامه، وكان سري الخلائق يدمث عطف النسيم، ويبعث النشوة في شمائل النديم،أصلة من مدينة زرع، وقدم دمشق وبرع، وعدّى المنتهين في الغناء من أول ما شرع، وكان جلاء البصر، وسراج هم الخاطر إذا انحصر، خدم البيت الأيوبي واقتاد بهم الخط الأبي، ومن أصواته:

[٣١٧] [الكامل]

إنْ غَـاضَ دَمْـعُـك والـركـاب تـسـاقُ | مع مـا بـقـلـبـكَ فـهـو مـنـكَ نـفَـاق
لا تَـحْـبِـسَـنْ مـــاءَ الـجـفـونِ فـإنَّـهُ | لــك يـــا لــديـغَ هــواهُــمُ دِرْيــاقُ
واحــذرْ مـصـاحـبـةَ الـعَـذُوْلِ فـإنَّـهُ | مُـغْــرٍ وظـاهِـرُ عَـذلِـه إشـفـاقُ
لا يـبـعِـدَنْ زمــن مـضَـت أيَّـامُـهُ | وعــلــى مـتـونِ غـصـونِـهـا أوراقُ
أيـامَ نـرجـسـنـا الـعـيـونُ ووَرْدُنـا | لـغـضّ الـخـدودِ وخـمـرنـا الأريـاقُ
فـلـئـن بـكـت عـيـنـي دَمًـا شـوقـاً إلـى | ذاكَ الـزمــــان فَـمِـثْـلُـهُ يُـشْـتَـاقُ

والشعر للشريف البياضي.

وحكى لي أبو جعفر بن غانم أنه حضر مجلس صاحب حماة، وهو مخيم ببارين

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

في زمن الربيع وقد أطلع بدائع النوار وتجلى بسوابغ الأنهار، والروض قد فك عنه حجز الغمام، والنسيم قد مشى في جوانبه مسبل الأكمام، وأمر بالمغاني فأحضروا وفيهم الخروف ووجهه باسر يلوح يكلح، ولبه ذاهب كأنه ما جاء ليغني وإنما قد قدم ليذبح، فقال له: ما هذا الذي أراه بك؟ أهذا لمفارقة حماة أم لشيء لدينا تتحاماه؟ أما تنظر إلى فسيح هذا الفضاء، وإلى هذا الجو وقد مُوِّه بالفضة البيضاء؟ والخروف مطرق كأنه يرى السكين في يد الذابح، والنار تشب في زناد القادح، لهوى كان عقده بحماة جديداً، وفارقه وإن لم تكن النوى رمت به مكاناً بعيداً، ثم لم يطل به السكون، ولا يتمادى لسانه في اعتقاد الصموت، حتى اندفع يغني صوتاً عمله لوقته، ونطق به وخرج من عهدة صمته، وهو: [الكامل]

قسماً بأيـــام التـــداني ولذةِ الـــ ... وِصالِ وأني في يـمـيـنـي صـادقُ
مـــــا سُرَّ قلبي مُذْ نأيتُ ولا حلا ... ليَ الـعـيـشُ والـلـذاتُ منِّـي طـالـقُ
وأنِّي أرى هـذا الـفـضـاء الـــذي أرى ... فـسـيـــحـاً علينا بعدكم متضايقُ
ومـا سَرَّ قـلـبـي الـروضُ يـزهـو حـسـنُـهُ ... وأنـــي كـفـيـتـم عـاشـقٌ ومـفـارِقُ

فطرب صاحب حماة حتى مال، وسأله أن يطلعه على حقيقة ما قال، فقص عليه [٣١٨] خبره مع شجنه وما جلبه فراقها عليه من حزن، وسأله: لمن الشعر؟ فقال: والله لا أعرف، ولكنه شئ أحفظه، فلما عاينت من نكيرك الموت جاء على خاطري، فصنعت فيه هذا الصوت، فقال: والله حسن جميل ما صنعت وإن مساعدتك لتعين، ثم أصبح فقوض خيامه عائداً، ثم دام له على هواه مساعداً، ثم أمر له بصلة سنية وزاد في راتبه.

وحكي أن صاحب حماة جلس ليلة على نهر العاصي، والقمر مبدر، والليل قد أصحر أسده المخدر، والمجرة قد كاثرت المجلس بأكوابها، والظلماء قد لعبت أشعة البدر بأثوابها، والصهباء قد ذهبت شبح الظلام، والأبارق قد شبت شعل ذلك الضرام، فاستدعى في ذلك المجلس الأسنى، واقترح عليه صوتاً فيه[1]: [البسيط]

(١) ديوان السري الرفاء: ٢٦.

قُمْ فانتصِفْ من صروفِ الدهرِ والنُّوَبِ ... واجمع بكأسِكَ [شملَ] اللهو والطَّرب[1]
أمــا الـليـلَ قــد قـامـت عـسـاكِـرَهُ ... في الشرق ينشرُ أعلاماً من الذهب
والجوُّ يختالُ في حُجْبٍ مُمَسَّكــــة ... كــأنما البرقُ فيها قلبُ ذي رعبَ
فـاخْلَعْ عِـذَارَكَ واشربْ قـهوةً مُزِجَتْ ... بقهوة الريقـــــة المُعْسُولةِ الشَّنَبِ

والشعر للسري الرفاء.

ومن أصواته المشهورة: [الطويل]

تـرى عـلـمـتْ وجـدي بـهـا رَبَّةُ الـخـالِ ... ومن قلبها من شغل قلبي بها خالي
ومــــن أنـا صَبٌّ فـي هـواهـا مُـتَـيَّـمٌ ... ومـا كـنـتُ قـطُّ يـومـاً عـلـى بـــال
تـنـورتــــهـا كـــالـبـدر أدنـى مزارهـا ... فؤادي ومـا أدنـاه لـي الـمـنـظـر الـعـالـي

والشعر لشيخنا أبي الثناء محمود الحلبي.

وكذلك من أصواته: [الطويل]

أقـولُ وقـد نــــاحـتْ بـقـربـي حـمـامـةٌ ... أيـا جـارتـا هـل بـاتَ حـالُـكِ حـالـي
مـعـاذَ الـهـوى مـا ذُقْـتِ طـارقـةَ الـنـوى ... ولا خـطـرتْ مـنـكِ الـهـمـومُ بـبـالـي
أتـحـمــــلُ مـحـزونَ الـفـؤادِ قَـوادِمٌ ... عـلـى غُـصُـنٍ بـانٍ فـالـمـسـافـة عـالِ
أيـا جـارتـا مـا أنـصـف الـدهـرُ بـيـنـنـا ... تـعـالَـيْ أقـاسِـمْـكِ الـهـمـومَ تـعـالـــي
تـعـــالَـيْ تـرىْ روحـاً لـدّيَّ ضـعـيـفـةً ... تَـرَدَّدُ فـي جـسـمٍ يُـعَـذَّبُ بـــالـــي
لـقـد كـنـتُ أولـى مـنـكِ بـالـدمـع مُـقْـلـةً ... ولـكـنَّ دمـعـي فـي الـشـدائِـد غَـالِ

[٣١٩] والشعر لأبي فراس بن حمدان.

وحُكِيَ أنه كان يوماً بين يديه في خاصة من ندمائه، إذا أقبل غلام كالبدر في سمائه، قد شد وسطه ببند قطع بين خصره وردفه، ومنع بين الواصف ووصفه، وطرفه قد سجى، وغرته تحت طرته صبح في دجى، وعذاره في خده قد شق في الورد بنفسجاً،

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الديوان.

فجاء حتى وقف بإزائه، والواجد به قد أضرم الجوانح، وهاج الولع بالظباء السوانح، فلم يبق إلا من أنشد شعراً نظمه واستشهد به، وذكر حسن ذلك الغزال السانح من سربه، الخروف مطرق في فكر، يسبح في لججه وذكر، لما ينطق به لسان حججه، حتى صاغ لحناً، واندفع فيه يغني: [الكامل]

قَسَمَاً بطرّتهِ وحُسْنِ عِذَارِهِ ... وبما حواهُ الخَصْرُ من زنّارِهِ
وبحُسنِ وجنتيه وضوءِ جبينِه ... وبقُرْبِ جفوتِه ويُعْدِ مزَارِهِ
لأخالفن عواذلي في حُبِّهِ ... مهما استطعتُ ولو صَلِيتُ بنارِهِ

والشعر مجهول.

ومن أصواته التي اقترح عليه الغناء فيها: [الكامل]

أنْصَفْتُهُ من مُهْجَتي لو أنصفا ... ووَدِدْتُ لو راعي ودادي ووفى
وطمعتُ مُغْتَرّاً بجوهر ثغرِهِ ... فصفا وكدَّرَ من حياتي ما صفا
خادَعْتُهُ بحديث لِيْنِ قِوامِهِ ... فسَطَا وهزَّ عليَّ منه مثقفا
فذهبتُ من يدِهِ إلى أجفانه ... فَرَقَاً وسَلَّ عليَّ منها مرهَفَا

والشعر للجلال ابن الصفار الماريني، ومن هذه القطعة تلو الصوت: [الكامل]

كالبدر أعيت حسنه وهيبته ... لي وجنتيه أن يكون مشنفا
وكَفَفْتُهُ خمرة ريقهِ ورضابه ... فكفَفْتُه أُن يرد العقار القَرْقَفا
أرأيت خداً لا يزيد تلَهُّباً ... فيزيدني إلا عليه تلهُّفا
أم هل سمعتَ بمن شكا حُرَقَ الهوى ... مثلي فداوِ النار بالنار اشتفى
رَشَأ رشيقاً ظلَّ يجدب خصرُهُ ... رِدْفاً عتا فقضى له أن يضعفا
يا نسمةً ضَمِنَتْ تَعطُّف قَدِّه ... هَلا مَرَرْتَ بقَدِّهِ فتعَطَّفا
أحببته متجنباً وودته ... مُتَجنِّياً وعَشِقْتُهُ مُتَعَفِّفا
[٣٢٠] فاخترتُ للجسم الضَّنى وجعلت للـ ... ـقلبِ الفنا ورضيتُ منه بالجفا

ومن أصواته المعروفة له: [البسيط]

مَنْ مُنْصِفي من هلالٍ يخضعُ القمرِ السـ ـاري لـه وغـزالٍ يَـصْـرَعُ الأسـدا

لِـمْ لا يخـافُ العِـدا أسيـافَ ناظرهِ وقـد رَأوا سـالـفـيـه أُلـبِـسَـا زَرَداً

وكيـف لا فـي الهـوى ينحَلُّ عْزمُهُمُ وبـنْـدُهُ فـوقَ ذاك الـخَـضْـرِ قـد عَـقَـدا

يا مَنْ حكـى الصَّعْدة السَّمْراء قـامَتُهُ كـم قـد تنفَّسَ فيكَ العـاشقُ الصَّعَدا

والشعر لابن الدجاجية الدمشقي.

ومن أصواته: [الكامل]

أشذاكُمُ عـنـدَ الصبـاح يفوحُ أم نَـشْـرُ لـيـلـى قـد طوتْـهُ الـرِّيْـحُ؟

مِلْنَا فـكُـلٌّ مـن تـأرُّجَ عـرفـه نـشـوانُ فـوق مَـطِـيَّـةٍ مـطـروحُ؟

فكـأنَّـمـا دارتْ عـلـيـنـا فـي الـسُّرَى كـأسٌ عـلـى نَـغَـمِ الـحـداةِ طَـفُـوحُ

أنسيمَ ليلى هل مَرَرْتَ على الحِمَى لـيـلاً ولـيـلـى فـي الـديـارِ يَـرُوحُ؟

والشعر لبعض نصارى ماردين

ومن أصواته: [الكامل]

طَلَلٌ لعَلْوةَ دونَ سَفْـحِ مُـحَـجَّـرِ رَوَّتْـهُ ديـمـةُ كـلِّ غَـيْـثٍ مُـمْـطِـرِ

وسَرَتْ عـلـيـهِ نُسَيْمَةٌ مُعْتَلَّةٌ عـن غـيـرِ طَـيِّـبِ نَـشْـرِهِ لـم يُـنْـشَـرِ

حتّـى تَسَهَّـمَ بُـرْدُهُ بـمُـقَـضَّـبٍ ومُـخَـضَّـبٍ ومُـدْرهـم ومُـدنّـر

ربْعٌ عَلِقْتُ بـه وغُـصْـنُ شبيبتي نَـضْـر وفـودي لـيـلُـهُ لـم يُـقْـمِـرِ

والشعر للشهاب التلعفري.

ومن قطعة ألزم فيها عدم الإلف وتمامها: [الكامل]

لـلَّـه عَـصْـرُ شبيـبـةٍ قـضيـتُـهُ فـي جَـوِّهِ بـرحـيـقِ صَـرْفٍ مُـسْـكِـر

مـع كـلِّ مـعـتـدلٍ بـريـح صَـعْـدَةَ مـن قَـدِّهِ ويـديُـر مُـقْـلَـةَ جُـؤْذَرِ

ورشيـقـةٍ مـمـشـوقـةٍ لـو نـصبـت لـلـبـدِر لـيـلَـةَ تَـمِّـهِ لـم يُـسْـفـرِ

خَوْدٌ تُـريـكَ سقيم جفنٍ لم يكنْ عـن قـتـلِ صَـبٍّ مُـغْـرَمٍ مـثـلـي بَـرِي

تـحـمـي مُـقَـبَّـلَـهُ بِـطَــــرْفٍ سَـهْـمُـهُ يُـصْـمـي بـه عـن غـيـر قـوسٍ مـوتَّـر
يـفـتَـرُّ عـن ثـغـرٍ نـضـيـدٍ نــــؤه حُـفَّـتْ حـقـيـقَـتُـهُ بِـسِـمْـطَـيْ جـوهـرِ

وانظر إلى هذه القطعة التي كأنها من قطع الأرض [٣٢١] في المرتع عنفوان زمن الربيع، وكيف جاءت مع هذا الالتزام خفيفة الموقع، قريبة من الخاطر، لا ترى للكلفة عليها ولا تتطرق للاستهجان.

وكذلك من أصواته في شعر ابن الحجاج، وحُكِيَ أن الملك المنصور صاحب حماة استصحبه معه إلى مصر في بعض سفراته إليها، فحضر يوماً يغنيه، وقد حضر عنده أبو الحسين الجزار الشاعر، واندفع الخروف يغني صوتاً أوله: [الوافر]

مُــرِيْــقُ دَمِــي وسَــالِــبُ نَــوْمَ عَــيــنِــي

وطفق يردده ويكرره، فقال لــه الجزار: لك الأمان يا شيخ أحمد، فضحك صاحب حماة ومن حضر.

قلت: ولم يقع إليَّ من هذا الصوت غير ما ذكرت.

حُكِيَ أنه كان مع صاحب حماة على مجلس الشراب وهم ببلاد بارين، والربيع قد سحب بردائه على الثرى، والسحاب قد أودع في ثغور الأقاح جوهرا، والنسيم قد هب من تحت أعكان الليل معنبراً، والروض قد أخذ زخرفه، والنوار قد نظم أحرفه، والبدر قد طرح تاجه، وألبس الشمس شرفه، والراح قد راقت كأنها وجه حبيب، وطابت كأنها غفلة رقيب، والمدام قد أديرت في عسجدية، والكؤوس قد رقت في تلك الصفيحة الندية، والسقاة كأنها أقمار توشحت الجوزاء مناديل، والأصداغ كأنها محاريب اشتعلت فيها الخدود قناديل، فأقترح عليه الغناء في شعر خمري يناسب ذلك المقام، ويحث به سوابق كميت تلك المدام، فاندفع يغني: [البسيط]

والكـــأسُ تسلبني عقلي وأهونُ ما لَـــــهَوتُ عن ذكرِهِ عقلي إذا سُلبا
خمراً تمشِّي بناني وهي فوق يدي منهـــا بمثل شُعَاعِ الشمس مُخْتَضِبا
شربتُها غير مخمورٍ ولو طلب الـــ ـــخَمَّارُ روحي بها أعطيتُ ما طَلَبا

وأربحُ النـاسِ عـنـدي فـي تـجـارتـهِ مُـحَـصِّـلٌ يشتري بـالـفـضَّـةِ الـذَّهَـبَا

ومن أصوات الخروف: [الطويل]

إذا لـم تكن تُنْهي إلى غيرك الشكوى فمـا ثَـمَّ إلا الـصَّبْرُ فيـكَ عـلـى البلوى

[٣٢٢] وإنّي وإنْ أتلفتُ بالهجـرِ مُهْجَتي لأرضى الذي ترضى وأهوى الذي تهوى

عرضَتُ على روحي تلافي فمـا أبت وعَرَّضْتُ روحي للسُّلُوّ فمـا السَّلْوى

ومن لم يَجُدْ بالروح في الحبِّ لم تَكُنْ مَـحَـبَّـتُـهُ إلا إذا حَـقَّـقَـتْ دعـوى

والشعر لابن إسرائيل.

ومنهم:

٧٤ ـ مُحَمَّد بنُ غُرَّة(١)

من مغاني صاحب حماة، وممن يؤتى في مغاني حِماه، ثم لما هدمت الأيام ذلك البيت المعمور، وهدت تلك الجبال الشم حوادث الأمور، أتى دمشق ولزم بعض كبرائها، وقطع باقي أيامه البيض في خضرائها، وقضى فيها ما كان بقي من أجل سروره، وعجل غروره، وكان ممن يقر له أهل صناعته، ويقدر له الذي لا يقدر على إضاعته، ومن أصواته: [البسيط]

من مُنْصِفي من عيونٍ كُلَّمـا نظرتْ إلـى خَـلِـيٍّ فـؤادٍ بـات فـي شُـغُـل

إذا رَنَت فسيوفٌ مـن بنـي أسَدٍ وإنْ رَمَـتْ فَـسـهـامٌ مـن بـيـن ثُـعَـلِ

أنا القتيلُ بهـا والمستجيرُ بهـا منـهـا فـيـاليـتَـهـا تـقـضـي علـيَّ ولـي

وبي أغن غضيض الطرف قامتـه تـزري إذا مـال بـالـسـعـالـه الـذبـل

زها على البدرِ في حُسْنٍ وفـي شَرَفٍ وأخـجـلَ الـغُـصْـنَ في لـيـن وفـي مَـيَـل

إذا بـدا قـال بَدْر التَّمِّ واكـلفي أو انثنى قال غُصْنُ البانِ واخجلي

والشعر للجماز.

(١) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

وكذلك صوته في شعره أيضاً: [مجزوء الرجز]

كَحَّلَ جَفْنِي بالأرَقْ ... سَاجِي الجفونِ والحَدَقْ
مُهَفْهَفٌ كالغُصْنِ قَدْ ... دَاً والعنبر مُنْتَشَقْ
حلوُ اللَّمى والمجُتَنَى ... والمجُتَلى والمعتنقْ
قد سحرتْ أجْفَانُه ... ألبابنا والسِّحْرُ حَقْ
وكَلَّ طرفي بالبُكا ... وكَلَّ قلبي بالقَلَقْ
فَمُقْلَتي ومُهْجَتي ... بينَ دموعٍ وحُرَقْ

وصوته في شعر الباخرزي: [٣٢٣] [البسيط]

أبقيتَ مِنِّي روحاً مَالهَا بدن ... لذاك زوَّرتُ من روحي لها بَدَنا
يا فالقَ الصُّبْحِ من لألاءِ غُرتهِ ... وجاعلَ الليلِ من أصداغِه سَكَنَا
بصورة الوثن استعبدتني ولَهَا ... فَتَنْتَني وقديماً هِجْتَ لي فِتَنا
لا غَرْوَ إنْ أحرقَت نارُ الهوىَ كَبِدي ... فالنارُ حُق على من يعبدُ الوثنا

وهذا الصوت أوله من قطعة: [البسيط]

أنتَ الذي نقضَ الميثاقَ لستُ أنا ... فدَعْ جفاءَك إنْ كان الوفاء أنا

ومن أصواته: [مجزوء الكامل]

أيُّها الصَّبُّ المُعَنَّى ... يتبعُ الِّرئْمَ الأغَنَّا
كيف يجنو مَنْ هوى ... مَنْ كُلَّ يومٍ يتجنَّى
أودعَ النَّفسَ مَلاءً ... مُعْرِضٌ أعرضَ عَنَّا
جاد بالهجرانِ منهُ ... وبوَصْلِ الصَّبِّ ضَنَّا
كُلَّ يومٍ أنا منهُ ... نادمٌ أقرعُ سِنَّا
ليسَ في كفِّي منهُ ... غيرَ أنْ كانَ وكُنَّا

والشعر لأبي نواس.

وكذلك صوته: [البسيط]

حاشا لوجهِكَ يـــا مَنْ لا أسَمِّيهِ ... مـن أن يـقـاس إلـيَ مـثْـلِ وتَـشْـبـيـهِ
أنَّى وكيفَ ولو كـــانتْ محاسِنُهُ ... لـلشـمسِ ما طلَعَتْ من شِدَّةِ التِّيْهِ
انـظر إلى كل شيء طيــب حسن ... وانــظـــرْ إليه تـجِـدْ أمـثـالَـهُ فـيـهِ
استْغْفُــــرُ اللّهَ مّما قُلْتُهُ عَبَثاً ... إنَّ الـقـضـيـبَ وإنَّ البَـدْرَ يـحـكـيـه

والشعر مجهول.

وكذلك صوته: [البسيط]

أحبابَنَـا لا بُليتُم بالبِعَـــادِ ولا ... خَـلَـتْ رُبُـوعٌ لـكـم مُـنـكـم وأوطـانُ
قَطَعْتُمُ سُبُلَ المعـــروفِ فابتدئوا ... فـــي حُسِنكم فكمالُ الحُسْنِ إحسانُ
أقْسَمْـــتُ لارُمْتُ منهمْ سَلْوةً أبداً ... ولا مَـلَـلْـتُ و إنْ خـــانوا وإنْ مـانـوا
ما ضَّرهـم لـو وفـوا أو أنـصـفـوا كرماً ... هيهاتَ هيهات ما هُمْ لي كما كانوا

[٣٢٤] والشعر للزكي النابلسي.

وكذلك من أصواته في شعر العفيف التلمساني: [الطويل]

رعـى الـلّـهُ مـــرأى حـاجـرٍ ورُبـاهـا ... وحـيَّـا الـحَـيَـا أطـلالَـهـا وسـقـاهـا
وراعَـتْ إليـهـا الريـــحُ مثـلـي عليلَةً ... لـيـنـقـل أقـوالَ الـغـصـــون شـفـاهـا
وشقَّتْ بها ثَوْبَ الشقيق يَدُ الندى ... وبـــدَّدتِ الأرواحُ عَــرْفَ شـــذاهـــا
إلـى أن سَـرىَ سِـرُّ الـوشـائـع شـائـعـا ... وتُـصْـبِـحُ زَهْـواً أرضـهـا كَـسَـمَـاهـا
فـكـم لـيـلـــة بتْنَا نـرى الـبـدرَ أختَهُ ... بـهـا ويُـريـنـــا فـي الـسـمـاء أخـاهـا
تـحـالـفـهـا مـــــن بُـعـده ودوره ... ويشـبـهـهـــا فـــي سنـهـا وسـنـاهـا

وكذلك صوته: [المديد]

مـــا هـــوىً إلا لـــهُ سَـبَـبُ ... مـنــــه يـبــــدو ثـم يَـنْـشَـعِـبُ

وكذلك صوته: [مخلع البسيط]

أبـعَـدْتَـنـي عــنـكَ بـعـدَ قُـرْبـي ... يـا لـيـتَ شـعـري مـا كـان ذنـبـي
لـهـفـي لـعـيـشٍ قـد كـنـتُ فـيـهِ ... أدعـوك يـــا مـنـيـتـي بِـلُـبِّـي

وقال الجمال المشرقي: والشعر لابن الكرخي، والغناء فيه في الراست ونفق به ابن غُرَّةَ برهة من العمر وحصل به جدًى كثيراً.

ومنهم:

٧٥ ـ القَاضِي مُحَمَّد العَوَّاد(١)

ويعرف بابن القاضي أيضاً، وكان من مغاني صاحب حماة الذين شُرِّفُوا إليه بالانتساب، وعرفوا لديه بالاكتساب، وكان ممن يحضر في يده العود، ويبيض به وجوه الليالي التي لا تعود، وكان في لسانه ثقال، حتى إذا غَنَّى لم يُرَ مثله في طلاقة اللسان، والطاقة التي ما لأحد في هذا الباب نظيرها من الإحسان، وأتى دمشق بعد انهدام ذلك المغنى المشيد، وانقضاض ذلك الركن السديد، فأقام به مسترزقاً، ولباقي أيام عمره فيها منفقاً.

ومن أصواته: [٣٢٥] [مجزوء الكامل]

جنحَ الحبيبُ إلى الصُّدودِ وافى وما وَفّى وعُودي
وإذا العوارضُ بالبنفـ ـسجِ جاورت وَرْدَ الخُدودِ
وتَموَّدتْ كُثُبُ الرّوا دِف تحت أغصانِ القُدُودِ
شاهدتُ في أيدي الظّبا ءِ قيادَ أعناقِ الأسودِ

والشعر مجهول.

وكذلك صوته: [الكامل]

يا مُشكِري وجداً بكأسِ جفونهِ قُلْ لي أتلكَ لواحظٌ أم قَرْقَفُ؟
يا مَنْ حكى الغُصْنَ الرَّطيبَ رشاقةَ هَلا عَطَفْتَ فَمِيْلُ قَدِّك يَعْطفُ
بادرْ جمالَكَ بالجميلِ فربَّمَا ذوتِ الملاحةُ أو أبَلَّ المدْنَفُ

(١) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

واسبــقْ عـــــــذارك قبـــلَ أنْ   يـأتـي بـعـزلِ هـواكَ مـنـه مـلـطِـفُ

وكذلك صوته: [مجزوء الرجز]

هـــل بـعــــدَ جيـران الـنَّـقَـا   يَـــلَـــذُّ لـــلـصَّــــبِّ الـبَـقَـــا
أو تـــرتـــضــي أجــفـانُـهُ   إلا الـــبُـــكـــا والأرَقـــا
وهـــل يـــلـــومُ قَــلْـبَـهُ   إذا قَـــضَـــى تَـشَـــوُّقـــا
أهـكــــذا حــكــمُ الـهــوى   لــيــتَ الــهـــوى لا خُـلِـقـا
أضْـمَـــى الـقـلــوبَ بـالأسـى   وبـالـسُّـهَـادِ الـحَـدَقـا
أقــضـــي نـهــاري أسـفـاً   وعـــمـــر لـيــلـى قـلـقـا

والشعر للمجاور، وهو من قصيدة تخف على السامع منها: [مجزوء الكامل]

مـــولـــى سـمـــا بـأصِـلـهِ   عـــلـــى الـبـرايـا وسَـمَــقْ
جـوادُ فَـضْـلٍ مـــا جـــرى   لـــغـــايـــةٍ إلا سَـبَـــقْ
لـــم يـخـلُـقِ الـلَّـهُ تـعـا   لـــى نِـــدَّهُ ومـــا خَـلَـقْ
ويـــحَ الـكُـمَـاةِ إن سـطـا   والـفـصـحـاء إنْ نـطـقْ
وفـــارسُ الـخـيـــلِ إذا   جَـــدَّ الـصـدامُ والـحَـنَـقْ
فـرَّقـهـا فـي الـبـيـد بـالـضْـ   ـربِ والـطَـعْـنِ فَـرَقْ
[٣٢٦] بـأبـيـضٍ بَـرقُ الـمـنـا   يـــا فـي غِـرَارَيْـهِ ائْـتَـلَـقْ
وأدهـــمٍ كـــالـلـيـلِ يـبــ   ــدو وبـيـن عـيـنـيـهِ الـقَـلَـقْ

ومنهم:

٧٦ ـ الدَّهان مُحَمَّد بن عَليَّ بن عُمَر المازني(١)

أبو الفضل شمس الدين ذو يَدٍ في الأدب غير قصيرة، وذهن لا يتمثل شيئاً إلا أحسن تصويره، لو صورنفسه لم يزدها، ولو بُدِّلَتْ بالكواكب صنعته لم يردها، أجاد في

(١) الصفدي، أعيان العصر: ٦٠٤/٤، ابن حجر، الدرر الكامنة: ٥٠/٤ وتوفى سنة ٧٢١هـ.

صنعته، وواسى بفهمه أباريده، وأتى بكل بديع الصنعة لا يدني تدبيجها للغمام، بعيد السمعة والذي صوره أقرب شيء إلى الأفهام، صنائع فكر ويد جاء فيها بألوان ما يسر الناظر، ويسير الديوان مما أبقى من محاسن أدب ودهان، وأمسك منها قلم الشعر، والشعر لأنه حاز قصب الرهان، وغادر من أثريه خط ناظر امرئ وسمعيه، نشر منها قطع الرياض، ونطف الغُدرُ إلا أن ذهب الأصيل، طفح على إنائها الفضي من جوانبه وفاض، وعلى ما كان يعاني من عبء هاتين الصنعتين، فعززهما بثالث، بصوت مثال ومثالث، له في كل واحدة من هذه الثلاثة معان لا تتناهي، وصور قبل إبرازها إلى الخارج لا يتصوَّرُها أحد ولا يعرف معناها، في أي صورة ما شاء رَكَّبَها، وفي أي مذهب أراد أذهبها، وكان فريداً في توقيع الألحان، وتنوع الشكر بما يعقُّ من تمام الفِدام عن بنت ألحان، وكان له بالربوة من وادي دمشق دارٌ نقشها زماناً، وأخرج فيها جهد صناعة الثلث فكتب عليها شعره وذهّبها، ثم كان يغنيها ألحانا، وكان يؤخذ عنه علم الطرب، وكان عَلَمَاً فيه واحداً، ومحركاً لا يدع في السماع القائم قاعداً.

ومن شعره الذي صاغه شعراً وألحانا، وجمع فيه محاسن الدهر زماناً زماناً، وأتقن تركيبه كأنما أضرمه إذهاباً وأتقنه دهانا، قوله: [الخفيف]

إنَّ فَصْلَ الرَّبِيْعِ أطيبُ فَصْلٍ   طالعٍ وَجْهُه بِكُلِّ سَعَادَةْ
[٣٢٧] طابَ في فصلِ صحةٍ فلهذا   الوَشْي حاكت سَحَابُهُ أبرادَهْ
لم يزَلْ وَرْدُهُ يغازل لِلْمَنْـ   ـثُوْرِ حتَّى شَقَّ الشَّقيقُ فؤادَهْ

وقوله: [البسيط]

يهيجُ شوقي إليهِ كلَّما صدحَتْ   تدعو هَديلاً مع الأصباحِ في فَنَنِ
حمامةٌ وَجَدْت وجدي فلي ولها   قلبان شُداً مع الأشواقِ في قَرنِ
قامتْ تنوحُ على ساقٍ وقُمْتُ على   ساقٍ أنوحُ فأشجتني ولم تغنِ

والشعر له، وكذلك الغناء له فيه، وله صوت مشهور لم يبق في زمانه من لم يقر له فيه إحسانه، وهو [الرَّجز]

هل حيها على الغوير واجد   أم أقفرت من زينب المعاهد

خَفِيَتْ حتَّى من سقامي والضَّنى — لـــولا أنيـنـي مـا رآنـي الـعـائـدُ
حـتـى رثَـتْ لـي رحـمـةً حـواسـدي — يـا ويـحَ مـن تَـرْثـي لـه الـحـواسـدُ
يا كعبةَ الحُسْنِ التـــي أحُجّها — فـــؤادُ مُـضْـنَـاك عـلـيـك واقـدُ
كم شُقْتُ في الهوى إليكم مقلتي — والـحُـرُّ مَـنْ يـحـفـظُ مـن يُـعَـاهـدُ

والشعر لغيره، والغناء فيه له.

وبتنا ليلة في داره بالربوة وواديها يصفح، وناديها بنشر البنفسج ينفح، والليل قد رق جلبابه، وعلق في جوه ربابه، وهو تارة يحينا من أناشيده، وتارة يطوينا طائره المترنم بتغريده، حتى حان الصباح ونحن لا نظن أن الليل قد نصف، ولا أن فرع الجوزاء قد تهدل أو تقصف، ثم التفت فإذا الصباح قد أشرق، وجمر الفجر قد شب إلا أنه ما أحرق، وتَلَفت يرى بكاء الطلّ في عيون النرجس ما رقى، والبرق بإزاء الليل الكافر مارقا، وجبين الصبح يرشح ماء وجبين الفجر سقطا ينضح الشفق دماء، فاندفع يغني(١):
[الطويل]

ألا حَـــبَّذاَ الواديَ وَروْضُ البَنَفْسَجِ — وطِـيْـبُ شَـذاً مِـنْ عَـرْفـهِ الُـمـتَـأَرِّجِ
[٣٢٨] وأغصانُ بانٍ في حفافيه مِيَّدٌ — يـسـيـلُ بـه مـا بـيـن رَوْضٍ مُـدَبَّـجِ
كَـــذَوْبِ لجُينٍ أو كَـــمَتْنِ مُهَنَّدٍ — يُـمـرُّ مُـروْرَ الـزئـبـقِ الـمـتـرَجْـرِجِ
إذا قابَلَتْهُ الشمسُ أبصـــرت مذهباً — مـن الـوَشْـي يـبـدو بـبـريـق وزَبْـرَجِ
وإنْ جَعَّدَتْه خَطرةٌ مـــن نُسَيْمَةً — فـيـا حُـسْـنُ مرأى مَـتْـنِـه الـمـتـمَـوِّجِ
جِنَانٌ إذا ريحُ الصَّباح نفحتْ بهاِ — فـبُـعْـداً لأطـــلال الُّـربـا بـمِـنْـعـجِ

وكان له مملوك أفرط في حُبه، وأخذ بمجامع قلبه، فغاله فيه حادث الموت، فحزن عليه حزناً ذبذب عن جفنه الغرار، وأحرم قلبه القرار، فأتاه صاحبنا الخطيب الصوفي وكان بينهما صداقة أكيدة، ومزاح فَكِةٌ، ثم أنشد لنفسه كأنه يعزيه، وإنما قَصْدُهُ أنه يخزيه: [الطويل]

---

(١) الصفدي، أعيان العصر: ٤/٦٠٨.

لئن مات يا دهَّانُ مُملُوكُكَ الذي   بَلَغتْ به في النَّفْسِ مَا كُنْتَ تَرْتَجي
فَمَثِّلْهُ بالأصباغ شكلاً وصورةً   وقَدًّا ورِدْفاً واتْرُكِ الحُزْنَ واصلِجِ

فقام الدهان بأقبح خزية وأضرها، وأعظم كآبة وأشهرها، ثم قاطعة مدة فلم يكلمه.

ومنهم:

٧٧ ـ الكَمَال التَّوْرِيْزِي

سقطت إلينا أخباره سقوط الندى، وبدت لنا بدو البدور على بعد المدى، كان إذا غنى تزلزل زلزل، ونسي جميلَ جميلٍ وما يتغزلُ، ونزل صوت الأول في بيت عاتكة الذي يتعَزل، ولم يرض له معبداً عبداً، ولا ابن جامع الذي تَضَوَّعَ نَدُّهُ نِداً، ولا إسحاق إلا الذبيح، ولا ابن المهدي إلا المخلوع الطريح، وكان فرد زمانه في كرم السجايا وحسن الأخلاق، وسعة النفس، قالوا: طيب المجالسة لا يملُّ حديثه، مكثراً من الأخبار والحكايات والنوادر، عارفاً بأخبار ملوك البيت الجنكز خان، وخصوصاً أولاد هولاكو بن تولي، وأحوال الوزراء والخواجكيه، ولــه مشاركة جيدة في العلوم العقلية، ودربة بمخاطبة الملوك والأمراء والوزراء، والخواتين والخواجكية والكبراء متقناً للموسيقا علماً وعملاً [٣٢٩] مجيداً في صناعة الغناء لا يُجارى ولا يُبارى، ولا يطمع في مضاهاته ولا مماثلته ولا مداناته، اتصل بالسلطان أبي سعيد، وكان محباً للغناء والمغاني، فلما اتصل به الكمال، اقتصر عليه، واختص به، وجعل كل أهل هذه الصناعة، وسائر الجلساء والندماء دونه، وكان يشاربه ويحضر معه في أخص خلواته، ولا يكاد يصبر عنه ساعة في سائر أوقاته.

وحكى لي خواجا إسماعيل السامي: إن أبا سعيد كان مغرى بطول المكث في الحمام والشرب فيه، وجعل له حماماً جعل جدره من الزاج، وكان يدخل إليه ومعه أمرأته بغداد ومشافر وكان كلفاً به والكمال التوريزي، ويجلس الجلساء والندماء خارج الحمام، والسقاة تسقي، فإذا وصل الدور إلى الجالسين خارج الحمام أخرج إليهم من كوى بينهم، والمغاني تغني بالنوبة خارج الحمام، فإذا انتهت النوبة إلى الكمال غنى

داخل الحمام وربما غنى أبو سعيد والكمال لا يغني، وربما غنيا معاً، وذكر أنه استفاد بأبي وبالأمراء والوزراء وأرباب الدولة وسائر الناس لأجله أموالاً جمة جليلة، لا تكاد تحصر، وسأله السلطان أبو سعيد أن يعلمه الموسيقا، فعلمه قدر ما احتمله فهمه، ثم ازداد نهمته من هذا العلم، وأكثر ملازمة الكمال حتى برع وصار غاية في ذلك، ورأساً من رؤوسه، وصار يصنع الأصوات ويعرضها على الكمال، فتارة يصوب رأيه، وتارة يصلح لـه الصوت حتى ندر وأجاد، وزاد و أحسن، وكانت أكثر أصوات الكمال في الأشعار المنظومة باللغة الفارسية، وهكذا كانت غالب أصوات أبي سعيد، وهو الذي استنبط هذا الغناء الذي يغني به اليوم، ويسمى البيشرون وهو أنغام تطول على مقدار بيت الشعر ويقبض على وسع عبارة فَيُسدُّ بأنواع من الكلام الملفق الذي لا يُحْصَرُ بوزن ولا قافية، قلت: ولقد حرصت على تخريجه أو مقابلته بتفاعيل يوازن بها فلم أستطع، وسألت عنه الإمام حجة العرب أبا عبد الله بن الصائغ الأموي المروي فقال لي: هذا لا يتخرج ولا يوزن إلا بالنغم مثل الموشحات إذ كانت غير عشرية، فإنها لا تنضبط ولا يعرف صحيحها من مكسورها إلا إذا غنيت، قلت: وهذا الغناء يستلذ في المشارب وحانات [٣٣٠] القصب، ولأهل مصر به ولوع وعليه وقوع، ولا يليق الغناء به في مجالس الملوك والكبراء، ولم يقع إليَّ من أصواته في الشعر العربي إلا أربع أصوات، فمنها في شعر التلفعري: [الكامل]

ما صَدَّ جَفْنَ العينِ عن إغماضِهِ   إلا بريقٌ لاحَ في إيماضِهِ
خفَق الفؤاُد بخفقِة فغدا كما   حكم الهوى وقفاً على إمراضهِ
ما زال يُغْري مُغْرَماً لمعانه   بالمُنْحَنَى وغياضةِ ورياضِهِ
واهاً له من عارضٍ تعريضَهُ   لي بالأحِبَّة كان في إعراضه

ومنها في شعر محمد ابن التلمساني هذا: [الوافر]

صُدودُك هل له أمَدٌ قريبُ   ووَصْلُكَ هل يكون ولا رقيبُ
ملوك الحُسْنِ ما صُنْعي بطَرفٍ   تَمنَى مثلَهُ الرشأُ الربيبُ
رمى فأصاب قلبي باجتهادٍ   صدقْتُمْ كُلُّ مجتهدٍ مُصِيْبُ

وفـــي تـــلـك الـهـوادج ظاعِـنـاتٌ سَـــرَيـن وكُـلُّ ذي وَلَـهٍ حـبـيـبُ

ومنها في شعره أيضاً: [الطويل]

تحــــكَّمْ إذا أجــاز الجمالُ تحَكُّما فــمـــا لُـمِـحِـبٍّ منـكَ أنْ يتـظَلَّـمـا
حبيبي إنْ حرمتَ سَهْماً في الكــرى فقد حللت عيناك في القلب أسهما
فِـــــدَاكَ صَبٌّ فيكَ أشْكَتَهُ الهوى وإن كـان من سيفِ الصدودِ تكلَّما
ومــــا كان يدري حفظَ عهدٍ لغادرٍ فما زال يهوى الحُسْنَ حتَّى تعَلَّمَا

ومنها في شعر مجهول: [الخفيف]

بَـرِحَ الـسَّـقْـمُ بي فـلـيـس صـحـيـحـاً مـن رأتْ عَـيْـنُـه عـيـونـاً مِـراضـا
إنَّ لـلأعْـيُــنِ الـمِـراضِ سِـهـامـاً صَـيَّـرتْ أنْـفُـسَ الـورى أغـراضـا

قلت: وقد كان سلطاننا حَرِصَ على أشخاصه إليه، وطلبه طلب متهافت عليه، فعزم على قصده، وقدمت مسيره للسير، فصده عنها قرارة لحده.

ومنهم:

٧٨ ـ مُحَمَّد بن الكَسْب

الذي يوقد المصابيح، ويجيء بأسلس من دهنه وأطيب في الريح، أول ما تخرج مع أبيه، ثم [٣٣١] تزيّد الهلال، وتفرد تفرد العذب الزلال، وحصل العجب لما رأى بالكسب من الكسب، وبما سمع من طرب له في الأعضاء ذهب إلا أنه ماله لسب، وكان لا يزال المنصت يتتبع أصواته لا يمله إكثارها، والمسامع تقول عجباً للبصر وسم سمةً تشكر آثارها، اشتغل بصناعة الغناء، حتى بلغ فيها المراتب، وأصبح بها يحسدُ ابن الكسبِ ابن السمسماني الكاتب، فأبرَّ في تفرده يمين كل مقسم، وأودى كيد حاسده وحبسه في أقماع السمسم، بدهن أصفى من دهن السليط، وأكثر من تلعبه بالفتيله في التسليط، وأمْلى الأصوات وأمن من القالي، وحمصَّ قلوب الأعداء كما يقال على المقالي فسلم إلا أنه برع في لطافة الشمائل، وشبت الضرم في وريج المعاطف، كما ترى فعل السليط في القنديل باللهب المتمايل، وجميع أهل صناعته تصفه بالإحسان، وتقر له

بالتقدم في آخر الزمان، وله من أصواته إجادة فيها وأتقنها كل الإتقان، وجمع فيها بين الشعر والألحان، فمن أصواته، والشعر للخطيب جمال الدين يوسف الصوفي: [الكامل]

يا مقلتي أينَ المدامعِ هاتي ... لا تبخلي بلآلئ العَبَرات
هذا الفراقُ عليه قد حَسُن البُكا ... وتردُّدُ الحسراتِ واللهفاتِ
بالله يا حادٍ حدا بأحبَّتي ... وقضى على تأليفنا بشتاتِ
مهلاً عليَّ فإن يومَ وداعِهم ... مُرٌّ ولكنْ فيه حلوُ مماتِ

ورثاه الخطيب جمال الدين يوسف الصوفي النابلسي بقوله: [الطويل]

تَعالوا بنَا نذري الدموعَ الجَواريا ... ونَستَوقِفُ الحادي ونَبْكِي المغَانِيَا
ونَذْكُرُ عَيْشَاً مَرَّ حين حَلا لَنَا ... بأيَّام أُنْس قدْ خَلَتْ وليَاليَا
ونَسأَلُ عَنْ رُوح الحَياة وطِيْبهَا ... ملاعِبَ رَبَّاتِ الحِجَابِ الغَوَانِيَا
فإنا ذَممنَا العيشَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... وذُكّرَ بالأحزانِ مَنْ كَانَ ناسِيَا

ومنهم:

٧٩ ـ الكُتَيْلَة(١)

بدر الدين محمد الجتكي المارديني، خطبته الملوك لمجالستها، وحطته مواضع [٣٣٢] القرناء لمنافستها، ونضرته لنعمها، وسرته من العوارف بعممها، وكان بصيراً بأخلاق العظماء، خبيراً باستدرار أخلاف الكرماء، ولم يزل جوّاب أسفارٍ، وجوال بدر في غروب وأسفار، قليلاً على ظهر المطية ظله، خفيفاً مكانه من الخواطر ومحله، يزاحم في سحابه الوارد، ويتشوق إليه تشوق الظمآن إلى الماء البارد، واليقظان المسهد إلى المنام الشارد، أتى قلعة الجبل وحل هالات دورها، وحظي بأيام سرورها، هذا وسلطانها يقبل المتاب، ويقبل على المنتاب، ويتلقى القادم بطلاقته، ويفك الرهن من عاقته، ووجد الزمان ما بسر، والبغاث ما استنسر والراعي لا يخاف الذئب على غنمه، والدم لا يستباح

(١) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

منه إلا ما على الطرف المخضب من غنمه، والقلعة مسرح ظباء، ولا عقرب إلا بصدغ مليحة، ولا سيف يسل إلا بكرة صبيحة، فقطع تلك المدد والدهر غافل، والبر سحابه حافل، والبدر في تلك الآفاق طالع غير آفل، ودخان الند يعقد سماء، وخدود الملاح يشرب ماء، ثم مات حيث تلاشى ذماء الجود، ومص الثرى بقية الماء من الفرد.

أصله من أبناء الكُتَّاب، وكتب خطاً حسناً، وقرأ طرفاً من النحو والعربية، واتقن علم الموسيقا، وحفظ كثيراً من الشعر للقدماء والمحدثين، ونقل الأصوات المشهورة، وحفظ كثيراً من نوبِ عبد المؤمن وانخرط في سلك الندماء، وأهل المحاضرات، وملح وندر، وحكى الحكاية والخبر، وخدم ملوك ماردين واتصل بهم، وحُكي أنه حظي عند الملك الصالح شمس الدين وراج لديه، وسمع به السلطان الناصر فاستدعاه، وأقبل عليه غاية الإقبال، وكان له مكانة لم يبلغها أحد من أمثاله، وأمره بملازمة الجواري وتعليمهن ويلقي عليهن الأصوات، حتى تخرج به غالب الجواري المحسنات، وكان يتردد إلى باب الستارة في كل يوم، وتخرج إليه الجواري، وكان مجيداً في الغناء، متقناً في سائر الخفيف والثقيل منه، غاية في ضرب الجنك العجمي وتأليف الأنغام عليه، ولا يكاد يثبت سامعه لشدة الطرب، وكان يقيم بمصر المدد الطويلة، ثم يسأل في العَوْد إلى ماردين فيؤذن له، فلا يكاد يصل [٣٣٣] إلى ماردين ويستقر بها إلا وجهز السلطان في طلبه وبحث في سرعة عوده، فإذا وصل ضاعف الإكرام وعومل بأكثر مما يعهد، وحَصَّلَ بهذا أموالاً جزيلة، ونعماً كثيرة والأنزال التي تزيد على عادة مثله، وحضرت مجلس السلطان مرة وعنده موسى بن مهنا، وكتيلة يضرب بالجنك بين يديه، فرأيت موسى بن مهنا على سكنه العظيم ووقاره يميل يمنه ويسرة، وكان كتيلة ذلك اليوم كله يردد صوتاً صنعه، والصوت: [البسيط]

يا دارَ عَّزةَ مَنْ للوالِهِ الباكي — بنظرة يتمَلَّى من مُحَيَّاك
ما هَبَّ من أيمن الوادي نسيم صبا — إلا وكان الهوى العذريُّ يُمَناكِ
تحَّملي واحملي يا نوقُ واصطبري — على المسير فهذا من سجاياكِ

ولم يبق أحد من غلمان الدار وأعيان الأمراء، حتى هزه الطرب، ولولا مهابة

السلطان لرقصوا، فلما فرغ مما هو فيه، أثنى السلطان عليه، وقال لموسى بن مهنا: كيف رأيت؟ فقال والله ظننت أنه يجذبني إليه، ولو لم أملك نفسي لوقعت عليه، وأمر لـه السلطان بألف دينار يَتَّجِرُ بها، وكتب لـه توقيع مسامحة بما يجب عليه فيها من الموجبات الديوانية في السفر دائماً صادراً وارداً، ومضى يوم عجيب لم يُر مثله، ودخلت على السلطان يوماً آخر وهو عنده، وقد أخذ في صوت صنعه، والصوت: [الطويل]

سلامٌ على ليلى وليلى بعيدةٌ ... ولكنَّها طيفٌ إليَّ قريبُ
بديعةُ حُسْنٍ مالها من مُماثِلٍ ... إذا طلعت شمس النهار تغيبُ
كما أنَّ قلبي في البلاد مُتَيَّمٌ ... كذا حُسْنُ ليلى في الحسانِ غريب

وكان الكتيلة يجيء إليَّ في حوائجه التي تكون لـه عند السلطان، وكان كامل الأدب وافر المروءة، حسن الخلق، جميل العشرة، يرجع إلى كرم وطيب أعراق، وكان بينه وبين الكمال التوريزي ما يكون بين أرباب كل فن من المنافسة والحسد، وكان السلطان قد سمع بالكمال، وجاءته الأخبار بأنه فرد من أفراد الدهر في فنه، فبعث إليه مَنْ يُشخصه إليه، وتطلع إلى مَقدمِهِ عليه، وفخاف كُتَيْلَةَ من بواره به، فلم تمتد الأيام حتى جاءت الأخبار بأن الكمال مات فجأة، فشاع ذكر بأن كتيله ربما دسّ عليه من قتله، ولعل هذا إنما هو من تشنيع العوام [٣٣٤] وأقوال الحسدة الطغام، ثم لم يلبث كُتَيْلَةُ بعده إلى أن عاد إلى ماردين فمات رحمه الله.

قلت: ولما انتهيت في ترجمتي هذه إلى هنا، وقعت على أصوات له صنع فيها ألحاناً مشهورة، مما حدثني به خواجا محمد الماريني.

وكان من خلطائه وأهل صحبته، فمنها شعر الحلاوي وهو: [الكامل]

أَلِفَ الملامَ ولامَ عن ميثاقهِ ... رَشَأٌ فراقُ النفسِ دون فِراقهِ
عَذْب اللَّمَى حُلْوُ الخِلال كأنَّما ... خُلِقَتْ مراشِفُ فيه مِن أخلاقهِ
دقَّتْ معاني حُسْنهِ ولِقَدِّهِ ... عَبَثَ الأنامُ من القنا بدقاقهِ
يهوى الوِصالَ لو بأيْسَرِ موعدٍ ... ويَصُد حتَّى الطيف عن مشتاقه

يــــــا مُـحْـرِقـا قَـلْـبـاً أقـام بَـربـعِـهِ ألا كـفـفـــتَ جـفـاكَ عـن إحـراقِـه

ومنها في شعر الحلاوي أيضاً: [الكامل]

أحـيـــــا بـمـوعـدِه قـتـيـل وَعـيـدِهِ رشــأٌ يـشــوبُ وصــالَـهُ بـصــدودِهِ
قَـمَـرٌ يـفـوقُ عـلـى الـغـزالـةِ وجـهُـهُ وعـلـى الـغـزالِ بـمُـقْـلَـتَـيْـهِ وجـيـدِهِ
يـــــاليتَـهُ بَـعُـــــد الـمـلامُ فـإنَّـهُ مــا زال ذا لَـهَـجٍ بِـخُـلْـفِ وعـودِهِ
يَـفْـتَـرُّ عـن عَـذْبِ الـرضـابِ حـيـاتُـنَـا فـــي وِرْدِهِ والـــمـــوتُ دونَ ورودِهِ
قَـمَـــر أطـاعَ الـحـسـنُ مـنـه وجـهَـهُ حـتَّـى كـأنَّ الـحـسـنَ بـعـضُ عـبـيـدِهِ
أنــا فـي الـغـرامِ شـهـيـدُهُ مـا ضَـرَّهُ لـــو أنَّ جَـنَّـةَ وصـلِـه لـشـهـيـدِهِ

وهذه الأبيات من قصيدة فائقة منها مدح الملك الناصر داود: [الكامل]

يا يوسف الحُسنِ الذي أنا في الهوى يـعـقـــــوبُـهُ نَـبِّـئْ إلـى داودِهِ
أشـكـــــو إلـيـه مـــــن الـزمـانِ فـإنَّـهُ مَـلِـكٌ يـشـيـبُ شـظـاهُ رأسَ ولـيـده
مَـلـــــِكٌ إذا الـلأواءُ لاح لـواؤهـا هـزمـت كـتـائـبـهـا طـوالـعُ جـودِهِ
غمرتْ مواهبة العُفَاةَ فأصبحـــتْ تُـرجـى الـمـواهـبُ مـن وفُـودِ وفُـودِهِ
وإذا الـعـدوُّ نـحـتـهُ لُـدْنُ رمـــاحِـهِ فـتَـكَـــتْ ثـعـالِـبُـهـا بـغُـلْـبِ أُسُـودِهِ
مـن كـلِّ أسـمـرَ فـي الـمـلاحـم طـالـمـا عـاد الـردى مُـهَـجَ الـكُـمـاةِ بـعُـودِهِ
غـصـبْـت عـوامُـلـهـا الـظـلامَ نـجـومَـهـا والـبـانَ قـــد سـلـبَـتْـه لـيـنَ قـدودِهِ
[٣٣٥] سَمْرٌ إذا الجُبارُ سامَ دفاعَها وردتْ أسِـنَّـتُـهـا بـجـمـيـع وروده
عَـذَبـاتـهـا صُـفْـرٌ كـوجـهِ عـدوِّهِ بـالـنـصـرِ تـخـفـق مـثـل قـلـبِ حـسـودِهِ
مـــلــكُ ألانَ لـنـا الـزمـان إنَّـمـا داودُ مُـعْـجِـــزَةٌ لِـلِـيْـنِ حـديـدِهِ

ومن أصوات كُتيَله مما ذكر لي صاحبه خواجا محمد المارديني، أن كُتيْلَةَ غناه بين يدي سلطاننا فأجزل عطاياه، ورفع على كاهل الجوزاء مطاه: [الكامل]

ملكُ الـمـلوكِ مـحـمـــدٌ أنـتَ الـذي ذلَّـتْ مـلـوكُ الأرضِ بـيـنَ يـديـهِ
شـرفُ الـمـلـوكِ بـأن يـكـون عَـبِـيدَهُ أو أن يـكـونـوا واقـفـيـــنَ لـديـه

جَهِدوا وما دانوكَ في أدنى العُلا ... هيهاتَ إنْ وصلَ الملوك إليهِ
وإذا هُمُ بلغوا السماءَ مكانَةً ... لما تراموا في السماحِ عليهِ

والشعر لرجل من أهل ماردين.

ومنها صوته في شعر القاضي أبي الحسن: [الطويل]

أأيامَنَا بين الكثيبينِ في الحِمى ... وطيبَ ليالينا الحميدةِ فيهما
صَحِبْنَا بها شَرْخَ الشَّبابِ فدَلَّنا ... على أعْيُنٍ كانتْ عن البين نُوَّما
فمن قائلٍ لا آمنُ الدَّهْرَ حاسداً ... وقائلةٍ لا رَوَّعَ البينُ مغرما
بدّتْ صُفْرةٌ في وجنتيهِ فلم تَزلْ ... مدامِعُهُ حتَّى شَرِبْنا بها دَمَا

ومنها صوته في شعر ابن زريق الكاتب: [البسيط]

باللهِ يا منزلَ القَفْصِ الذي درست ... آثارُهُ وعَفَتْ مدينة أربُعُهُ
هل الزمانُ مُعيدٌ فيكَ لذَّتنا ... أم الليالي التي أمْضَتْهُ تُرْجِعُهُ
مَنْ عندهُ لي عَهْدٌ لا يُضَيِّعُهُ ... كما لَهُ عَهْدٌ صِدْقٍ لا أُضَيِّعُهُ

وقصيدة ابن زريق التي منها الصوت معروفة مشهورة لها في كل ناد نداء، ولها في كل واد حداء، وجملة مختارها سواه: [البسيط]

لا تعذليه فإن العَذْلَ ينفعُه ... قد قلتِ قولاً ولكن لست أسمعه
[٣٣٦] جاوزتِ في لومِه حَدَّ الْمضِرّ به ... من حيثُ قدَّرْتِ أنَّ اللومَ ينفعُه
فاستعملي الرِّفقَ في تأنيبه بدلاً ... من عُنْفِه فهو مُضْنى القلبِ موجَعُهُ
يكفيهِ من روعة التفنيد أنَّ له ... من الهوى كلَّ يومٍ ما يُرَوِّعُهُ
ما آبَ من سَفَرٍ إلا وأزعجَهُ ... رأيٌ إلى سفرٍ بالعزم يجمعُهُ
كأنما هو من حِلٍّ ومرتحَلٍ ... مُوَكَّلٌ بفضاء الأرضِ يذرعُهُ
واللهُ قَسَّمَ بينَ النَّاسِ رِزْقَهُمُ ... لم يخلقِ اللهُ من خَلْقٍ يُضَيِّعُهُ
أستودعُ اللهَ في بغدادَ لي قَمَراً ... بالكرخِ من فَلَكِ الأزرارِ مَطْلَعُهُ
ودَّعْتُهُ وبودِّي لو يعاجلني ... وِرْدُ الحِمامِ وأني لا أُوَدِّعُهُ

لا أكذبُ الله ثوبُ الصبرِ منخرقٌ عَنِّي بفُرْقتِهِ لكنْ أُرَقِّعُهُ
إنِّي لأقطعُ أيامي وأنفذها لحسرةٍ منه في قلبي تُقَطِّعُهُ
لأصبرَنَّ لدهرٍ لا يمتّعني به ولا بي في حالٍ تُمتِّعُهُ
علماً بأنَّ أصطباري مُعْقِبٌ فرجاً فأضيقُ الأمرِ إنْ فَكَّرْتُ و أوسَعُهُ
وعسى الليالي التي أضْنَتْ بفُرْقَتِنا سمحى سَتَجْمَعَني يوماً وتجمعُهُ
وإنْ تَغُلْ أحداً مِنَّا مَنِيَّتُهُ فما الذي في قضاءِ اللهِ يَصْنَعُهُ

وموضع الصوت يكون أوله تلو: (إني لأقطع أيامي وأنفذها) البيت.

ومن أصوات كتيلة في شعر البارع: [البسيط]

بـاللهِ يا ريحُ إنْ مَكَّنْتِ ثانيةً من صدْغِهِ فأقيمي فيه واستتري
وراقبي غفلةً منهُ لتنتَهِزي في فرصةً وتعودي منهُ بالظَّفَرِ
وإنْ قَدَرْتِ على تشويشِ طُرَّتِهِ فَشَوِّشيها ولا تُبْقي ولا تّذَري
ولا تمسّي عِذارَيْهِ فيَفْضَحني بنفحةِ المسْك بين الوردِ والصَّدَرِ

وتتمه هذه القطعة:

وبَاكِري عَذْب وَرْد مِنْ مُقَبَّلِهِ مُعَلَّلَ الطَّعْمِ بينَ الطِّيْبِ والخَصَر
ثُمَّ اسْلُكِي بَينَ بُرْدَيْهِ عَلَى عَجَلٍ واسْتَبَضْعِي الطِّيْبَ وأتيني على قَدَرِ
[٣٣٧] ونبِّهيني دُوَيْنَ القومِ وانتفضي عليَّ واللَّيلُ في شَكٍّ من السَّحَر
لعلَّ نفحةَ طِيْبِ منكِ ثانيةً تقضي لُبَانَةَ قلبِ العاقرِ الوطرِ

ومن إصواته في شعر الجلال ابن الصفار الماردينى: [الكامل]

يسعى بأبرق ذا من ثغره يُحيى وذا من مقلتيه قائلُ
عنيتُ إنساناً هما من لحظه ذا سايفٌ وبهديهِ ذا نابلُ
فمتى تقومُ قيامتي بوصاله ويضمُّ شملينا مَعَادٌ شاملُ
وأكونُ من أهل الخطايا خدُّهُ ناري وصدغاهُ عليَّ سلاسلُ

وأولها:

أيـن الـسـلـو ومـا يـرومُ الـعـاذل ... مـمـن لـه بـهـواك شـغـل شـاغـل
أنـا مـا سـلـوت وبـرق فـيـه خُـلِّـت ... أسـلـو وعـارضـه أمـامـي شـائـل

ومن أصواته في شعره أيضاً: [الطويل]

وفـي خزرم لمـا حللنا فناءهـا ... سكرى حيارى تحـت ظل الغياهب
تبدت لنا عنـد الصبـاح طليعـة ... من الترك مرد فوق جود السلاهب
بـأيديهم سمـر طوال كأنمـا ... أسنَّتهـا تبـغي التقاط الكواكب
تثّنوا غصوناً في السروج وأطلقـوا ... سهام لحاظٍ مـن قسي الحواجب
وألقـوا القنا والمران عنهم وقـو ... موا قـدوماً أعدوها لقرع الكتائب
ولو كشفوا بيض العوارض في الوغى ... لأغنتهم عن مثل بيض القواضب

ومن أصواته في شعره أيضاً: [الكامل]

برقٌ بدا مـن ثغـرك المنعوت ... أم لُـؤلـؤٌ قـد ضـمَّـهُ يـاقـوتُ؟
يا للنصـارى بَرْقِعُوا شمَّاسَكُـم ... قـبـلَ الـضـلالِ فـإنَّـه طـاغـوت
ما قـام أقنومُ الجمـالِ بوجهِهِ ... إلا وفـي نـاسـوتـهِ الـلاهـوتُ
يشتاقُهُ قـلبٌ إليـه طـائرٌ ... صّـبٌّ وطَـرْفٌ حـائـرٌ مـبـهـوتُ
فاحسنْ فـإنَّ الحُسْنَ وصفٌ زائلٌ ... واصـنـع جـمـيـلاً فـالـجـمـالُ يـفـوتُ
[٣٣٨] واسْتبقِ من أهلِ الغرامِ ولا تَجُرْ ... فـيـقـلـدوك دمـاءَهـم وتـمـوتُ

أخبرني الجمال المشرقي ما معناه: أن أبا كُتَيْلَةَ كان يعزف، وزجاجته ما أبرزت، وكانت له معه نوادر تستحسن، ووقائع لا يعرف أنها أحسن، قال: ومنها أنه لما اشتدَّ يافعا، وأصبح لا يراد منه نافعاً، سلك سبيل العتب في الإدلال، وفَرَّط وأفرط في الاحتمال، حتى أتى إلى بركة كان قد صنعها النجم يحيى ملونة بالزجاج، ومشفقة كالقصور والجام، قد أقيمت حروفها وأحكم تأليفها، فأخذ حجراً بيده ورماها به، فثلمها وحطَّ رتبة حُسنها وحَطَّمها، فقال فيه: [السريع]

قُـــلْ لـــلـــذي ثَـــلَّـــمَ بـــركـــةٍ   مـــا يـــأخُـــذ الـــثـــأرَ ولـــو هَـــدَّهـــا

فَـــتَـــحْـــتَ فـــي أســـفـــلـــه ثَـــغْـــرَة   لـــو عـــاشَ ذو الـــقَـــرْنَـــيـــن مَـــا سَـــدَّهـــا

قال: ثم تعدى سوط غدايفال، وتعالي قدره في بلاد ماردين، فخدم في أعمالها، وختم بتصرفه على مآلها، وولي نظر دنيسر، وهمى عليه صوب الرزق فأيسر، ونشأ ابناه مسعود ومحمد كُتَيْلَةَ وتعلما، وكبرا وتقدما، إلا إنَّ الحَمَامَ أتى على مسعود أولاً وشبابه شارخ، وغناؤه لم يصرخ باسمه صارخ، فبقي الذكر لأخيه مفرداً، كأن لم يكن سواه من أبيه، قال: وكان مسعود متعلقاً بحبائل ابن الملك المنصور صاحب ماردين، لا يخاف منه الخبر، ولا يسأل دونه السفر، وكان الملك المنصور قد أخذ ابنة الجنك البغدادية المغنية بغتة من بغداد، وأتى بها إلى ماردين وتركها بها مقيمة، وأهلها لا تعرف أرضاً ابتلعتها، أو سماء اقتلعتها، وكان سبب هذا أن الملك المنصور كان رجلاً جسيماً وكان قد نقص عيار الدراهم بماردين حتى حول الدرهم مقدار الثلثين، فلما نزل الأرد ببغداد سافر للقاء القان، فلما كان يوم دخولـه إلى بغداد، خرج أهلها ليروه، وكانت ابنة الجنك ممن خرجت، فلما مَرَّ عليها، قالت لبعض من كان عندها: من هو صاحب ماردين في هؤلاء؟ فقيل لها: هذا، وأشاروا إليه، فنظرت إليه وقالت: كل هذا بثلثين ألا ماردیني هو، فدخلت كلمتها [٣٣٩] في صماخ أذنه، وأذكت عليها نار إِحَنِهِ، فطلب بعض خاصة قومه، وأمره أن يتعرف أمرها، حتى عرفها ثم على عليها حتى أحضرها إليه ليلاً لتغنيه فاختطفها وأركبها الخيل، وسِيْقَ بها النهار والليل حتى أتى بها ماردين، وقبرها في بعض دورها، وتركها لا يحفل بأمورها، ثم أحضرها ليسمع غناءها، فما رآها حتى رابه أمره، وخامر لبه خمره، وتلف بها جوى في الجوانح، وهوى صاد شركه الجوارح، ثم طال عليها الاغتراب والحبس المضيق في عش الغراب، وكانت قد أنست إلى مسعود بن غدايفال لطول اجتماعها به في مجلس الملك المنصور، وعلقت قلبه فلم يجد سبيلاً إليها إلا بأن حَسَّنَ لابن الملك المنصور حُبَّها وهون عليه قربها، واستغفل الملك المنصور حتى سافر إلى الموصل، وأتى مع ابنه إليها، وباتا يَحُثان كؤوس الراح عليها، فلما عاد الملك المنصور أتته عينه الناظرة بما رأت، وحدثته ثقات خبره بالليلة التي جرت، فأحل بمسعود المنحوس الحِمَام، وأورده مورد الموت الحمام، وخافت بنت

الجنك فأمسكت خُفيها على يديها وتدلت من الساتوره حتى ثبتت على الأرض قدميها ولقيه هناك خدمها، وكانت قد اتعدت مع ثقات لها منهم إلى هناك بالخيل، وسارت تقطع الأكام وتسابق الركام، حتى وافت مدينة سنجار، وبها الأمير يحيى بن الجلال، فاستجارت به فأجارها، ووسع تحت نقاط يده وجارها، وأتى الخبر الملك المنصور، فقتل صبراً، ولام أهل مشورته للتدبير، وبعث رسله إلى ابن الجلال يعتب، فضم ظهور المطي، وخصم ألسنة الملي البدري و أعلمه بما يجد لفرقتها، ويكوى به من نار حرقتها، فبعث بها إليه فتلقاها وأقرها لديه على أتم الأحوال وأبقاها، وذهب دم ابن غدايفال هدراً، وكان حمه لها قدراً.

ومنهم:

٨٠ ـ خَالِد(١)

لو أدْرَكَهُ عبد المؤمن لأخذ عنه النوب، أو السهروردي لعلم أنه سهوٌ ردِيٌ، وما حصل من العلم معه إلا على اسم الطرب، لو حضر مجلس ابن المهدي لتيقن أنه ما اهتدى، أو ماثل ابن بانة لما مال غصنه متأوداً، أو لو طارح الأميرابن طاهر لود أن يكون مـــن عدته [٣٤٠] أو الهذلي لأقر أنه لا قصر عن مداه، إلا أن طائفة تغض منه غض الحاسد، وتريد أن يكون لها مثل سيفه الخالدي، وهيهات إنما يضرب في حديد بارد، وتظن أنها من أقرانه ولكن من هو من أقران خالد، لو كان في زمانه سَمِيُّهُ خالد بن عبد الله القسري لبادر العيش وانتهب، أو عاصر سَمِيَّهُ الآخر خالد بن يزيد الأموي لعلم أن صنعة الطرب والغناء أجدى عليه من صنعة الكيمياء والذهب، فقد خَلَّدَ له ذكراً، وخلف له ما يحتاج سامعه معه شكراً، وأبقى له ما إذا ذكرته به لا أزيد عليه شكراً، ومن أصواته: [البسيط]

ردُّوا على مقلتي النومَ الذي ذهبَا　　　وخبروني بقلبي أيَّةَ ذهبا
علمت لَّما رضيتُ العيش منزلةً　　　أنَّ المنام على عينيَّ قد غَضَبا

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

إني له عن دمي الَمشفُوكِ معتذرٌ أقـــولُ جملتُهُ من سَفْكِه تَعِبا
هل تشتفي منكَ عينٌ أنتَ ناظرُها قد نالَ منها سُهَادُ الليل ما طلبا
ماذا ترى في مُحِبٍ ما ذكرتُ لهُ إلا بكى أو شكا أو جُنَّ أو طربا
ترى خيالك في الماء الزلال إذا رامَ الشرابَ فروَّى منه ما شَرِبَا

والشعر للأرجّاني والغناء فيه رمل.

وكذلك صوته في شعره أيضاً، والغناء فيه دو كاه وهو: [الكامل]

إن كنت عن نظر المحب تغيب فهواك من كل القلوب قريب
لك في سويدا القلب أشرف منزل ما حل فيه سواك قط حبيب
يا من تحجب عزة عن ناظري أنت المنى والسؤل والمطلوب
وحياة وجهك إن جيش تضرري ولي وجيش عزيمتي مغلوب

وله صوت في شعر ابن نباته المصري، والغناء فيه من عراق، وهو: [البسيط]

نَادىَ وقامَتُهُ تَهْتَزُّ بالتِّيّهِ فَكَادَتْ الشَّمْسُ قِيْدَ الرُّمْحِ تَحكِيْهِ
[٣٤١] وقمت أذكره بالظبي ملتفتاً فقال لي طرفه من غير تشبيه
ما للذي فتنت طرفي محاسنه أضحى يعذب روحي وهي تفديه
وما للعاذل قلبي في محبته تعبان يدخل فيما ليس يعنيه
القلب قد أسكن الله الحبيب به فما الملام على حال بمخليه
لا يختشي بيت قلبي غزو لائِمِهِ فإن للبيت رباً سوف يحميه

وله صوت شعر مجهول، والغناء فيه راست مُعَشَّق الدقات وهو: [المديد]

زار والواشوان قد غفلوا رشا من ريقه ثمل
كل مخلوق له أجل صرت في حبي له مثلُ
وحل لي ذلك المثل قلت قد أتلفتني ملك
قال كم قد أتلف الملك

وله صوت في شعر ابن عربي والغناء فيه دوكاه: [البسيط]

نعم لقلبي ببانات الحمى أرب ... ولي دمـــع لذكراهن ينتسب
هبت له نسمة من نحو كاظمة ... فاعتاده لهبوب النسمة الطرب
يا ساكني الجزع في حيكم قمـــر ... طرفي على البعد يرعاه ويرتقب
بَدْرٌ بِهِ يهتدي الساري فواعجباً ... يجلو الدجي قمر بالشمس محتجب

وله صوت في شعره أيضاً، والغناء فيه رمل: [الرمل]

من لقلب بالعيون النجل مُضْنى ... حسنها أورثه سقماً وحزنـــا
وفـــؤاد مـــا أتـــاه خـبـــر ... عن أهيل المنحنى إلا وحنا
ورشيــــق القد ألمى أسمـر ... هـــز من قامتــه أسمر لدنا
خلته لمــا تبدى غصنــاً ... فتجلى قلت بـــدر قد ثنى

وكذلك له صوت في شعره فيه كوشتا، وهو: [الخفيف]

كــــل يـوم يزد وجهك حسنـاً ... وفؤادي يـــزيـد وجداً وحزنـا
[٣٤٢] أنت والله أحسن الناس شكلاً ... ما للفظ الجمال غيرك معنى
لي قلب يحن نحــــوك شـــوقاً ... وضلوع على الصبابة تحنى
من يكن رام عـــن هـــواه سلـــواً ... فأنا المدنف الكئيب المعنى

وله صوت أظنه في شعره أيضاً، والغناء فيه عراق وهو: [البسيط]

لو بلغ الشوق هذا البارق الساري ... أو بعض وجدي الذي أخفي وتذكاري
ما بتّ أرعى الدجي شوقاً إلى قمر ... ولا معنـــــى بطيف طارق طاري
جيراننا كنتـــم بالـــرقمتين فمذ ... بعدتم صـــار دمعي بعدكم جاري
فكم أواري عزماً من جوى وأسى ... زناده تحت أثنـــاء الحشا وارِ

وله صوت في شعر مجهول، والغناء فيه ماه يوسليك وهو: [الكامل]

شوقي إليك أجله أن يذكـــرا ... وهـــو يـــرق لطافة أن تنشرا
بيني وبينكم إذا حكم الهـــوى ... فرق كما بين الثريا والثـــرى
ريم رمى قلبي فأصبح ساكناً ... فيه ومسكنه أصاب وما درى

ساومته روحي وكانت ملكه		فأبي وقال الوقف ما يشترى

وله صوت في شعر محاسن الشوا، والغناء فيه مبرقع وهو: [البسيط]

أشكو إلى الله لا أشكو إلى أحدٍ		حزنا يكابده من بعدكم كبدي
أحبابنا كيف ألهو عن محبتكم		وعقد ودكم ديني ومعتقدي
وبين حبكم والروح معرفة		تأكدت قبل خلق الروح والجسد
لا تأخذوا بدمي أجفان طيبكم		فالروح روحي وقد أتلفتها بيدي

وكذلك أيضاً: [الوافر]

بعادكَ علَّم النوم البعادا		وكحل مقلتي فيك السُّهادا
[٣٤٣] أواسيها خيالاً منك يسري		فلو أرسلت طيفاً ما أرادا
وألهبَتِ القلوب بنار شوقٍ		أبت يوم النوى إلا البعادا
ولم تترك لذي طرف مناماً		يلم ولا لذي جلد فؤادا

والشعر للمحار والصوت فيه طرف.

وكذلك صوته في شعر شيخنا أبي الثناء الحلبي، والغناء فيه محير الحسيني: [الخيفيف]

أيها المنزل الذي كان فيه		ليجلي شموسهم إشراق
والذي كان فيه بدر المسرا		ت تماماً لا يعتريه محاق
أوحشوني مُذ فارقوني فهل		أصبحت مثلي إليهم تشتاق
فابك لي مسعداً عليهم فلا		بأس إذا ما تساعد العشاق

وكذلك صوته في شعر ابن نباته المصري[1]: [مجزوء الكامل]

يا قلب أنت ومقلتي		متحاربان كما ترى
هاتيك تمنعك الهدوء		وأنت تمنعها الكرى

---

(١) ابن نباته، الديوان: ١٤٩.

وأنـا الـــذي قـــاسيـت بـيـــ ـــنـكـمـا الـعـــذاب الأكـبـرا

وكذلك صوته في شعره أيضاً، والغناء فيه زنكلا: [الوافر]

غـنـي الـحـسـن حـالـي الـوجـنـتـيـن ... مـتـى يـقـضـي وعـود الـهـجـر ديـنـي
متـى بـالـثـغـر والـخـدين تـجـلـو ... بـــوارق رامـةٍ والـرقـم شـيـن
أبـثـك إن عـاد لـــي الـمـعـنـى ... رآك بـعـيـن حـــبٌ مـثـل عـيـنـي
فَحَـاكـى قَـلْـبُـهُ قـلـبـي خـفـوقـا ... وحـكَّـمـك الـهـوى في الـخـافـقـيـن

وله صوت في شعر مجهول، والغناء فيه راست، وهو: [البسيط]

بي من جفاك صبابات وتسهيـــد ... فـهـل لـيـوم وصـال مـنـك مـوعـود
سلي نجوم الدجى تنبيك عن سهري ... لـتـعـلـمـي أن يـومـي فـيـك مـفـقـود
أو فانظري سقمي إن كنت منكـرة ... فـالـعـيـن تـشـهـد والأخـبـار تـقـلـيـد
يا ضرَّة الـشـمـس عـودي غير هـاجـرة ... عـسـى بـوصـلـك أن يـخـضّـر لـي عـود

وكذلك له صوت في شعر مجهول، والغناء فيه عراق: [الكامل]

[٣٤٤] حسب المحب فقد تمزق صبره ... وبـــدا لـعـاذلـه الـمـعـنـــف عـذره
في حب أغيد لـم تـــزل أجفانـه ... مـكـسـورة فـيـهـا تـأكـــد نـصـره
ظبـــي وغـصـــن مـقـلـتـاه وقدُّه ... بـدر ولـيـــل وجـنـتـاه وشـعـره
أقْسَى من الـصـخـر الأصـــم فـؤاده ... وأرق مـن شـكـوى الـمـتـيـم خـصـره

وله صوت في شعر مجهول، والغناء فيه حسيني وهو: [السريع]

مـن عـلَّـم الـغـصـن الـرطـيـب الـدلال ... حـتـى سـطـا جـوراً عـلـيـنـا ومـال
ومـن أحـل الـقـتـل فـي مـذهـب الـ ... ـحـب وأفـتـى أن هـذا حـلال
يـا فـتـنـة الـعـاشـق مـن واضـح ... يشرق في جنح الـدجـى كـالـهـلال
أحـــور كـالـحـــور ولـكـنـه ... يـنـفـر مـن عـاشـقـه كـالـغـزال

وكذلك له صوت في شعر مجهول، والغناء فيه عراق: [مجزوء الكامل]

ومـهـفـهـف كـالـغـصـن مـائـل ... مُـرٌ الـجـفـا حـلـو الـشـمـائـل

مـن مـقـلــتـيــه صــوارم ومـــن الـجـفـــون لـه حـمـائـل
تَــرَفُ الــدَّلالِ يَـكَـادُ يُـذْ مـيْــهِ مِـنَ الـتَّـرفِ الـغـلائِـلْ
كـم عـنـفـتْ فـيـهِ الـوشَـا ةُ وأطَـنـبـتْ فـيـه الـعـواذِلْ

وكذلك له صوت في شعر مجهول، والغناء فيه نكاري: [البسيط]

ناولتها شبه خـديها مشعشة مثل الصباح تحاكي ضوء مقباس
فقبَّلتها وقالت وهي ضاحكـة فكيف تسقى خدود الناس للناس
قلت اشربي إنها دمعي وعاصرها دمي وطابخها في الكأس أنفاسي
قالت إذا كنت في أجلي بكيت دماً فسَقِّنيها على العينين والراس

وكذلك له صوت في شعر مجهول، والغناء فيه زاولي: [الطويل]

أمـن أرض ليلى للنسيم هبوب فمن نشرها فيه تضوع طيب
تهب قبـولاً والقبـول أمامه وتسري جنوباً والغراب جنيب
صبا للصِّبا قلبي وكل متيم يحن إذا هبت صباً وجنوب
[٣٤٥] وارتاح منها للريح إذا سرت مراضاً كأني للنسيم نسيب

وله صوت في شعر الخطيب يوسف الصوفي، والغناء فيه زنكلا وهو: [الكامل]

أبـدى دلالـك للغـرام دلائلا فعصيت لُوَّاماً ولمت عواذلا
وإذا رأيت القلب يشكو في الهوى قفرا إليك جعلت دمعي سائلاً
ينهيـك أن الشوق أمسى نازلاً في مهجتي والصبر أصبح راحلاً
وتركت عزمي مثل جفنك فاتراً وجعلت جسمي مثل خصرك ناحلا

وله صوت في شعر شيخنا أبي الثناء، والغناء فيه رمل، وهو: [الطويل]

أشوق وهم في ربع قلبك سكان ووجد وما شطَّ المزارع ولا بانوا
نعم هي روح أحرقتها صبابةٌ فسالت دموعاً والجوانح أجفان
تمر بها الأنفال وهي رطيبة وترجع عنها وهي بالوجد نيران
فلو كان هذا الدمع ماء لأعشبت ربا الحي منه وامتلت منه غدران

وله صوت شعر في شيخنا الصائغ بن سباع، والغناء فيه رمل، وهو: [الكامل]

حبس الهوى نومي وأطلق أدمعي ... ضناً بطيفك أن يلم بمضجعي
يا ساكن الجفن القريح أما ترى ... حقاً لجارك في هواك مضيّع
وأنا الفداء لنازح سكن الغضا ... من مهجتي والمنحنى من أضلعي
أبداً يلوح خياله في ناظري ... ويجول طيب حديثه في مسمعي
ولقد شكوت إلى الفراق صبابتي ... يوم النوى وولوع قلبي الموجع
فأبي وعيشك أن يرق لحالتي ... أو أن يجيب هناك سائل أدمعي

وله صوت في شعر أبي تمام حبيب ابن أوس، والغناء فيه زاولي وهو[1]: [الخفيف]

حسنت عبرتي وطاب نحيبي ... فيك يا كنز كل حسنٍ وطيب
لك قدٌّ أرق من أن يحاكى ... بقضيب في النعت أو بكثيب
حار حكمي في قلبه وهواه ... بعد ما جار حكمه في القلوب
كاد أن يكتب الهوى بين عيني ... ـه كتاباً هذا حبيب حبيب

[٣٤٦] وكذلك صوت في شعر، والغناء فيه زاولي، وهو: [مجزوء الخفيف]

لا وَوَرْدٍ بخدِّه ... واعتدالٍ بقَدِّهِ
لا تعشّقتُ غيرَهُ ... لو براني بصَدِّهِ
إنْ يكنْ أقسَمَ الهوى ... بعد تصحيح وَرْدِهِ
فعَسَاهُ بعدَ التمنْـ ... ـنُعِ يرثي لعَبْدِهِ

وله صوت في شعر مجهول والغناء فيه حسيني، وهو: [مجزوء الخفيف]

رُبَّ لَيْلٍ سَهِرْتُهُ ... فيكَ لولاك نُمتُهُ
بحنينٍ ولوعةٍ ... وبكاءٌ قَطَعتُهُ

(١) أبو تمام، الديوان: ٢/٢٥٦.

فـلـــقَ الـعـيـــنَ مُـفْـكِـــراً فـــي وصــــال حُـــرِمْـــتُـــهُ
بـأبـــي وجــهَــكَ الــجَـمـيـــ ـــلَ الـــذي لا عُـــدِمْـــتُـــهُ

وله صوت في شعر ابن مطروح، والغناء فيه راست، وهو: [الكامل]

أوثـقـتـنـي مـن نـاظـريـك جـــراحـا وتـركـتـنـي لا أسـتـطـيـعُ بَــراَحَـا
أحَـسِـبْـتَ أنّي سـالـيـاً لا والـــذي أبـدى بـلـيـلِ الشَّـعْـرِ منكَ صبـاحـا
مـا بُـحْـتُ بـالـسِّـر الـمـصونِ وإن سلا غـيـري وخـــان عُـهـودَه وأبـاحـا
لَـكِـنَّـنــــي حَـرَّمْـتُ عَـنْـكَ تَـصَـبُّـري وَرَضـيْـتُ قـتـلـي فـي هَـواكَ مُـبَـاحـا

وله صوت في شعر البهاء زهير، والغناء فيه أصفهان راست، وهو(1): [مجزوء الخفيف]

يـــا مُـــعْـرِضَـاً مُـتَـغَـضِّـبـاً حَـاشَـاكَ يـــا عَـيْـنـي وَرُوحـي
لـــم تـــدر مـــا فـعـــل الـبـكـا ء عـلـيـــك بـالـجـفـن الـقـريـح
لـك مـن ضـمـيـري مـا عـلـمـت بـــه مــن الـــود الـصـحـيـح
فـمـتـــى أفـــوز بـنـــظـــرةٍ مـــن وجـهـك الـحـسـن الـمـلـيـح

وكذلك له صوت في شعره، والغناء فيه حسيني: [مجزوء الكامل]

يـــا غـــادريـن ألـم يـكـن بـيـنـي وبـيـنـكــم عـهـــود
ظـهـرت وبـانـت لـي قـضـيـــ ـتـكـم فـمـا هـــذا الـجـحـود
[٣٤٧] وحـلـفـتـم مـا خـنـتـم وعـلـى خـيـانـتـكـم شـهـود
يـــا مـــن تـبـدل فـي الـهـوى يـهـنـيـك صاحـبـك الـجـديـد

وله صوت في شعر الأمجد، والغناء فيه جاركاه: [الطويل]

تـرى تـسـمـح الأيـام لـي فـأراكـم وأشـكـو إلـيـكـم منذ يوم نـواكـم
فـيـالـيـت أنـي لـم أكـن بـنـت عـنـكـم ويـا لـيـــت أنـي لا عـرفـت هـواكـم

---

(١) البهاء زهير، الديوان: ١٢٣.

وأعـظـم مـا ألـقـاه أنـي لـــم أجـد سلـــواً لقلبــــــي عنكم بسواكم
وإنــي لأرضــي أن أمــوت صـبــابــة إذا كان موتي في الهوى من رضاكم

وله صوت في شعر مجهول، والغناء فيه جاركاه: [الكامل]

لـمـا بـدا مـرخـى الـذوائـب مـسـفـراً عـايـنـت فـوق الـغـصـن لـيـلاً مـقـمـرا
وجـنـنـت لـمـا هـز غـصـن قـوامـه سـكـــر الـدلال صـبـابـة وتـذكـرا
لـمـا دجـت أصـداغـه وتـضـرمـت وجـنـاتـــه لـبـس الـجـمـال مـشـهـرا
وكـأنّ بَـحْـرَ الـحـسـن لـمـا مـاج فـي خـديـه ألـبـــس سـاحـلـيـه الـعـنـبـرا

وله صوت في شعر الوأواء، والغناء فيه سيكاه[1]: [البسيط]

مـا حُـكِّـمَ الـبـيـنُ إلا جـارَ مُـحْـتـكـمـا ولا انـتـضـى سـيـفــــهُ إلا أراقَ دمَـا
الـلـه يـعـمـل أنِّــــي يـومَ بَـيْـنِـهِـمُ نَـدمْـتُ إذْ لـــم أمُـتْ في إثْرِهِـمْ نَـدَمـا
قـد سَـرَّنـى أنَّـهُـمْ قـد سَّـرهُـمْ سَـقَـمـي فأزْدَدْتُ كـيـمـــا يُسَرُّوا بالضنَّى سَقَمـا
ديـارَهـم خـبَّـرنـا بـالـذي فـعـلـــوا فـــربَّـمـا جَـهِـلَ الْـمُـشْـتَـاقُ مـــا عُـلِـمـا

ومنهم:

٨١ - السَّهْرَوَرْدِي شَمْسُ الدِّين[2]

كتب مثل ياقوت الدِّر، وزاد عليه ففضل الرفيق الحُرّ، وباهى الروض وقال بيدي ما بيدي ولاحى النرجس، وقال كيف تُدرك الغاية وطرفك قد نعس، وسهر وردي وكيف يقاس بي وقد تطاولت ولم يبلغ الشجر أو يشبه بي عزيز غال، وإن قيل ياقوت، فهل هو إلا حجر وهبه، أجاد الخط أتى بأحسن مما أتيت، أو أنه سابق فهل خط معي إذ خط الرهان فأبيت، أو قيل إنه قد أجاد حتى من علم الطرب فيما أدعيت وسبق، وإن كنت أنت بعده قد طرف وما سعيت فهل شهد إلا بالخط الذي عليه [٣٤٨] اقتصر، وإلى

---

(١) الوأواء الدمشقي، الديوان: ٢٠٠.
(٢) شمس الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤١هـ) انظر عنه: الصفدي، أعيان العصر: ٤١٤/١.

الخط ما طمح على أنه اقتصر، ولا ملأ إلا البصر، وحده بحسن خطه وقد ملأت السمع والبصر، مولده ببغداد في المحرم سنة أربع وخمسين وستمائه ببغداد، حفظ القرآن، وتفقه على مذهب الشافعي، وقرأ العربية ونظر في اللغة والمعقول، وحفظ المقامات الحريرية، وفاق الناس في الخط بعد ياقوت المستعصمي، وقيل: إنه كتب قلم النسخ أحسن من ياقوت، وكتب على الشيخ زكي الدين عبد الله، وفاق عليه في الكتابة.

قال العلامة تاج الدين بن البشاك: كنتُ أكتب على ياقوت وأجود قلم النسخ، فكان يُغير عليَّ ويوقفني على الأصول، وكنت أستزيده فيوقفني إلى أن بلغت طبقة لم يُغير عليَّ فيها شيئاً، فاستزدته فلم يزدني، وألححت عليه فقال: ما عليَّ مزيد، أتظن أنك تبلغ طبقة شمس الدين السهروردي، فإن نسخه خير من نسخي.

قال أبو الخير الذخلي: وأجمع الناس على أنه لم يدرك أحد غايته في كتابات المينا على الآجر وغيره، وكتاباته مشهورة بالروم والعراق وخراسان وفارس وغير ذلك من البلاد، وسمع الحديث على جماعة منهم: رشيد الدين أبو عبد الله المقري، وعماد الدين أبو البركات ابن الطبال، وأجاز له جماعة، وكان حسن الأخلاق كثير الحياء، شديد المقال، ذا مروءة وفتوة، وشرف نفس وتواضع، كثير البشاشة ظريفاً لطيفاً، معمور الأوقات بالاشتغال والأشغال، صاحب رأي وحزم وعزم وتؤدة وفصاحة، وبلغ في الموسيقا، وعمله بالغاية القصوى، واعترف الفضلاء بإحرازه فيه قصب السبق، أخذ عِلْمَهُ وعَمَلَهُ عن صفي الدين عبد المؤمن، وأجمع الناس على أنه لم يأت بعده مثله، ومنه استفاد المينا وبرز عليه فيه، ووصلت تصانيفه في الموسيقى شرقاً وغرباً، وكتب بخطه ثمانية وسبعين مصحفاً، منه خمس ربعات، كل ربعة وقر بعير، وكتب إحياء علوم الدين للغزالي، وكتاب المصابيح للبغوي ثلاث نسخ، وعوارف المعارف لجد أبية ثلاثة نسخ، ومشارق الأنوار للصنعاني ثلاث نسخ، وكتاب الشفاء لابن سينا في مجلد، والكتاب في نفسه في كثير من النسخ المتوسطة ستة عشر مجلداً [٣٤٩]، والمقامات ثلاث نسخ، ومُفَصَّل الزمخشري نسختين ونهج البلاغة أربع نسخ، وكتب من الأحاديث والأدعية والدواوين والدروج شيئاً كثيراً، وكان حظياً عند السلطان، وكاتبه سلطان الهند واليمن

غير مرة وجماعة من الكبراء على أن يمضي إليهم فلم يفعل، وكتب عليهم خَلْقٌ كثير، منهم السلطان أبو سعيد، والسلطان أبابك، وسلطان السَّلْم، والوزير غياث الدين محمد بن الرشيد، ونظام الدين الطياري، وأولاد الأئمة والقضاءة، والفضلاء والرؤساء والوزراء[1]، وقصد من البلاد لأجل الخط والموسيقا: [الرمل]

قَدْ قَنِعْنَا بِخمولٍ عَنْ غِنَى ... وبِعِزِّ اليأس عَنْ ذلِّ التَّمَنِّي
فكريمُ القوم لا أسألُهُ ... فلماذا يُعْرِضُ البَاخِلُ عَنِّي

وقوله: [السريع]

يا من بنور العلم بدَّلها لك ... متعك الله بما خوَّلك
ولا برحت الدهر في نعْمةٍ ... صافية المشرف والأمر لك
ماهيمنت ريح الصبا سحرةً ... وغنت الورق ودار الفلك

ومن شعره أيضاً[2]: [الوافر]

بدا نجم السعادة في الصعود ... وبشر بالميامن والسعود
وحقَّقَ فيك آمال البرايا ... بما أولاك من كرم وجود
فلاح لنا الفلاح وحل فينا ... محل الروح من جسد العميد
وأبقيت النفوس بظل أمن ... يعم الخلق في مدن وبيد
بعدل شامل في كل أرض ... لسلطان الزمان أبو سعيد

ومن أصواته: [الكامل]

ذكر العذيب ومائلات قبابه ... وقف الفؤاد على أليم عذابه
ومهب أنفاس الصبا من جوه ... فيه شفاء الصب من أوجابه
فدع النسيم يبث من أنبائه ... وعلى دموع العين رد جوابه
[٣٥٠] ويشوقني أن المحب يسوقه ... لقيا القريب العهد من أحبابه

---

(١) الصفدي، أعيان العصر: ١/٤١٤/٤١٥.
(٢) الصفدي، أعيان العصر: ١/٤١٦.

ويروى الشعر لابن قيس، ويروى لغيره، ومن أصواته: [الوافر]

أعـاتـبـه فـيـطـرب مـن حـيـاء ... وفـي الـخـديـن مـن خـجـل دلـيـل
كـأن الـجـلَّـنـار بـوجـنـتـيـه ... ومـاء الـيـاسـمـيـن بـه تـجـول
ويـزعـم أنـنـي مـا رمـت هـذا ... ويـطـرق ثـم يـنـكـر مـا أقـول
وكـم لام الـعـذول عـلـيـه جـهـلاً ... وآخـر مـا جـرى عـشـق الـعـذول

والشعر مجهول، وله صوت في شعر ابن قرطابا: [الطويل]

لذي السالف المسكي والمقلة الكحلى ... رسيس هوى في الحب يبلى ولا يبلى
عزيز عرفت الذل من كلفي بـه ... وكم من عزيزٍ في الهوى عرف الذلا
كثير التجني ليس لي عنه سلـوة ... وأعجب شيء جائر الحكم لا يسلا
ومعتدل كالغصن لا عدل عنـده ... ولولا سقامي في الهوى عرف العدلا
فلا تعذلوني فـي هواه فإننـي ... حلفـت بذاك الوجه لا أقبل العذلا
دعوني وشكوى الحب بيني وبينه ... فما أعـذب الشكوى إليه وما أحلا

وكذلك له صوت صنعه في شعر الملك الأمجد صاحب بعلبك: [الطويل]

أحبه قلبـي بعد ما بان أنسكم ... وبنتم عن الجرعاء كيف أكون
قضى الوجد لي أن لا أزال مسهداً ... إذا رقدت تحت الظلام عيـون
أأحبابنا لي بالإياب مـواعد ... فحتام تلوى والعـداة ديـون
وحتام أشكو الهجر منكم شكاية ... تعلم صلد الصخر كيف يكون

وله شعر في صوت آخر وهو: [البسيط]

ما ضر أهل الحمى لو أنهم رجعوا ... بانوا فأقفر مصطـاف ومُرْتَبَعُ
نأوا فبـان علـى آثار بينهم ... عصر الشباب فمن أبكي ومن أدع
مناي إصلاح مـا بينـي وبينكم ... وكل شيء مـن الدنيا له تبـع
أبعد ذاك التدانـي من دياركـم ... أبيت والقلب عـن لقياكم يزع

[٣١٥] وله صوت في شعر ابن الساعاتي: [الكامل]

هذا الذي قتل المحب وما درى فحذار منه ولم يفد أن تحذرا
ما كنت أحسب قبل لؤلؤ ثغره أن الثمين يكون منه الأصغرا
قاسمته قسم الجفون فليته يوماً يقاسم ناظري سنة الكرى
يهتز غصن نقاً ويعقب زهره ويصول قسورةً ويرنو جؤذرا
غنى فناح الورق من حسد له وانقد قد الغصن حين تبخترا
في خَدِّه المبيض أسود عارض من خوف جمرته انثنى فتحيرا

وكان في آخر عمره يأنف من علم الموسيقا، ولم يكن في لحيته من البياض إلا شعرات يسيره إلى أن مات، ولم يُحْصَنْ قط رحمه الله تعالي، وتوفي في آخر شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، وصلى عليه جماعة من الخلفاء، ودفن عند جده، ولم يخلف بعده في سائر البلاد بعده مثله في حسن الخط وعلم الموسيقا.

ومنهم:

٨٢ ـ الشَّمْس الكَرْمي(١)

محتسب صفد يُحكى عنه العجب، ويُحَدِّثُ بما يهز العذب، ويخبر بما لا هو في قوة العجم والعرب، وكان ابنه المعروف ببدر الدين محمد كاتباً من كتاب صفد في الجهات الديوانية، وربما كتب الدرج لبعض المشدين، وكان هذا الشمس ينادم الأمير علاء الدين أيدغدي الالدكزي النائب بها، وكان من كبار الأمراء الظاهرية القدماء، وحكى لي الشيخ الإمام أبو الصفاء الصفدي علاء الدين علي دوادار الألدكزي أنه كان يأخذ الدف بيده ويحلق به في الهواء ثم يتلقاء على خمس أنامل، وينقر بكل أنمله منها على نغم، وكان الألدكزي يقول له: إن نادمتني ليلتي كلها أعطيتك مئة درهم، وكان يكثر منادمته لذلك، وكان يلعب له بالجغانة، وربما تخرَّج عليه، لأنه كان كثير النقل عنه.

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

قلت: وحدثني بأمر إلقائه الدف وتلقيه بأنامله ونقره بكل أنملة منهم في نغم، القاضي أبو العباس أحمد بن قاضي نابلس: [٣٥٢] [السريع]

إلى متى أطلب منك الوصال   مضى زماني وانقضى بالمطال
يا قلب لا تطمعُ في وصلهم   تحصيل مالم يتحصل محال

ومنهم:

٨٣ ـ يحيى الغَرِيب الوَاسِطيّ المشيب[1]

ومنهم:

٨٤ ـ عمر بن خضر بن جعفر[2]

ابن زادة الديسني جمال الدين أبو سعيد المشرقي رجل من الأبناء حسن الأنباء أُضرَّ بسهم أصابهُ، وأطال بفقد عينيه مصابه، وأبوه كردي، وأمه من البيت المودوي مات أبو بالألموت، قدر له أن يحيى به ويموت، قال لي ابنه هذا أنه أجزم جزمة غَيَّرت عليه هولاكو، وكان هو الذي اصطنعه ويسر له من الأمل ممتنعه، فلما ارتكب عنق الجريمة ومنى نفسه العظيمه، أودعه المجلس وأقيم وودعه المجلس، ثم غامت له سماؤه، وغاضت في خلج السيوف دماؤه، ثم أمر به فَصُلِبَ، وبما ملكت يداه فَسُلب، وأُتْبِعَ حريُمهُ وبنوه أشتاتاً، وتعاصى عليه الزمان كما واتى. قال: واشتراني الصاحب شرف الدين هارون بن الجويني، فصرت إليه وبصرت فتقربت إليه بما كان ينفق عليه، وكان ينفق عليه الغناء، ومجلسه مأهول برب كل فضيلة، وبكل من يأوي منه إلى فضيلة، وكان يغشاه من أهل الغناء الأوحد بن كسبا، وزير البرواناه وعبد المؤمن فاخر الأرموي، والزين ابن الدهان الموصلي، وحسن النائي، وسعد الدين السليكو، والبدر الأربلي، وأبو بكر التوريزي، وكانوا كلهم أئمة في هذا الشأن، وكان الصاحب ابن الجويني رحب الندى

---

(١) جاء اسمه دون أي كلام عليه.

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنه: ٩٧/٣.

كريماً إ ليه، وبيتُهُ للطارق والمشاب، وكرمه ما بعده على الزمان غياب، وكان قد أخذ عن هؤلاء، وعرف جيد الغناء من رديئه بدليل وعن نظر، فاجتهدتُ في الطلب، وأجهدت نفسي حتى فقت في الطرف، ثم قدمت هذه البلاد، ووفدت على حضرة السلطان بمصر، واستخدمت على خبز في الخدمة، وفي جملة الخدام والقصاد بالخدمة، حتى أُصِبْتُ في عيني في بعض الوقائع، فَرُتِّبَ لي مُرَتَّب أنا منه أقتات، وقنعت بعد الخبز [٣٥٣] بالفتات[١].

وأخبرني أن مولده ليلة الجمعة المسفرة عن الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وستين وستمائة، وأنه صنف كتاباً في هذا العلم سماه الكنز المطلوب في علم الدوائر والضروب وأرانيه، وحدثني بكثير مما فيه[٢].

قلت: وكان الأمير الكافل تنكز قد قربه واستخدمه ليُعّلم جواريه، وكان يتردد إليه ويجتمع به، وكان قد قيل إنه هذا له انقطاع إلى ملوك ماردين ثم ملوك حماه، وله معهم أخبار لا حاجة إلى الإطالة فيها.

ومن أصواته هذه الأبيات الثلاثة، كل بيت منها في صوت: [الطويل]

أيا طفلة إحْدَى الكبائر عِشْقُهَا ... ويا جَنَّةً قد أُوقِفَتْ في جَهَنَّم

بِحَقِّكِ رُدِّي الطَّيْفَ عَنِّي فَإنه ... يقولُ بِقَتْلِ الُمسْتَهَام الُمتَيَّمِ

ولا تُودِعي الأسْرَارَ عَنِّي فَإنمَّا ... تَصُبِّيْنَ ماءً في إناءٍ مثلَّم

والغناء فيه في الأول في الزوالي يهبط على النيروز، وفي الثاني في الزروكند، وفي الثالث في العراق، وفي هذا البيت هو: [الطويل]

عَسى مَنْ كَسَا جِسْمي السَّقَامَ يعودُ ... ويُنْجِزُ مِنْ بَعْدِ المطَالِ وُعُوْدُ

والغناء فيه من أصبهان، وفي هذين البيتين: [الطويل]

يميناً لقَدْ أسرفَت يابْدرُ في الصَّدِّ ... على مُغْرَمٍ ما حالَ يوماً عَنِ العَهْدِ

---

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة: ٩٧/٣.

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة: ٩٧/٣.

وجَاوَزْتَ حَدَّ الهجرِ والبُعْدِ والقِلَى   فَهَلْ أُمد للوصلِ يُقَضَى مِنَ البُعْدِ

والغناء فيه في الراست، وفي شعر الشمس الدهان: [الكامل]

فضح الغصون بقدره لما انثنى   وسبا القلوب بلحظه لما رنا
وبدا وبدر التم في ظلماته   بادي الجمال وكان منه أحسنا

والغناء فيه في الراست وفي هذين البيتين: [السريع]

أصل تلافيكم من تلافيكم   يا حبذا إن كان يرضيكم
عذبتم قلبي وما خلته   يشفى وقد أصبح يؤويكم

والغناء فيه في الدوكاه.

وأحضر له من أماليه عدة أصوات [٣٥٤] منها صوت: [الطويل]

وكنت إذا جئت الحمى متنكرا   أزور به ليلى سعيت على خدي

قال: وتعلمته من أبن كسبا الأستاذ، من بحر الطويل، ضربه من الثقيل الخراساني، دائرته ثمانية عشر دوراً، لكل دور أحد عشر دقة، وربع وثمن دقة، منها ثقال وخفاف، وخفاف الخفاف ونغمه الراست.

صوت من شعر أبي تمام(١): [الطويل]

وأحسنُ مِنْ نَوْرٍ تُفَتِّحُهُ الصَّبَا   بياضُ المطايا في سَواد المطَالِبِ

قال: وهذا قول صنعته أنا في الأثنى عشر نغماً، والست أوزان وهو من بحر الطويل أيضاً، ضربه من الثقيل الخراساني، دائرته أثنان وأربعون، كل دور أثنا عشر دقة.

صوت: [الوافر]

فَتىً جُبِلَتْ يَدَاهُ على العَطايا   كَمَا جبل الْلسانُ على الكَلامِ

قال: وهو قول صنعته أيضاً في الأثنى عشر بردا من غير أواز وهو من الوافر

(١) ابو تمام، الديوان: ١١٤/١.

ودائرته ستة وثلاثون دوراً، كل دور اثنا عشر دقة، وهو من الضرب الثقيل الخراساني، والشعر للتهامي.

صوت: [الطويل]

فُؤَادٌ بِنَارِ الشَّوقِ والوَجْدِ مُحْرَقٌ   وجفْنٌ بأمواجِ المدامعِ تغرقُ

وقال: هذا القول استفدته من الأستاذ صفي الدين عبد المؤمن، عروضه في الطويل، وضربه من الثقيل الخراساني، دائرته احد وعشرون دوراً، كل دور إحد عشرة دقة وربع دقة، وثمن دقة.

صوت: [الكامل]

مَرَّ النَّسِيْمُ على ربُوع ديارهم   فَكَأَنَّما كَانُوا على مِيْعَاد

قال: وهذا قول صنفته أيضاً في نغمة الراست، مظافر في أربع برداوات أوازين، ومعنى كونه مظافراً انه يظفر من الراست، وهو أول الأنغام إلى العشاق وهو آخرها، ثم يعود ويظفر من العشاق وهو آخرها إلى العراق، وهو ثانيها، ثم يظفر من العراق وهو الثاني إلى النوى، وهو الحادي عشر، ومن المعلوم أن بين الراست والعراق أواز هو النيروزي، وبين النوى والعشاق أواز [٣٥٥] هو الكواشت، دائرته أربع وعشرون دوراً، كل دور إحدى عشرة دقة وربع وثمن بالشرح، وضربهُ الثقيل الخراساني، فليعلم.

صوت: [الطويل]

ولا تُوعِدي الأَسْرَارَ عَيِنْي وإنما   تَصُبِّيْنَ ماءً من إناءٍ مُثَلَّمِ

قال: هذا قول صنفته من نغمة العراق، عروضه من الطويل وضربه من خفيف الخراساني، دائرته ستة وثلاثون دوراً، كل دور اثنا عشر.

صوت: [الطويل]

رَنَا فَانْتَضَى مِنْ جَفْنِهِ كُلَّ لَهْذَمِ   ومَاسَ فَأَزْرَى بالوشيجِ المقَوَّمِ

قال: هذا قول صنفته في برد الأصفهاني، وهو من الطويل،وضربه من الثقيل الخراساني، دائرتُهُ أربعة وعشرون دوراً، كل دور أثنا عشر دقة بالشرح.

صوت: [الكامل]

اليومُ وعدكم فأينَ الموعِدُ   هَيْهَاتَ لَيْسَ لِوعْدِكُمْ غَدُ

قال: هذا قول أفادنيه صفي الدين عبد المؤمن، وهو من نغم الزيلفكند، وضربه من الثقيل الخراساني، دائرته اربعة وعشرون دوراً، كل دور اثنا عشر دقة الشرح.

صوت: [المديد]

عَبَثَ الشَّوقُ بالركائب والرَّكْـ   ـبِ فَلَمْ نَدْرِ أيُّنَا المستهام

قال: هذا قول أخذته من الأستاذ صفي الدين بن الباصوان النحوي، وهو من بحر المديد، وضربه خفيف المخمس، دائرته سبع وعشرون، كل دور اثنا عشر دقة، نغمته الزنكلا.

صوت: [الطويل]

تملَّكْتُمُ قَلْبِي فَصَارَ لِحُبِّكُمْ   حِمى فَرَعَى اللهُ الحِمَى وَرَعَاكُمْ

قال: قول من بحر الطويل صنعته في نغم البزرك الكبير، وضربه مختلف، وهو من أربع ضروب، دائرته سبعة وعشرون دوراً، كل دور اثنا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [الوافر]

تَبُلُّ خّدَّيَّ كُلّما ابتَسَمَتْ   مِنْ مَطَرٍ بَرْقُهُ ثَنَايَاهَا

[٣٥٦] قال: وهذا قول عملته من نغم الرهاوي، يهبط فكند نيروز وهو من بحر الوافر، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته إحدى وعشرون كل دور اثنا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [الطويل]

يَقُولُ وَقَدْ قَبَّلْتُهُ ورشفْتُهُ   أراكَ تُحِبُّ الخمر والخمْرَ في فَمِي

قال: وهو قول من بحر الطويل، صنعته في نغم الحسيني من ضرب الثقيل الخراساني، دائرته ثمانية عشر، كل دور اثنا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [الطويل]

عَليكَ اعتِمَادي في جَمِيْع أُمُورِي	وأنْتَ مُنَى قَلْبِي وانْتَ سُرُورِي

قال: قول من بحر الطويل، صنعته في نغم الحسيني من ضرب الثقيل الخراساني، داشرته ثمانية عشر، كل دور أثنا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [الطويل]

عليك اعتمادي في جميع أموري	وأنتَ مُنَى قَلْبي وانْتَ سُروري

قال: قول من بحر الطويل، صنعته في نغم الماء آه، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته خمسة عشر دوراً، كل دور اثنا عشرة دقة، بالشرح.

صوت آخر: [الوافر]

لحاظُكَ أيُّها القمرُ	لِقَلْبِ الصَّبِّ قَدْ أسِرُوا
وَقدُّكَ مِنْ مَعَاطِفِهِ	غُصُونُ البَانِ تستتر

قال: وهذا جارخانا، من بحر الوافر، صنعته في ماءآه، محلض وضربه تركي رخم، دائرته تسعة أدوار، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [الطويل]

صَحَا كُلُّ سكرانٍ منَ العَشْقِ قَلْبُهُ	وَمْنَ هُوَ سكرانٌ بِحُبِّكَ لا يَصْحُو

قال: وهذا قول استفدته من ا لأستاذ عجيب الزمان، وهو من بحر الطويل، ونغمه الأبوسليك، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته اثنا عشر دوراً، كل دور اثنا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [الطويل]

إذا ما اشْتَهَى الِخْلخَالُ أخبارَ قُرْطِهَا	فَيَا طِيْبَ ما تُملي عليهِ الضفائِر

قال: وهذا قول من الطويل، صنعته في نغم الحسيني، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته أربعة وعشرون دروا، كل دور اثنا [٣٥٧] عشرة دقة بالشرح.

صوت: [الكامل]

طَابَ ذُلِّي ولَذَّ لي فِيْك عَذْلِي وحَلا لي بِسَيْفِ حُبِّكَ قَتْلِي

وهذا قول أخذته من الأستاذ المعروف بالنقشواني، وهو من بحر الكامل، ونغمه في النيروز، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته أحد وعشرون دوراً، كل دور اثنا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [الكامل]

هَلْ لكَ في إغاثِة مُسْتَهَامِ يُقَادُ إلى الغَرامِ بِلا زِمَام

قال: وهذا القول من الكامل، ونغمه الشنهاز، وضربه التركي رخم، دائرته أحد وعشرون دوراً، كل دور اثنا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [الطويل]

تُرى تسمحُ الأيّامُ لي بِلِقَاكُم ويفرحُ قَلْبِي بعَد طُولِ جَفَاكُم

قال: هذا قول من الطويل، صنعته في نغم الزركشي، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته ثمانية عشر دوراً، كل دور اثنا عشرة دقة، بالشرح.

صوت: [الطويل]

ولّما تلاقَيْنَا جَرَتْ مِنْ عُيُونِنّا عُيُونا كَفَفْنَاهَا بروس الأصابع

قال: وهذا القول من الطويل، أخذته من الأستاذ سراج الدين الخراساني، ونغمه الحجاز، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته ثمانية عشر دوراً، كل دور اثنتا عشرة دقة بالشرح.

صوت: [الوافر]

كُلّ جَرِيْحِ تُرْجى سلامَتُهُ إلا فؤاداً دَهَتْهُ عَيْنَاهَا

وهذا القول من بحر الوافر، صنعته في نغم الكواشت، ويضرب [٣٥٨] في أربع ضروب الأصول، دائرته أربعة عشر، وأدواره مختلفة بحسب الضروب المتقدمة.

صوت: [الطويل]

فُؤادُ بنارِ الشَّوقِ والوجْدِ مُخَرّقٌ وجَفْنٌ بأمواجِ المدامعِ مُغْرَقُ

قال: وهذا قول أفادنيه أستاذ صفي الدين عبد المؤمن، وهو من بحر الطويل، ونغمه اليكاه، دائرته إحدى وعشرون دائرة، كل دور إحدى عشرة دقة وربع وثمن بالشرح، وضربه الثقيل الخراساني.

صوت: [الرجز]

إنَّ الُملوكَ إذا حَلَلْنَ بِبَلْدَةٍ كانوا كَوَاكِبَهَا وأنتَ هِلالُ

قال: وهذا القول أفادنيه الأستاذ ابن كسبا، وهو من بحر الرجز، ونغمه الدوكاه، ويخالط أنغاماً كثيرة، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته سبعة وعشرون دوراً، كل دور اثنا عشرة دقة، بالشرح.

صوت: [الطويل]

تَكَلَّفْتُمْ مِنْ بُعْدِكُمْ شَوْقَ واحدٍ وحَمَّلْتُموني شَوْقَكُم كُلَّكُم وحدي

وهذا القول صنعته في نغم السيكاه، وهو من بحر الطويل، وضربه الثقيل الخراساني، ودائرته خمسة عشرة دوراً، كل دور إحدى عشرة دقة وربع وثمن دقة بالشرح.

صوت: [الرجز]

ليسَ الوَدُوْدُ فَتىً يَوَدُّكَ يَوْمَهُ حَتَّى إذا اسْتَغْنَى يملُّك في غّدِ

قال: وهذا قول أفادنيه عبد المؤمن صفي الدين، وهو من بحر الرجز، وضربه الثقيل الخراساني، دائرته خمسة عشر دوراً، كل دور اثنا عشرة دقة، بالشرح.

صوت: [الخفيف]

كَيْفَ يُخفي سِرَّ الهوى الُمسْتَهَامُ هي جروى وما الخِيَامُ خِيَامُ

ولئنْ كانَتِ الخيامُ فَمَا النَّا سُ بِهِ الناس وما الغرامُ الغرامُ

هذا قول مسدود من نغمة النوى على حركات الغناء المعلى الموافق للشبابة

[٣٥٩] المعروفة بالصبرغي، وهي معروفة عندهم، ضربه من الثقيل بالدقة المفردة، دائرته اثنا عشر دوراً، كل دور ستة مفرد.

صوت: [الطويل]

تجلَّى أميرُ الحُسْنِ والليلُ قَدْ هَدَى فأيقنـــتُ أنَّ الصُّبْحَ من وجهِهِ بَداَ
ولاحَ مُحَيَّاهُ الكريمُ وقَدْ دَجَا ضَلالاً فَحَارَ الرَّكْبُ واتَّضَحَ الهُدَى

وهذا قول سرح الأرغل الذي يغني فيه الإفرنج وهو من نغم المآه وأبو سليك ضربه من الثقيل، دائرته أربع وعشرون مفردة، آخر أمالية، وقد روى عن جماعة.

فمنهم:

٨٥ ـ حَسَن التاي(١)

وروي عنه: [المتقارب]

إن اسْتَحْسَنَتْ مُقْلَتِي غَيْرَكُمْ أمرتُ السُّهَادَ بَتَعْذِيْبِهَا

والغناء فيه من المحير، وفاخر به عبد المؤمن، فأخذه هرون بن الجويني وقيده وحبسه لكونه فخر عليه، فقال: أنا ما أضجر من حبسك، ولكن ابعث إلى عبد المؤمن لتحكمه، فحفظه خواجا زيتون، وركبه البريدي حتى أتى عبد المؤمن، فلما دخل عليه غناه، فسأله: لمن هو؟ فحكى له، فقطع على نفسه، وبعث له معه خلعه وبغله، فقال: حسن ولدي وأنا علمته.

ومنهم:

٨٦ ـ السِّيلْكُو(٢)

وَرُوِي عنه: [البسيط]

جُودُوا علَيَّ بِوصْلٍ مِنْكُمْ جُوْدُوا عَدِمْتُ صَبْرِي وعَنْدي الوجدُ مَوْجُودُ

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

(٢) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

والغناء فيه من الغزال من الشواذ

وَرُوِى عنه: [الكامل]

كم من دمٍ يوم الفراق سفكتم ... لما حدت بكم الحداة وبنتم

والغناء فيه في الرهو.

ومنهم:

٨٧ ــ البَدر الأربلي(١)

سيد الجنكيين، وكان عند المظفر بماردين، وقلته مجير الدين بن ضبرت، أستا أرسلان الدوادار، ولم يكن مثله.

ومنهم:

٨٨ ـ التَّاج بن الكِنْدي(٢)

وَرُوِي عنه: [مجزوء الكامل]

بالخَيْفِ مُخطَفَةُ الحَشَا ... تهوى الغصونُ له القُدُوْداَ

أخَذَ الغزالُ نِفَارَهَا ... وأعَارَها طرفاً وجيداً

[٣٦٠] والغناء فيه من العشاق.

ومنهم:

٨٩ ـ خوَاجَا أبو بَكْر النَّوْرُوْزِي(٣)

وَرُوِي عنه: [السريع]

يا مَلِك الأرضِ ووالي الزَّمَانِ ... اشْرَبْ كُؤُسَاً غُيِّبَتْ في الدِّنَانِ

---

(١) لم نجد له ترجمة في اطلعنا عليه من مصادر.

(٢) لم نجد له ترجمة في اطلعنا عليه من مصادر.

(٣) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

والغناء فيه ضرب الفاختية في بوسليك.

ومنهم:

٩٠ ـ عَلاءُ الدِّين دِهْن الحَصَا[١]

وأخوه الكمال يوسف، وكلاهما فريد ومتصرف مجيد، كان يوسف أمير المطربين، وكان أخوه علي نديم الحضرة، وكانا عند لؤلؤ صاحب الموصل إلى قوم آخرين، وهم تقي الدين بن بياع الدقيق، وكمال الدين بن الدويك، وخواجا صدر الدين النقشواني.

فلعلاء الدين: [الطويل]

أكتِّمُ وجْدِي خيفةً مِنْ عَوَاذِلي ... وأُظْهِرُ للواشي النَّمُوم بَشَاشَتِي

والغناء فيه في الجاركاه.

ولأخيه يوسف: [الكامل]

إنْ كُنْتُمْ بِصَبَابَتي لا تَعْلَمُوا ... اللهُ يعلمُ ما بِقَلبي مِنْكُمُ

والغناء فيه في الرهوي.

ولابن بياع الدقيق، وهو مصنف ضرب الفاختية: [الطويل]

صَبا ما صَبا حَتَّى عَلا الشَّيْبُ رأسهُ ... فَلَمَّا عَلاه قَالَ للباطلِ ابعدِ

والغناء فيي زروكند.

ولابن الدويك: [الطويل]

عَلَيْكَ اعتِمَادي في جَمِيْع أُمُورِي ... وانتَ مُنى قَلْبي وانْتَ سروري

والغناء فيه للعراق.

وللنقشواني: [الطويل]

طَفَرْنَا بِكُمْ والليلُ مِقْدارُ هَجْعَةٍ ... وغَابوا كَأنا في المنَامِ رأيْنَاهُمْ

[٣٦١] والغناء فيه في الحجاز، وهو من المخرج له.

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

ومنهم:

٩١ ـ نِظَامُ الدِّين يَحْيى بن الحَكِيْم(١)

الجعفري الطيَّاري البغدادي الدار، المقيم الآن بدمشق حيث تشوق ربوتها، وتسوق الصبابة إلى النفوس صبوتها، قد تم بمن وراءه إلى هذه البلاد آمنين، وقام مشكوراً هذه السنين وعكف على الحديث النبوي يسمعه ويكتب أجزاءه وطباقه، ويجد إليه تبكره وسباقه، وله حديث لا يمل، وأنس على القلوب لا يذل، وفضل أصبح له خلفاً، وكرم لو وُصف به غيره لكان خرفا، وله مشاركة في الأدب، ومحاسنه تأتي منه بآيات لا يتقاصر بناؤها، وفقرات ظاهر غناؤها، فأما صناعة الغناء، فهو محرز قصباتها ومستمع مضروباتها، لو عرض الموصلي عليه أصواته لجودها، أو بزلزل لثبت قدمه ووطدها، أو ابن جامع لأقر له في المجامع، أو معبد لاعترف له بأنه المفرط وهو الجامع، وهو من صدور بغداد، وممن يدخل مع خلة أهلها في الأعداد، وله جملة محاسن تغني معرفتها عن التعداد، كان الحكيم نور الدين من الحكماء الفضلاء، والأعيان المتميزين في صناعة الكحل، واتصل بالأردو وخدم البيت الهولاكي، والقان والخواتين والأمراء والخواجكية، واتصل بالوزراء واختلط في صحبتهم، وعُدَّ في جملتهم، وحصل الأموال الجمَّة، والملك والعقار، واقتنى ببلاد بغداد والحلة من ذلك ما يتحصل منه الريع الكثير، والمبلغ الجزيل، واشتغل نظام الدين ولده، وكتب وتأدب وأخذ تعليم المنسوب والموسيقا عن السهروردي، وكتب خطاً حسناً مليحاً، وتفرد بعمل المشجَّرات، حتى شجر في العلوم على اختلاف أنواعها، وأجاد في الموسيقا وبرز فيه، وسمعت من صناعته المطربة، ورأيت من تشجيره الفائق ملء العين والأذن، وسر البصر والسمع، ودنا من السلطان أبي سعيد بهادر قان رحمه الله دنواً زائداً، وكان ممن شملته لديه عناية الوزير ملك الوزراء محمد بن خواجا رشيد، وتقدم به، كان لا يزال يحضر مجلسه ويكون [٣٦٢] من المقربين إليه وأهل الحظوة لديه، واستكتبه عن القان أبو سعيد، وعنه

---

(١) يحيى بن عبد الرحمن نظام الدين بن النور الحكيم (ت ٧٦٠هـ). انظر: الصفدي، أعيان العصر: ٥٦١/٥.

الكتب العربية التي كانت تكتب إلى سلطاننا، وإلى السلطان محمد بن طغلقشاه بالهند، وكانت له جملة كبيرة على ذلك، مع ما له من المقررات والأقدارات والرواتب، وكان لا يتلقى المراسيم إلا عن الوزير، ولم يكن كاتباً مستقراً للإنشاء، إذ لا عادة للقوم بذلك، ولكنه كان في هذا المعنى، ولقد كانت تجيء بخطه الكتب المليحة البليغة بالخط المليح، والألفاظ الفصيحة السهلة التناول، القريبة المأخذ، على خاطري منها في كتاب كبير عن أبي سعيد إلى سلطاننا في معنى الحاج العراقي، وأنَّ تَوَجُّهَهَ من العراق إلى الحجاز، أقرب عليه من تَوَجُّهَهَ على الشام إلى الحجاز.

قال فيه: «والقلوب بالإحسان تملك، وأقرب الطرق إلى الله أولى بأن تسلك»، وهاتان كلمتان تقوم في المعنى المقصود مقام كتاب مطول، مع خفة موقعهما، وتمكينهما في موضعهما، ولقد كان يقع في كتبه في هذه النسبة كل حسن، وكان يجري على الطلق ممتد الرسن، وقد جهز مرات أميراً على المركب العراقي، تارة مستقلاً، وتارة شريكاً، وكانت تجيء أخباره بتوجهه، ولما آل المُلكُ إلى موسى قان الملك القائم من ولد بيدو، ضاعف علي باشا بن حنجل القائم بدولته إكرامه، وَوَفَّرَ احترامه، وكان هو والأمير الوزير نجم الدين محمود بن شروين، وقاضي القضاة حسام الدين الغوري من خاصة أهل الاصطفاء، فلما دارت على موسى قان وعلي باشا الدائرة، وَطُلَّتْ دماؤهما في ثورة تلك الثائرة، تَسَحَّبَ الوزير محمود، والقاضي الغوري، وابن الحكيم منهزمين إلى أبواب سلطاننا، فتلقاهم بنعمة، وتولاهم برحمةٍ، ورُتِّب لابن الحكيم بدمشق راتب، وعينت له الربوة وأقام بها، واستطاب وطنها، وطلب الحديث واجتهد فيه، ودأب عليه وكتب الأجزاء والطباق والأثبات بخطه، ثم سافر إلى العراق لاستغلال مُلْكِهِ، فلم يحصل له، لاستيلاء الخراب والأيدي العادية عليه إلا ما قل، فعاد كالخائب، ثم توجه إلى مصر [٣٦٣] لحديث يستفيده ورزق يستزيده، وأقام بها مدة ثم عاد إلى العراق: [المتقارب]

ألا ليت شعري متى نلتقي ... ومن مدة الهجر كم قد بقي
لقد طال عهد النوى بيننا ... كأن التواصل لم يخلق

ومن شعره ومن أصواته: [الطويل]

لكم مِنّي الود الذي ليس يبرح ... ولي فيكم الشوق الشديد المبرح
وكم لي من كتب ورسل إليكم ... ولكنها عن لوعتي ليس تفصح
وفي القلب مالا أستطيع أبثه ... ولست به للكتب والرسل أفصح
زعمتم بأني قد سلوت هواكم ... لقد كذب الواشي الذي يتنصح

ومنهم:

٩٢ ـ كمال الدَّين مُحَمَّد بن البُرْهَان الصُّوفي(١)

موصلي الأصل، بغدادي الدار، من أهل الأقدار، ذكره النظام بالإعظام، وأشار إليه في علم الموسيقا وقال: إن له يداً طولى في معرفته، وأبلغ منه مبلغاً يقصر عن وصفه، وذكر أنه يصحب أقضى القضاة ابن السباك، وله به اعتلاق أكيد، واعتلاء ما عليه لمثله مزيد.

٩٣ ـ حُسَيْن بن عَليَ المُطرِيّ العَزَاوِي(٢)

متقن لفضيلة، ومتيقن لخير فضيلة، ومجيد في صناعة يد وخاطر، وسرور سمع وناظر، قرأ كتب الحكمة ودرسها، وصور المشجرات بيده كأنه غرسها، وعرف من الموسيقا ما أخذه بدليل، واطَّلَعَ منه على علم جليل، وضرب بآلاته كلها لتكميل الأودات، لا للتكسب والمعيشة، وترجيه زمان يؤمل أن يعيشه، وزَيَّنَ هذا كله بنزاهة نفس تعتاف حتى الجليل، ويعف حتى عن الخليل، إلى صفاء باطن ما تكدَّر، وصدق وداد ما استحال مثل البكاء وتغير، صحبني بمصر وقدم على دمشق، وصور صور هذا الكتاب(٣)، وجاء فيه بعجائب التصور والاكتساب، وهو ـ أعانه الله ـ ممن قُدِّرَ عليه

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما أطلعنا عليه من مصادر.
(٢) عز الدين الحسين بن علي بن حمد الغزي (ت ٧٦٤هـ). انظر عنه: الصفدي، أعيان العصر ٢٠٠/٢٨٠.
(٣) المقصود هنا أنه قام برسم الخرائط وصور النباتات في كتاب مسالك الأبصار.

رزقه، إلا أن عفافه يقنعه، وحكمته عن المطالب تمنعه، ورياضته تشغله بحسن ما [٣٦٤] يقرره، وإحسان يده فيما يصنعه، وله أصوات جليلة، منها في قولي: [البسيط]

سعى بكأسيه كي أصلى بناريه ... بالخد والكأس يا سكري بخمريه
ظبي أغنٌّ أخذتُ المسك من فمه ... والعنبر الرطب من خَطَّيْ عذاريه
يا سيف مقلته الوسنى غررت بنا ... لما استبحت فؤادي في غراريه
لم يرض قلبي ولا عيني لمسكنه ... واشوقتي منه لم يلمم بداريه

والغناء فيه زنكلا، ومنها قولي: [الخفيف]

حدثاني عن الهوى العذريِّ ... واطنبا في عذاره العنبريِّ
واستعيرا لمقلتيَّ هجوعاً ... واسألا للشجى صبر الخلي
وهبا لي من السلو قليلاً ... أو دعاني مع كل صب غوي
قد أخذتم صبري فهلا أخذتم ... لي فؤادي من طرفه البابلي

والغناء في عراق.

ومنها في قولي أيضاً في عراق: [الرجز]

غن لها برامةٍ ولعلع ... واذكر لها ما بالحمى والأجرع
وانزل بسكان الكثيب سحرةً ... وأقبس لهيب نارهم من أضلعي
واحمل إلى أهل الحمي تحيةً ... من عاشق في حبهم لا يدعي
ولا تسل سقيا الحمى صوب الحيا ... يكفيه ما سقيته من أدمعي

ومنها في قول لي وهو في عراق أيضاً: [مجزوء الوافر]

هواكم ماله سبب ... سوى قلبي كما طلبوا
ألا يا عاذلي فيهم ... دع العشاق ينتحبوا
أتعجب من ضنى جسدي ... وحالي كله عجب
وقالوا إنني مضنى ... وحق الله ما كذبوا

ومنها في قولٍ لي أيضاً: [الطويل]

تجلت فلاح البدر تحـــــت نقابهــا		وما ست ففاح الطيب طيّ ثيابها
[٣٦٥] قضيب وما غصن النقا مثل قدها		ولا لينه في الــروض مثل شبابها
طلا الظبي لا يشرق لحــــاظ عيونهــا		كفى عينك الكحلاء صبغ خضابها
أأهلك فيهـــــا هكـــــذا بصبابتــي		وأخشى أسود الغيل حول قبابها
نأيت إذاً عن حب سمراء في الهـــوى		إذا لم أخض بيض السيوف ببابها
يَلَذُّ إلـــيَّ القَتْلُ صَبْراً بــــأرضِهَا		إذا دَفَنونـي بَعْدَ ذا فـــي تُرَابِهَا

والغناء فيه محير.

ومنها في قولي: [مجزوء الخفيف]

يــا حــبـيـبـي وعـيـنـي		خــل هــجـري وبـيـنـي
أنـــت أولـــى الــبــرايــا		لا تــمــاطــل بــديــنـي
مــا أتـــى مــنــك عــنـدي		فــوق رأســي وعــيــنـي
فــاســقـنــي خــمــر ريـق		مــن جَـنــى الــجـنـتـيـن

ومنها في قولي: [مجزوء الخفيف]

فـــي الـحـشـا مـنـك نـار		وأســـى وادكـــار
طـــار قــلــبــي اشـتـيـاقـاً		مــا لــقــلــبــي قــرار
أنـــتَ غـصـن رطـيـب		أيـــن مـنـك الـثـمـار
عــيــرونــي بـحـبـي		لــيـس فـــي الـحـب عــار

والغناء فيهما محير.

ومنها في قولي: [الكامل]

لاموا عليـــك وما قلوبهم معي		كـــلا ولا عبراتهم فـي مدمعي
يــا مــن تلفت كالغزال بلحظه		حسبي التفاتك يــا غزال ومطمعي

هب أن شخصك لا يزال بناظري	من ذا الذي أغرى بذكرك مسمعي
يــا هَاجِرِي كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّني	وحَيَاةِ عَيْنِك لَسْــتُ أمْلُكُ أدْمُعِي

والغناء فيه في الرمل

ومنها في قولي: [٣٦٦]

أحبَابَنَا مـا هَكَـذا كُنْتُم لَنَا	مـا بَيْنَنَا لا تشمتوا حَاسِداً بِنا
ومَا فــي وَفَاكُم مِنْ ضنى أو	حضوركم لقد لَذَّ ليْ في حُبِّكم مَلْبَسُ الفنا
وأنْتُم بَقِيْتُم لا عَدِمْنَا وصالكم	أو في البَرِّية عـلاما هَجِركم عِنْدنَا
وقُلْتُمْ بأنَّا في غنى عن وصَالِكُم	عَلى كِـلِّ حَالٍ مَالَنا عَنْكم غِنَى

والغناء فيه سيكا.

ومنها في قولي: [الرجز]

متيم فيك على نار الجوى	تشب نيران حشاه بالهوى
بالله خفف عنه بعض ما به	لو أنه من جبل كان هوى
وخله إذا غوى في حاله	فهل رأيت عاشقاً وما غوى
إيه وردد طيب ذكراك له	وغن للعشاق إلا في النوى

والغناء فيه عشاق

وحدثني ما معناه: أنَّهُ كان قد صنع قانوناً اقتناه، وكان ربما غَنَّى عليه وأخوه الأديب أبو علي حاضر يسمعه، ويجني له من عوده ثمر السرور أجمعه، ثم فقد أخوه ذلك القانون، وطوى منه طرب المسامع والعيون، فأفكر فيه أيَّةً ذهب، وما الذي اختطف أوقاته به وانتهب، ثم وقع على الخبر في ذهابه وفجيعة أترابه بإطرابه، فإذا به كان قد رأى صبياً فتنه بحسنه، واستماله بميل غصنه، جعل ذلك القانون صداقة وخلا معه، وعقد عليه عناقه، وبات معه مستبدلاً من نظر الخلوة بجهر الخلوة، فساء ذلك أخاه، وثوره ونحاه، وقال: ما أحوجك إلى بلد يصونك، وإخراج العزيز الغالي من مكنونك،

وهبك رأيت ظبياً سانحاً أعجزت وأنت أنت عن صيده وقد سنح، وإمساكه وقد جنح، وهل خلقنا لغير هذا وأو عرفت سهامنا إلى غيره نفاذا، ونحن نصل من الصيد إلى مالا يصل إليه الطير ولا النشاب، ولا غيرهما من مثل هذه الأسباب، ثم حصره في أرجائه، وقسره في هجائه، فقال: [الكامل]

لـي فـي دمَـشْـق أخٌ قـلـيـــلٌ عَـقْـلُـهُ لا بَـلْ سـلـيـبُ الـذِّهْـنِ كـالـمـجـنـونِ
[٣٦٧] أفعَالُهُ أبداً خرافٌ كُلُّهَا لـكـــــن يـنـيـكُ الـعِـلْـقَ بـالـقـانُـونِ

❀ ❀ ❀

المغنون الأندلسيون

ومنهم:

٩٤ ـ عزيز جارية الحكم بن هشام[1]:

جارية لو أماطت نقابها للبدر لتلثم، ولو عاطت رضابها البريء لتأثم، لو ألمت بحبها عزة الميلاء لما مالت، أو دعت لبنى للبث ما قالت، أو أسفرت لابن الرقيات لما رابه من ليلى أذى، أوجليت على بقية العشاق لعذر جميل إذ قال: رمى الله في عيني بثينة بالقذى، مع سرعة بوادر، وطرف نوادر، وحسن غناء يجر الأفئدة بأشطان، وينفذ إلى القلوب بسلطان، وينفث السحر، فلا غرو إذا قيل إن الغناء مزمار الشيطان.

ومن أصواتها[2]: [الطويل]

وإني لأستحيي القنوع ومذهبي فسيح وآبى الشح إلا على عرضي
وما كان مثلي يعتريك رجاؤه ولكن أساءت سيمة من فتى محض
وإني وأشواقي إليك تهمني لكالمستقي من زبدة الماء بالمخض

والشعر لمسلم بن الوليد، والغناء فيه من أول الثقيل، وكذلك صوتها[3]: [الخفيف]

يا شبابي وأين مني شبابي آذنتني أيامه بانقضابِ
ومعزٍ عن الشباب مواس بمشيب اللدات والأصحابِ

---

(١) لم نجد لها ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

(٢) مسلم بن الوليد، الديوان: ٢٦٨.

(٣) ابن الرومي، الديوان: ٢٣٢/١.

قلت لما انتحى بعد أساه | من مصاب شبابه فمصاب
ليس تأسو كلوم غيري كلومي | ما به ما به وما بي وما بي

والشعر لابن الرومي، والغناء فيه في الهزج.

وكذلك صوتها[1]: [المجتث]

تأمل العيب عيب | وليس في الحق ريبُ
فكل خيرٍ وشرٍ | دون العواقب غيبُ
وإنما كل شيء | شبيبة ثم شيب
لا تحقرن سبيباً | كم جر نفعاً سبيب

والشعر لابن الرومي، والغناء فيه.

وحُكي أن الحكم [٣٦٨] كان يهوى جارية من جواريه اسمها حَيْنُ، فخرج مرة إلى الصحراء متنزهاً، والربيع قد وشى الجلابيب، ووشع مجر ذيال الكثيب، فنزل والأصُلُ قد اعتلت كأنها تشكو فراق حبيب، والشمس قد جعلت نصب عينها المغيب، وكان قد خلف حَيْنَاً وراءه فبات لا تطعم النوم جفونه، ولا تلمس الرقاد عيونه، فاستدعى ملهياته ليشغلنه ليله بطربهن، وكانت عزيز شاعرة مغنية لبيبة أديبة فطينه، كثيرة الرواية، ففطنت لحال مولاها وما وجده لفراق حَيْنُ، ووجهه من القلق لوشيك البين، فصنعت لحناً في شعر بعض الأزد، وهو أبو عدي عامر بن سعيد أحد بني النمر بن عثمان: [الطويل]

ألا من لنفس تؤدى حقوقها | إليها ولا ينفعك غُلا وثيقها
عصت كل ناه مرشد عن غواته | فإن لها في الغي نحباً يسوقها
إذا استدبرت من غيها عطف الهوى | عليها أموراً عصيةً ما تطيقها
وقد دهديت بالحي دار مشتة | وصرف النوى أشتاتها وصفوقها
ألا طرقتنا أم سلم وأرقت | فيا حبذا إلمامها وطروقها

---

(١) ابن الرومي، الديوان: ١٢٧/١.

فيا ليتني حمـــــت لنفسي منيتي ‏ ولــم تتــعلقني لحيـــــن علوقهـــا

وَرَدَّدَتْهُ حتى أجادته، فلما استدعى الحكم جواريه، دخلت عزيز من باب المضرب وهي تَغَنِّي هذا الصوت، فاهتز الحكم حتى خرج عن فرشه وقال: لله أنت يا عزيز، ما أبصرك بمواقع البلوى، وأعرفك بمواضع الشكوى، لمن الشعر؟ فقالت: إنه لرجل من بني النمر بن عثمان، فقال: والله أنت أحق به منه، إذا أتيت به كأنما صيغ لما نحن فيه، ثم أمرها بإعادته، وبعث لوقته من أحضر حيناً، وأقام في متنزهه أياماً كأنما كانت أحلاماً، وأمر لعزيز بعشرة آلاف، وأمرت لها حَيْن بمثلها، ثم كانت تصفيها الودَّ مدة حياة الحكم.

وحُكِي أنه استدعى بها في غرة يوم طلعت شمساً في صباحها وكأساً لاصطباحه، وكان [٣٦٩] الحكم لا ينال اللذات إلا سراً، ولا يلم بالشراب حتى يلقي عليها ستراً، ولا يجالس إلا من داخل ستارة، ولا ينافس في القمر إلا من دائرة دائرة، خوفاً من فضيحة الاشتهار، وفراراً من علن الإظهار، وظل يقترح يومه عليها وعلى سائر جواريه الأصوات، ويحث المدام بها في الخلوات، إلى أن صدع الليل زجاج النهار، وبان في جفن عين الشمس الانكسار، وشرعت تنكر الجواد، وتُقَبِّل شيعة الليل من الشرف بشعار السواد. قال الحكم: هل فيكن من ينظم في هذا الشعر؟ فبدرت عزيز فقالت: [الخفيف]

قــد تــقـضـي الـنـهـــار إلَّا بـقـايـا ‏ مــن شـعـاع مـخـلـف لـلأصـيـل

وأتـانـا الـظـلام مـن قـبـل الـشـر ‏ ق فـأهـلاً مـنـه بـخـيـر نـزيـل

دام هــذا وذا بـطـول بـقـاء الـــ ‏ ـحـكـم الـسـيـد الـفـتـى الـمـأمـول

فوقع شعرها منه موقع الاستحسان، ووصلها بما غمرها به من الإحسان، ثم أمرها فصاغت فيه لحناً، وغنت فيه ليلتها كلها وهو يوالي عليه الكؤوس ويحثها حتى أحرقت فحمة الليل جمرة الشموس، فلما أصبح يريد البكور إلى الرواق للجلوس على سريره ويكمله بتصريف الأوامر تمام شكوره، أمر لعزيز بعشرة آلاف درهم، وكارة جليلة من القماش، وزاد في قدر جرايتها، ثم نقلها إلى خواص حظاياه وأمهات أولاده، وبقيت على هذا حتى مات وهي ضجيعته وعلى وساده.

ومنهم:

٩٥ ـ عَزِيْز جَارَية الحَكَم بنِ هشام[1]

جارية تفتن البصر، وتعقل اللسان بالحَصَر، وتفوت رام رامه، وتُتْهِمُ بشبهها خادر تهامة، وتُصْمِي الأحشاء من حدقها بقِسِيٍّ ماله وتر، وتشب جمر القلوب من جفنها بما فتر، وتغني والحمائم قد أخذت بأهزاجها، والبروق قد علنت بماء السحاب مزاجها، فتهز القدود أكثر من هزِّ الأغصان، وتكلفُ اللحن الشحيح بذل ما صان، ولهذا كان هواها حكماً على الحَكَم، ومستنطقاً لعبراته وقد اسكته البكم، فكان لا يصبر على نأيها، ولا يصبر [٣٧٠] على نايها، يظن أنفاسها أنفاسه التي هي مدد الحياة وسبب وجوده في الدنيا وبقياه، ولها صناعة في أصواته منها[2]: [المنسرح]

كَانَ رَحِيْلي من أرضِكُم عَجَباً   وحَادِثاً مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَنِ
مِنْ قَبْلِ أنْ أعْرِضَ الفِرَاقُ على   قلبي وأن أسْتَعِدَّ للحَزَنِ

والشعر للعباس بن الأحنف، والغناء فيه من الثقيل الأول.

وحُكي أنَّ الحكم كان يهوى جارية له لا يرى القمر إلَّا طالعاً في لبتها ولا الرأي إلا محبتها، ثم تنكر لها فتجنت عليه وتثنت، إلا أنها ما ألوت إليه، فعز لديه هجرانها، وأعرض عنها وفي أحشائه نيرانها، ثم لم يجد إلَّا أن أغلظ في عتابها، وظنه سبباً لمتابها، فزادت عليه تأتياً كدر عيشه ونكد عليه نكداً ضعضع جيشه، وكان لا يتسلى ولا يهنأ بعيش ولا يتملّى، ولم يجسر أحدٌ على خطابه، وكَفَّ جامح عتابه، حتى أمر جواريه أن تغنيه، فغنين حتى فرغن وما أغنين، فلما انتهت النوبة إلى عزيز اندفعت تغني هذا[3]: [الطويل]

بزينب ألم قبل أن يرحل الركبُ   وقل إن تملينا فما مَلَّك القلبُ

(١) ترجم لها سابقاً برقم (٩٤).

(٢) العباس بن الأحنف، الديوان: ٢٦٠.

(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٣٧١/٦: ٣٧٣.

وقل إن أنل بالحب منها مودةً … فما فوق ما لاقيت من حبكم حبُ[1]
وقل في تجنيها لك الذهب إنما … عتابك أن عاتبت فيما له عتبُ
فم شاء رام الهجر أو قال ظالماً … لذي وده ذنب وليس له ذنبُ[2]

والشعر لنصيب، والغناء فيه ثاني الرمل، فقام لوقته وصالحها، ووهب عزيزاً وأوصلها، وقال: هلا منكن واحدة فعلت فعلها، وهذا الصوت من قصيدة طائلة وهي:

خليلي من كعب ألما هُديتما … بزينب لا يفقد كما أبداً كعب
ومل يوم زوراها فإن مطينا … غداة غد عنها وعن أرْضِهَا نكب
فقولا لها لم يبق حباً ولم يدم … على الحال إلا أن يكون له عتب
[٣٧١] وقولا لها ما في البعاد لذي الهوى … رواح وما فيها لصدع الهوى شعب
وقولا لها يا أم بكر أحلةٌ … مساعِفةٌ في وصلنا أنت أم حرب
وقولا لها إن أجز بالنصب منكم … سلاماً ففيما قد كلفت بكم نصب
فقد كنت أعصي فيك أهل قرابتي … وأشغب بالأقصى الذي قوله شغب
وأغضي كثيراً عن نواحي مقالة … أمضّ لها جلدي كما يؤلم الضرب
وقد أنكرتني الأرض بعد ا غتباطها … بمعرفتي والأرض طيبة خصب
وقد قال ناس حسبه من طلابها … فقلت كذبتم ليس لي دونها حسب
ومن قبل ما قالوا صبا فرددتهم … بقولي ألم يلقوا أمرأ فيكم يصبو
وعلقتها غرأ حديثاً ولم ترد … شباباً على إيام كان له إِتب
إلى اليوم حتى عاد في رأسي الخلى … سريعاً وأقراني مفارقهم شهب

---

(١) في الأغاني:
وقل إن تُنل … مما مثل ما لاقيت

(٢) في الأغاني: فمن شاء رام الوصل.

ومنهم:

٩٦ - بَهْجَة جَارِيَة الحَكَم(١)

جارية تخجل الشمس فتتبرقع بالشفق، وتفضح النسيم فلا غرو بسعيه إذا خفق، كانت إذا اندفعت للغناء فتقت ما على المسامع من الغشاء، وطفقت تزيد حياء وحبابة جارية تنقص، وصفقت الجداول والأغصان ترقص، وانقطعت سلامة القس في ديرها، وقلّتْ بالنسبة إليها فكيف حال غيرها، وكانت تذكر البقية المروانية سالف الأيام، وطائف خيال زمانهم، وفي طاعتهم الأنام فيذكر باقيهم أباه الأملاك، ويقول كما قال جده عبد الملك نحن كذلك، فسعى مدامعه البشام، وأسف لطيب أيام، لو تكون له بالشام وهي الأيام لا تذر ولا تصفح عمن أضر واعتذر، سلبتهم جلباب ذاك الأوان، وفعلت بهم فعلها بصاحب الإيوان، إلا أنهم عمَّروا الأندلس بالملاذ، وغنوا بها عن دمشق وبغداد، وداموا بها، إلا أن كل نعيم إلى نفاد.

ولها أصوات فمن مشهورها قولها(٢): [مجزوء الرمل]

يا شَبِيْهَ البدرِ في الحُسْـ ... ـنِ وفي بُعْدِ المنالِ
[٣٧٢] جُدْ فَقَدْ تَنْفَجُر الصَّخْـ ... ـرَةُ بالماءِ الزُّلالِ

والشعر لابن الرومي، والغناء فيه في الهزج.

وحُكي أن الحَكَمَ جلس في مجلس له يمتد فيه طلق النظر في فسيح الفضاء، وقد خلا بلذاته، وأقبل على أنسه، وجمع جواريه واقترح عليهن الأصوات، وجعل بينهن الخيار، فلم تبق واحدة منهن حتى بلغت جهدها فيما أتت به فلما تصرم المجلس أو كاد، وبرز جنح العصر في مجسد من جساد ورق ليصدع زجاجته، وبرق نهر النهار لأنفته من محاجّتهِ، أقبل عليهن وقال لهن: أيَّتُكُنَّ تضع لحناً في شعر من أشعار عشاق العرب يُحْسُنُ لديَّ موقعُهُ، ويزلف له في قلبي موضعه، حَكَمْتُ لها على صاحباتها،

(١) لم نجد لها ترجمة في المصادر التي اطلعنا عليها.

(٢) ابن الرومي، الديوان: ٧٣/٣.

وأجبْتُها إلى ما تمنَّتْ، فلم يبق منهُنَّ إلا من صَنَعَ لحناً، وأبدع فيه حُسْنَاً، وهو لا يُقبل عليه ولا يلتفت إليه، حتى اندفعت بهجة تغني هذا[1]: [الطويل]

وإني لتعروني لذكراك هزة ... لها بين جلدي والعظام دبيبُ
وما هو إلَّا أن أراها فجاءةً ... فأبهت حتى ما أكاد أجيب
وأصرف عن رأي الذي كنت أرتئي ... وأنسى الذي أعددت حين يغيب
ويظهر قلبي عذرها ويعينها ... عليَّ فمالي في الفؤاد نصيب
وقد عدمت نفسي مكان شفائها ... قريباً وهل ما لا ينال قريب
لئن كان برد الماء أبيض صافياً ... إليَّ حبيباً إنها لحبيب

والشعر لعروة بن حزام العذري، والغناء فيه ثاني الرمل، فطرب الحكم ومال وقال: والله كأني لهذا كنت أحاول، وله أتطلب، ثم حكم لها على كل من تغنت، وأنجز لها ما تمنت.

ومن أصواتها هذا[2]: [الطويل]

وإني لمحزون عشية جئتها ... وكنت إذا ما جئتها لا أعرج
فلما التقينا لجلجت في حديثها ... ومن آية الهجر الحديث الملجلج

[٣٧٣] والشعر لأبي دهبل الجمجي، والغناء فيه في ثاني الرمل مزموم.

وحُكِيَ أنها حضرت يوماً لديه وكان قد وجد لفراق جارية له كانت استأذنته في الخروج للتنزه في بعض القصور، وشعرت لما في نفسه، فغنت[3]: [الطويل]

أحبابنا قد أنجز البين وعده ... وشيكاً ولم ينجز لنا منكم وعد
أأطلال دار العامرية باللوى ... ـ سقت ربعك الأنواء ـ ما فعلت هند

(١) عروة بن حزام، الديوان: ٢٢.
(٢) أبو دهبل الجمحي، شعره: ٧٨.
(٣) البحتري، الديوان: ١٦٥/٦.

بنفسي من عذبت نفسي محبة وإن لم يكون [منه] وصال ولا وِدُّ[1]
حبيب من الأحباب شطت به النوى وأي حبيب ما أتى دونه البعد

والشعر للبحتري، والغناء فيه في الثقيل الأول، فقال لها: لكأنك كنت في صدري، ثم أمر لها بمئتي دينار وقطعاً من الجوهر.

وكذلك من أصواتها[2]:[البسيط]

بانوا فكانت حياتي في اجتماعهم وفي تفرّقهم قلبي وإقصادي
وفي الخدور غمامات برزن لنا حتى تصيد منا كل مصطاد
وهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي
يقتلننا بحديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكنونه باد

والشعر للقطامي، والغناء فيه مزموم

ومن محاسن القصيد التي منها هذا الصوت[3]: [البسيط]

حلّوا بأخضر قد مالت شرارته من ذي غناء على الأعراض أنضاد
مالي أرى الناس مزورّاً فحولهم عنى إذا سمعوا صوتي وإنشادي
فطالما ذب عني سُيَّرٌ جُرُدٌ يصبحن فوق لسان الرائح الغادي
فلا يطيقون حملي إن هجرتهم وإن مدحتهم لم يبلغوا آدي
من مبلغ زفر القيسي مدحته من القطامي قولا غير أفنادي
إني وإن كان قومي ليس بينهم وبين قومك إلا ضربة الهادي
[٣٧٤] مثنٍ عليك بما استبقيت معرفتي وقد تعرض مني مثقل بادي
فلن أثيبك بالنعماء مشتمةً ولن أبدل إحساناً بإفساد
وما نسيت مقام الورد تحبسه بيني وبين خفيف الغابة الغادي

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من ديوان البحتري.
(٢) القطامي، الديوان: ٨٠
(٣) القطامي، الديوان: ٨٢.

لولا كتائب من عمرو تصول بها ... أرديت يا خير من يندو له النادي
إذا الفوارس من قيس بشِكَّتهم ... حولي شهود وما قومي بشهاد
إذ يعتريك رجال يسألون دمي ... ولو أطعتهم أبكيت عوادي
والصيد آل نفيل خير قومهم ... عند الشتاء إذا ماضنَّ بالزاد
يا قوم قومي مكاني منصب لهم ... ولا يظنون إلا أنني راد
ولا كَردك مالي بعد ما كربت ... تبدي الشناءة أعدائي وحسادي
لا يبعد الله قوماً من عشيرتنا ... لم يخذلونا على الجلى ولا العادي
محميةً وحفاظاً إنهم شيم ... كانت لقومي عاداتٍ من العاد
لم تر قوماً هم شر لإخوتهم ... منا عشية يجري بالدم الوادي
مستلبثين وما كانت أناتهم ... إلا كما لبث الضاحي عن الغادي
حتى إذا ذكت النيران بينهم ... للحرب يوقدن لا يوقدن للزاد
نقريهم لهذميات يُقَدّ بها ... ما كان خاط عليهم كلُّ زراد
أبلغ ربيعة أعلاها وأسفلها ... إنا وقيساً تواعدنا لميعاد
فكان قومي ولم تغدر لهم ذمم ... كصاحب الدين مستوف ومزداد

ومنهم:

٩٧ ـ مُهْجَة جَارِيَة الحَكَم

جارية تجلو القمر إذا غاب، ويحل ظبيها الكانس في غاب، تدني الرغاب، وتلي بأشجان طربها السِّغاب، هوى المتمني ورضى المختلي، لا يعدوها الاقتراح، ولا يعدلها حبيب وقت راح، إلى ذكاء وفطنة لا تقتدحها خواطر النساء، ولا يقترحها الفحول على الخنساء، لو مَرَّ بها ذو الرمَّة لما كان سواها عليه ينفق، ولا وصف غيرها هانى أينفق.

ولها أصواتٌ منقولة مشهورة[1]: [٣٧٥] [الطويل]

---

(١) ابن الرومي، الديوان: ٢١١/٣ وفيه البيت الأول.

سأعرض عما أعرض الدهر دونه وأشربها صرفاً وإن لام لُوَّمٌ
فإني رأيت الكأس يا سلم خلة وفت لي ورأسي بالمشيب معمم
وصلت فلم تبخل عليَّ بوصلها وقد بخلت بالوصل تكنى وتكتم
ومن صارم اللذات إن خان بعضها ليرغم دهراً ساءه فهو أرغم

والشعر لابن الرومي، والغناء فيه.

وكذلك صوتها وهو مما اقترح الحكم أن تغني فيه[1]: [الوافر]

ألا زارت وأهل منىً هجود وليت خيالها بمنى يعود
حَصان لا المريب لها خدين ولا تفشي الحديث ولا ترود
ونُحْسَد أن نزوركم ونرضى بدون البذل لو رضي الحسودُ
فلا بخل فيوئس منك بخل ولا جود فينفع منك جود
شكونا ما علمت فما أويتم وباعدنا فما نفع الصدود
هوى بتهامة وهوى بنجدٍ فلبتني التهائم والنجود

والشعر لجرير، والغناء فيه.

وحُكِيَ أن بعض جواريه سألته في الخروج إلى بعض متنزهات قرطبة النائية، فأذن لها على كرهٍ منه لفراقها، ثم قال: والله لا تذهبين حتى أراك عندي الليلة كلها، ثم أحضر جواريه الغناء، وقضى معها ليلة متلآلئة السناء، فلما صدح الصباح وفتح النهار باباً كان في الليل مرتجاً، أزمعت الجارية على الخروج، وقد قُدمت المراكيب، وجاء الصبح بموعده القريب، أخذ الحكم كالأفكل وعلاه النحيب، ثم أنشد متمثلاً، قول ذي الرمة[2]:

أفي الدَّار تَبْكي أن تحمَّل أهلُهَا وأنْتَ امرؤٌ قَدْ حَكَّمَتْكَ العشَائِرُ

وجعل يردد هذا البيت، وقال لجواريه: أيَّتكُنَّ سبقت إلى عمل لحن في هذا

(١) جرير، الديوان: ١٧٥.
(٢) الديوان: ٣٢٨.

البيت وما يُضَمُّ إليه، فلها حكمها، فابتدرت مُهْجَةُ وغَنَّتْ، ثم سَوَّغَها الحَكَمُ ما تمنَّتْ، والصوت: [الطويل]

أفي الدار تبكي أن تحمل أهلها ... وأنت امرؤ قد حكمتك العشائر
فلا ضير أن تستعبر العين إنني ... على ذاك إلا جولة الدمع صابر
وإن لامني يامي من دون صحبتي ... لك الدهر من أحدوثة النفس ذاكر
وأن لا ينال الركب تهويم وقعة ... من الليل إلا اعتادني منك زائر.

والصوت من قصيدة من غُرَرِ ذي الرُّمة. ومنها:

لقد نام عن ليلي لقيط وشاقني ... من البرق علوي السنا مياسر
أرقت له والثلج بيني وبينه ... وحومان حزوى فالحمول البواكر
أجدّت بأغباش فأضحت كأنها ... مواقر نخل أو طلوح نواضر
وتحت العوالي في والقنا مستظلة ... ظباء أعارتها العيون الجآذر
هي الأدم حاشا كل قرن ومعصم ... وساقٍ وما ليثت عليه المآزر
وغبراء يحمي دونها ما وراءها ... ولا يختطيها الدهر إلا مخاطر
قطعت بخلقاء الدفوف كأنها ... من الحق ملساء العجيزة ضامر
إذا القوم راحو راح فيها تقاذف ... إذا شربت ماء المطي الهواجر
وماء تجافى الغيث عنه فما به ... سواء الحمام الحضن الخضر حاضر
وردت وأرْدَافُ النجوم كأنها ... وراء السماكين المها واليعافر
على نضوة تهدي بركب تطوّحوا ... على قُلُص أبصارهن غوائر

وحُكِيَ أن الحكم اقترح عليها أن تصنع صوتاً في شعر أبي تمام.

وهذا هو[1]: [الطويل]

أنا ابن الذين استرضع المجد فيهم ... وسمي فيهم وهو كهلٌ ويافعُ[2]

---

(١) أبو تمام، الديوان: ٢/٤٥١.
(٢) الأصل: وسمي منهم، والمثبت من الديوان.

مضوا وكأنَّ المكرمـــات لديهـــم لـــكثرة ما وَصّوا بـهـن شَـرائِـعُ
فأي يدٍ في المجــد مدَّت فلم تكــن لـهــا راحـة فـي مـجـدهـم وأصـابـعُ
هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا فضاع وما ضاعـت لـديـنـا الـصـنـائـعُ

[٣٧٧] فصنعت في ثقيل الرمل فلم تقع في نفسه بموقع، فقالت: سأصوغ له لحناً غير هذا، فقال: هيهات قد تكدّر عليَّ صفوه، ولكن انظري شيئاً تصنعين فيه سواه، فصنعت في قول أبي تمام:(١): [الطويل]

جرى حاتمٌ في حلبةٍ منه لو جَرى بـهـا الـقـطـر قال الـنـاس أيـهـمـا الـقـطـرُ
فتىً ذخر الدنـيـا أنـاسَ ولـم يـــزل لـهـا بـاذلاً فـانـظـر لـمـن بـقـي الـذخـــرُ
فمن شاء فليفخر بما كان من ندى فليس لحي غيرنا ذلك الفخــــــرُ
جمعنا العلى بالجودِ بعد افتراقها إلينا كما الأيام يجمعها الشهــــــرُ

فلما تَغَنَّت به اهتز الحكم حتى كاد يخرج عن السرير، وقال لها: أحسنت والله وأجملت وزدت على ما في أمنية نفسي، وأمر لها بمئة دينار لكل بيت، فقامت باربعمائه دينار.

وجمع الحكم يوماً جواريه وأمرهن أن يغنين في شعر الفرزدق(٢): [الوافر]

وقــالــوا إن أعــرضــت فــأغــن عــنــا دُمـوعــاً غـيـر راقـيـة الـسـجـام(٣)
وكـــيـــف إذا رأيـــت ديـــار قـــومٍ وجـــيـــران لـــنـــا كـــانـــوا كـــرام
أكـفـكـفُ عـبـرة الـعـيـنـين مـنـي ومـا بـعـد الـمـدامـعِ مـن لـمـامِ

فعملن فيه أصواتاً أخذن ألحانها، وأقمن أوزانها، وكانت مهجة أوقعهن على ما في نفسه، فقال لها: اقترحي حكمك، فقالت: أن لا يغنين اليوم إلا من أصواتي، فأمرهن

(١) ابو تمام، الديوان: ٢/٤٤٦.
(٢) الفرزدق، الديوان: ٢/٣٥٩.
(٣) الأصل: راقية السحاب، والمثبت من الديوان.

بذلك، وأمرها بأن تلقي عليهم حتى حفظن ذلك عنها ثم غنينه ذلك اليوم بأصواتها، فأجزل صلتها ووصل سائرهن.

وهذا الصوت من قصيدة هجا الفرزدق فيها جريراً، ومدح هشام بن عبد الملك، فمنها في هجاء جرير[1]: [الوافر]

وبيضٍ كالدمى قد بتُّ أسرى ... بهن إلى الخلاءِ عن النيامِ
مشين إليَّ لم يطمثن قبلي ... وهن أصح من بيض النعامِ
وبتن لديَّ فيه مُصَرَّعاتٍ ... وبتُّ أفض أَغْلاقَ الختامِ
[٣٧٨] كأن مغالق الرّمان فيه ... وجمر غضى قعدن عليه حام

ومنها في مدح هشام[2]:

يقول بني هل لك من رحيلٍ ... لقوم منك غير ذوي سوام
وغير لون راحتي ولوني ... ترديَّ الهواجر واعتمامي
فينهض نهضة لبنيك فيها ... غنى لهم من الملك الشآمي
أقول لناقتي لما ترامت ... بنا بيد مسربلة القتام[3]
أعيني من وراءك من ربيع ... أمامك مرسلٍ بيدي هشام
يدي خير الذين بقوا وماتوا ... إمام وابن أملاك عظام
إلام تلفّتين وأنت تحتي ... وخير الناس كلهم أمامي
متى تردي الرصافة تستريحي ... من التهجير والدبر الدوامي
ويلقى الرحل عنك وتستغيثي ... بغيث الله والملك الهمام
وحبل الله حبلك من ينله ... فما لعرى يديه من انفصام
يداك يد ربيع الناس فيها ... وفي الأخرى الشهور من الحرام

---

(١) لم ترد الأبيات في ديوان الفرزدق المطبوع.
(٢) الفرزدق: الديوان: ٢/٣٦٠.
(٣) الأصل: بتأسدِ مسربلة والمثبت من الديوان.

وإن الناس لولا أنت كانوا ... حصى حزن تبدد من نظام
وليس الناس مجتمعين إلا ... لخندف في المشورة والخصام
وبشرت السماء الأرض لما ... تحدثنا بإقبال الإمام
إلى أهل العراق وإنما هم ... بقايا مثل أشلاء الرمام
أتانا زائراً كانت علينا ... زيارته من النعم الجسام
فجاء بسنة العمرين فيها ... شفاء للصدور من السقام
رآك الله أولى الناس طراً ... بأعواد الخلافة والسلام
رأيت الظلم لما قام جذت ... عراه بشفرتي ذكر حسام
إذا ما سار في أرضٍ تراها ... مظللة عليه من الغمام

وهذه في القصيدة أبياتُ طائلة في وصف الناقة والسير، وهي:

تزف إذا العرى قلقت عليها ... زفيف الهادجات من النعام
[٣٧٠] كأن أقماراً علقت براها ... معلقةً إلى عمد الرخام
كأن العنكبوت تبيت تبني ... على الأشداق من زبد اللغام
رجوف الليل قد بقيت وكلت ... من الآداب فائرة النعام
فما بلغتنا إلا جريضاً ... بنقي في العظام وفي السنام
كأن النجم والجوزاء يسري ... على آثار صادية أوام
كأن العيس حين أنخن هجراً ... مفقأة نواظرها سوامي

ومن أصواتها في شعر ابن الدمينه[1] هذا: [الطويل]

لقد كان في الهجران لي أجر لقد ... مضى لي الأجر في الهجران منذ زمان
فوالله ما أدري أكل ذوي الهوى ... على ما بنا أم نحن مبتليان

(١) لم ترد الأبيات في ديوانه المطبوع.

ومنهم:

٩٨ ـ فَاتِن جَارَيةُ الحَكَم[١]

جارية قرطبة بمحاسنها قرطبة، وأفرطت في التمايل بأصواتها المطربة، لو أسفرت لاتهمت في طلاها كل أم خشف، ولو سقت المحرور بسوى رضابها لم يشف، حجبت بستور الخلائف الأموية حيث دالت دولتها، وعادت صولتها، وسلت من وراء البحر الأخضر سيوفها فراع بريقه في بغداد أهل السواد، وخاف كل راكب على عود رقاه الأعواد، وكانت تشف كما تشف الشمس وراء الغمام، وتبدو بدُّو البدر التمام.

ومن أصواتها المشهورة[٢]: [الطويل]

إذا حان منا بعد ميّ تعرّض ... لنا حنّ قلب بالصبابة مولع
وما يرع الدهر الزمان الذي مضى ... وما للفتى في دمنة الدار مجزع
عشية مالي حليـة غير أنني ... بلقط الحصى والخط في الدار مولع
أخط وأمحو الخط ثم أعيده ... بكفي والغربان في الدار وقع

والشعر لذي الرمة والغناء فيه [٣٨٠]

وخرق إذا الآل استحارت بهاؤه ... به لم يكد في جوزه السير ينجع
قطعت ورقراق السراب كأنه ... منابت في أرجائه تتربع
وقد ألبس الآل الأياديم وارتقى ... على كل نشز من حوافيه مقنع
بمخطفه الأحشاء أزراي بينها ... جذاب السرى بالقوم والطير هجع
إذا انجابت الظلماء أضحت رؤوسهم ... عليهن من طول الكرى وهي ظلع
يقيمونها بالجهد حالاً وتنتحي ... بها نشوة الإدلاج حيناً فتركع
ترى كل مغلوب يمد كأنه ... بحبلين من مشطونةٍ يتنوع

---

(١) لم نجد لها ترجمة في المصادر التي أطلعنا عليها.

(٢) ذو الرمة، الديوان: ٣٤١.

علــــى مُشلهمّات بجـــانب سبقها غـرائـب حـاجـات ويـهـمـاء بـلـقـــع
بـدأنا بـهـا من أهـلـهـــا وهـي بُـــــدّن فـقـد جـعـلـت فـي آخـر الـلـيـل تـضـرع
ومـا قـلـن إلا ســـــاعـة فـي مُـغــــور ومـا بـتـن إلا تـلـك والـصـبـح أدرع
إذا أبطأت أيدي امرئ القيس بالقرى عـن الـركـب جـاءت حـاسـراً لا تـقـنـع
كـأن مـنـاخ الـراكـب الـمـبـتـغـي الـقـرى إذا لـم يـجـد إلا أمـراً الـقـيـس بـلـقـع

ومنهم:

٩٩ ـ فَاتِك جَارِيَة الحَكَم بن هِشَام[1]

عقيلة حجب، وعقيدة نجب، بيضاء حمراء، غراء قمراء، فاتر لفظها، فاتك لحاظها، اكتنفتها الستور الأموية، وكفتها أن يعدل معها أحد بالسوية، ورقت تلك السرور، وراقت لها نطف تلك الغّدُر، وكانت زهرة زهراتها، وثمرة سَرَّائها.

وحُكِي أنها بلغت من الأدب ما أنطق لسانها، وحقق إحسانها، وولعت بصناعة الغناء حتى كانت بأفق الأندلس بدل بدل، ونظير ما ضرب به مثل مثل، وامل المقترح وزيادة على أمل، أكثر ماله للقدود من نوامخ الصباء، وسوافح الأنواء.

ومن أصواتها[2]: [الطويل]

أمـن رسـم كـلـدِ مُـربـع ومُـضـيـفُ بـعـيـنـيـك مـن مـاء الـشـؤون وكـيـفُ
تـذكـرت فـيـهـا الـحـي حـتـى تـنـاذرت دمـوعـي وأصـحـابـي عـلـيَّ وقـوفُ
[٣٨١] يقولون هل يبكي من الشوق حازم وإن بـــــان حِـبٌّ بـالـنـوى والـسـيـف
فـلأيـاً أزاحَـتْ عـلـتـي ذات مـنـسـم نـكـيـب لـهـــا إثـر الـفـراق وجـيـف

والشعر للحطيئة وفيه تحريف كلم، والغناء فيه من المزموم.

ومن تمام هذا الشعر:

---

(١) لم نجد لها ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

(٢) الحطيئة، الديوان: ١٣٠.

إليك سعيد الخير جبت مــــهاما يقـــابلني آل بهـا وتنوف
فلولا الذي العاصي أبـوه لما ثَوتْ بحوران مذعان العشي عصوف
وذالك أصِيْلُ اللب غــض شبابه كـــريم لأيام المنون عروف
إذا هم بالأعداء لــم تثن همــه حصان عليها لؤلؤ وشنـوف
حصان لها في البيت زي وبهجـــة ومشي كما تمشي القطاة قطوف
ولو شاء وارى الشمس من دون وجهه حجـاب ومطوي السراة منيف
ولكن إدلاجاً بشهـــبـــاء فخمـــة لها لقح في الأعجمين كشوف
إذا قادها للمــوت يــوماً تتابعت ألــوف عــلى آثارهن ألـوف
فصفوا وماذي الحـديد عليهـــم وبيض كأولاد النعـام كثيف
خفيف المعي لا يملأ الهم صـدره إذا سمته الزاد الخبيث عيوف

وحُكي أنَّ الحكم دخل عليها وهي نائمة، وقد كَحَّلَتْ أجفانها بِسُبَاتِها، وصقل صفائح وجناتها، وقد وسَّدَهَا سكرُ الدلال اليمين والشمائل، وجلا منها أطّراحُ اللثام ما تحت الخُمُرِ والغلائل، وقد كلل الجبين لؤلؤ العرق، واجتمع الحسن فيها كما اتفق، فاختلس منها قبلة، أكل بها ما وجد من الحلاوة في صحن خدها، ثم ضمها إليه ضمة دخل بها بين ترائبها وعقدها، وهي لا تتيقظ، كأنها مخمورة، ولا تنفك من يده كأنها مأسورة، ثم لم يزل يقبلها في مضجعها ويقلّبها ولا يرثي لتفجعها، حتى ذبل ورد مراشفها، وانتهب عناقيد سوالفها، فانتبهت كأنها ظبية مذعورة، وقـامت تهتز كأنه غصن بان ممطورة، ثم قالت: [٣٨٢] [الخفيف]

مَنْ أَبَاح التَّقْبِيْل والَّلْثمَ خَدّي فَجَنَى رِيقَتِي وذَبَّل وردي
ليتَ مَنْ جَاءَ آخر الليلِ نَحْوي كَانَ حِبِّي مِنْ أوّل الليل عِنْدي

فقال الحكم: لله أنتِ إذْ قُمْتِ ولله أنتِ إذ قُلْتِ، ثم أمرها فَغَنَّتْ فيها، ولم تزل تردد الصوت ويستعيده، ويستطيبه ويستجيده حتى كان ذلك لها يوماً معدوداً، وعيداً لا عيب فيه، إلا أنّا لم نره مشهوداً.

ومنهم:

١٠٠ ـ أفْلحَ الرَّبَاني(١)

ممن قدم على الحكم، رجلٌ لا يملُّ منه سمير، ولا يحلُّ مثله في ضمير، قدم على الملك الهمام، وتقدم الصفوف إلى الأمام، وسلطان الحكم يومئذ زاخر العباب، فاخر الجلباب، وطائره ميمون، وزائره ما عليه إن فاته المأمون، قد أزلفت له بقرطبة الجنان، وزخرفت الأفنان، والحكم ينفض عن الحكم وسنه، ويسكت من الرق لسنه، وأياديه بيض، وعواديه تفيض، وأعاديه إذا ذكرت ذكره تحيض، فاشترى إليه ما لم يجده عنده ابن أبي سفيان، سائب خاثر من الأيادي، ولا عند ابن يزيد عمر الوادي.

ومن أصواته(٢): [الطويل]

دع القلب واستبق الحياء فإنما ... تباعد أو تدني الرباب المقادر
أمتْ حبها واجعل رجاء وصالها ... وعشرتها كبعض من لا يعاشر
وهبها كشيء لم يكن أو كنازح ... به الدار أو من غيبته المقابر
فإن كنت علقت الرباب فلا تكن ... أحاديث من يبدو ومن هو حاضر

والشعر لعمر بن أبي ربيعة.

ومنهم:

١٠١ ـ رغد جارية المغيرة بن الحكم(٣)

جارية [لو](٤) لم تكن أيام وصلها هي العيش لما سميت رغدا، ولا جعلت لليوم غدا، متعت القلوب بصفاتها، وجمعت بين العيون وإغفائها، ووصلت إلى البقية الأموية،

(١) لم نجد له ترجمة فيما أطلعنا عليه من مصادر.
(٢) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ١١٠.
(٣) لم نجد لها فيما أطلعنا عليه من مصادر.
(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة ليستقيم الكلام.

وقد سلبوا رداء الخلافة، وقربوا من [٣٨٣] ردى الهلك، فأحيت الذماء، وأحرزت الدماء، فكانت تضيء في مجالس القوم إضاءة الشمع المتقد، وتجلس من تعنت المنتقد، إلا أنها كانت حاكمة على المغيرة، لو كلفته بذل نفسه لما بخل، أو ألجأته إلى ما دخل فيه الوليد لدخل، حتى كادت تكون المبيرة، وتنهب غاراتها لبَّ المغيرة، ويحكى عنها كمال أدب كانت أتقنته، وإتقان طرب حسنته، وتمام جمال أوتيت منه أوفر الحظوظ، وأوفى ما يرى من الحسن الملحوظ، وفضل أدوات وإجادة في شعر وأصوات.

ومن شعرها الذي لحنته: [الخفيف]

أيــن أيــامــنــا بــجــلــق أيــنــا ... كــان ذاك الــزمــان لــلــدهــر عــيــنــا

شــتــتــونــا وأســهــروا كــل عــيــن ... لا تــهّــنــا الــعــادي ولا قــر عــيــنــا

ومن أصواتها المشهورة[1]: [الطويل]

إذا قُـمْـنَ أو حـاولـن مـشـيـاً تـأطـراً ... إلـى حـاجـة مـالـت بـهـن الـروادف

فـلـمـا هـمـمـنـا بـالـتـفـرق أعـجـلـت ... بـقـايـا الـلـبـانـات الـدمـوع الـذوارف

فـأتـبـعـتـهـن الـطـرف مُـتّـئـل الـهـوى ... كـأنـي يـعـانـيـنـي مـن الـجـن طـائـف

وكـل الـذي قـد قـلـت يـوم لـقـيـتـكـم ... عـلـى حـذر الأعـداء لـلـقـلـب شـاغـفُ

والشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء فيه في الثقيل الأول.

[ومن أصواتها][2]: [الطويل]

لَـقَـدْ هـاجَ هـذا الـقـلـبُ عـيـنـاً مـريـضـةً ... أجَالَتْ قَـذى ظَلَّتْ بِه العينُ تَمْرح

صحـا الـقـلـب عـن سـلـمـى وقـد بَرَّحـت ... بـه وما كـان يـلـقـى مـن تُماضِرَ أبرحُ

إذا سـايَـرَتْ أسـمـاءُ قـومـاً ظـعـائـنـاً ... فـأسـمـاءُ مـن تـلـك الـظـعـائـن أمـلـحُ

تـقـول سـلـيـمـى لـيـس لـلـبـيـن راحـة ... بـلـى إن بـعـض الـبـيـن أشـفـى وأروح[3]

---

(١) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٤٦٥.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة يقتضيها السياق، والشعر لجرير، الديوان: ٨٣٤/٢.

(٣) في الديوان: الصرم بدلاً من البين.

والشعر لجرير، والغناء فيه في الرمل المزموم، وهذه قصيدة هي [من][1] قلائده أولها:

أَجَــدَّ رواحُ الــحــي أم لا تــروح نـعـم مـن يُـغْـنَـى بـجُـمْـلٍ مـترح[2]

[٣٨٤] إذا ابتسمت أبدت غُروباً كأنها عوارض مزنٍ تستهلُّ وتَلْمَحُ[3]

ومنها في وصف السير في وقت قيظ:

أعائفنا ماذا تعيف وقــد مضت بــوارح قُـدَّامَ الـمـطـي وسُـنّـحُ

نقيس بقيَّاتِ النِّطاف على الحصى وهـن عـلـى طَـيٍّ الـحـيـازيـم جُـنَّـحُ

ويومٍ من الجوزاء مستوقدِ الحصى تـكـاد صـيـاصـي الـعـيـن مـنـه تَـصـيـحُ

شديد اللظى حامي الوديقة ريحُهُ أشدُّ لظى من شمسه حين تصمح[4]

نـصـبـت لـه وجـهـي وعـنـسـاً كـأنـهـا مـن الـجـهـد والإسآد قَـرْمٌ مُـلَـوَّحُ

ومن أصواتها[5]: [البسيط]

إنـا مُـحَـيُّـوك فـاسـلـم أيـهـا الـطـلـل وإن بـلـيـت وإن طـالـت بـك الـطـول

إنـي اهـتـديـت لـتـسـلـيـم عـلـى دمـن بـالـغـمـر غـيـرهـن الأعـصـر الأول

فـهـن كـالـحـلـل الـموشـي ظـاهـرهـا أو كـالـكـتـاب الـذي قـد مـسـه بـلـل

كـانـت مـنـازل مـنـا قـد نـحـل بـهـا حـتـى تـغـيـر دهـر خـائـن خـبـل

أمـسـت عـلـيـه يـرتـاح الـفـؤاد لـهـا ولـلـرواسـم فـيـهـا بـيـنـنـا عـمـل

والـعـيـش لا عـيـش إلا مـا تـقـر بـه عـيـن ولا حـال إلا سـوف تـنـتـقـل

والشعر للقطامي عمرو بن شييم بن عمرو التغلبي، والغناء فيه، وهو هذه الأبيات

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

(٢) في الديوان القوم بدلاً من الحي.

(٣) الأصل: عوارض زمن والمثبت من ديوان جرير.

(٤) في الديوان: أشد أذى.

(٥) القطامي، الديوان: ٢٣-٢٤.

من كلمة له طويلة طائلة، أغار مسلم بن الوليد على سَرْحِها، وجهد نفسه حتى اطَّلَع على صرحها، ومنها:

والناس من يلق خيراً ما له ... ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل
قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومنها في وصف الأينق:

حتى ترى الحرة الوجناء لاغبة ... والأرحبي الذي في خطوه خبل
خوصاً تُديُر عيوناً مَاؤُها سَرِبٌ ... على الخدودِ إذا مَا اغْرَوْرقَ المقلُ
[٣٨٥] يرمي الفجاج بها الركبان معترضاً ... أعناق بُزَّلها مرخى لها الجدل
لواغب الطرف مثقوباً جوانبها ... كأنها قلب عادية مكل
يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلة ... ولا الصدور على الأعجاز تتكل
يتبعن سامية العينين تحسبها ... مجنونة أم ترى مالا ترى الإبلُ

ومن أصواتها المشهورة[1]: [الطويل]

تغن بريّا يابن سعد فإنما ... تلام على الصمت النساء الحرائر
غناء يظل الجود منه كأنما ... على رأسها من سورة السمع طائر

والشعر للصِمَّة بن عبد الله القشيري، والغناء فيه: [المنسرح]

لا النوم أدري به ولا الأرق ... يديري بهذين من به رمق
إن دموعي من طول ما استبقت ... كلت فما تستطيع تستبق
ولي مليك لم تبد صورته ... مذ كان إلا صلّتْ له الحدق
نويت تقبيل وجنتيه وخفـ ... ـت أدنو منهما فأحترق

والشعر للصنوبري، والغناء فيه ثاني الرمل.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٦/٢٩٣ والشعر للصمة القشيري مع اختلاف كبير في الرواية.

ومنهم:

١٠٢ - سَلِيمْ مَوْلَى المُغِيرةَ بن الحَكَم(١)

رجل سعد بمواليه، وصعد حتى رأي النجم يليه، خلطوه بأنسابهم، وخلوه معدوداً في أحسابهم، أخذ الطرب عن رسلٍ أتوه من قبل النصارى وأمر بتأخيرهم ووكل بهم إلى حين مسيرهم، وأنقن الفن وحقق الظن، ثم أتى المغيرة بن الحكم بجارية عراقية، كانت قد أنتجت له من تلك الخادر، واتت تقيم بحسنها عذر العاذر، وكانت تطارحه الغناء حتى برغ وجمع الغناء العراقي مع ما جمع، وكانت تجري بينهما في مجلس المغيرة مؤاخذات أرق من نسمات الأسحار، وأعطر من نفحات الأشجار، آهاً عليها كيف لم تنقل وتحبس شواردها وتعقل.

ومن أصواته(٢): [٣٨٦] [البسيط]

أمن خليدة وهناً شبت النار ... ودونها من ظلام الليل أستار
باتت تشب وبتنا الليل نرقبها ... تعنى قلوب بها مرضى وأبصار
فما أبالي إذا أمسيت جارتنا ... مقيمة ما أقام الناس أم ساروا
يأأيها اللائمي فيها لأصرمها ... كثرت لو كان يغني عنك إكثار
فاقصد فلست مطاعاً إن وشيت بها ... لا القلب سال ولا في حبها عار

والشعر للأحوص بن محمد الأنصاري، والغناء فيه ثاني الرمل، وهذه القطعة من قصيدة فيها أبيات مختارة، منها(٣):

جود مبتلة نضح العبير بها ... كأنها روضة ميثاء محبار
لو دب حولي ذر تحت مدرعها ... أضحى بها من دبيب الذر آثار
كأن خمر مدام طعم ريقتها ... مما ينير خلايا النحل مشتار

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما أطلعنا عليه من مصادر.
(٢) الأحوص، الديوان: ١٥٠.
(٣) الأبيات لم ترد في الديوان الأحوص المطبوع.

ومنها في المديح[1]:

لولا يزيد وتأميلي خلافته ... لقلت ذا من زمان الناس إدبار
إني أرى زمناً للمرجفين به ... عز وفيه لأهل الدين إصرار
أغر لو قام في ظلماء داجية ... وهناً لحان لداجي الليل إسفار
إن ينسبوا فهو إن عدوا لأربعة ... خلائف كلهم للدين أنصار

وحضر مرة مجلس الحكم وقد قعد مقعد الخلافة، وقد أُتِيَ بكتب جاءت بها التجار من بلاد المشرق، وقد حملت رياضتها إلى نوئه المغدق، فرمى بطرفه ديواناً منه قد ضُمِّنَ شعر المقلين الثلاثة الذي فُضِّلُوا في الجاهلية، ومنهم المسيب بن علس بن مالك خال الأعشى، فأخذه الحكم بيده، وفَضَّ مُرْتج أغلاقِهِ، وتأمل ما فيه من نفائس أعلاقه، فرأى منها كلمته[2]: [الكامل]

بان الخليط ورُقِّع الخَرقُ ... ففؤاده في الحي منغلق
منعو طلاقهم ونائلهم ... يوم الفراق فرهنهم غلقُ
[٣٨٧] قطعوا المزاهر واستتب بهم ... يوم الرحيل للعلع طرق
رجلاً يتابع خلفها رجل ... نشط العقال قواه منطلق
للعبقرية فوقها صبح ... كدم الذبيح نجيعه دفق
وكأن ظعنهم مقفية ... نَخْلُ ابن يامن موقر سحق
وكأن ظعنهم غداة غدوا ... والآل تسترهم وتنخرق
جبار عيدانٍ أمرّ له ... دون القران مدعدع تئق
علت العذوق على كوافرها ... متلفع بالليف منتطق
حمر الكبائس قد ينوء بها ... وهو الخضاب فكأنه علق

فأمر أن يغني فيها بقوله:

(١) الأحوص، الديوان: ١٥٠، وورد فيه البيت الأول فقط.
(٢) المسيب بن علس، شعره: ١١٧.

رَمَيْنَنا في كل مُرتقبٍ   تحت الخدود وسيرهم نشقُ
غيد سوالفها وأوجهها   بيض وفوق صدورها الحُقق
تَبَلَتْ فؤادك إذ عرضت لها   حسن برأي العين ما تمق
بمهى يرف كأنه برد   نزل السحابة ماؤهُ يدقُ
والوجه دينار ومنسدل   يغشى الضجيع لنشره عبق
بانت وصدع بالفؤاد لها   صدع الزجاجة ليس يتفق

فصنع فيه صوتاً في مزموم الرمل، حرك به الحكم وسائر أهل المجلس، وامتدّ الرجاء المطمع بعد القنوط الموئس، وألقى إليه بمطَرفِ خَزٍّ بنفسجي كان عليه، مبطناً بالفنك، وأمر له بمائتي دينار، ومرّ يوم له لم يُرَ مثله.

ومنهم:

١٠٣ ـ وَضِيْحُ بنُ عَبْدِ الأَعْلَى[(١)]

طلع به في ذلك الأفق كوكبه الغارب، ورجع سحابه، الغارب، وبلغ أمره المؤيد هشاماً، وما كنت فترت جمرته، ولا فنيت إمرته، فأمر باستدنائه، واستدعى به لأجل غنائه، فلما حضر مجلسه المهيب وأحس بيانه المتوقد اللهب، انقلب رجاؤها قنوطاً، وانقطع مما كان به منوطاً، إلى أن سكن إنباضه، وأزال [٣٨٨] بالبسطة انقباضه، فأظهر الصناعة التي كانت إليه معزوة، وولت الهموم التي أصبحت به معزوة، فأحيا من القلوب رميماً، وطرح عن النفوس عظيماً ثم أخذ العود وضرب به ضرباً كان شفاء للفهم السقيم، ودرياقاً للقلب السليم، فتهلل وجه المؤيد حتى ظهر البشر على جبينه، وأمر له من الذهب بمثل يمينه.

ومن أصواته[(٢)]: [الكامل]

لمن الديار كأنها لم تُحْلَلِ   بين الكِناس وبين طَلْحِ الأعزلِ

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما أطلعنا عليه من مصادر.
(٢) جرير، الديوان: ٢/٩٣٩.

ولقد أرى بك والجديد إلى بلى ... موت الهوى وشفاء عين المجتلي
ولقد أرى بك والمطي خواضع ... وكأنهن قطا فلاة مجفل[1]
يا أم ناجية السلام عليكمُ ... قبل الرواح وقبل لوم العذَّلِ[2]
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم ... يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل
أو كنت أرهب وشك بَيْنٍ عاجلٍ ... لقنعت أو لسألَت ما لم يُسْألِ[3]

والشعر لجرير، والغناء فيه، وهذه من طنانات جرير، ومنها في هذا:

أعددت للشعراء سما ناقعاً ... فسقيت آخرهم بكأس الأول
لما وضعت على الفرزدق ميسمي ... وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل[4]
أخزى الذي سمك السماءَ مجاشعاً ... وبنى بناءك بالحضيض الأسفل
فامدح سراة بني فقيم إنهم ... قتلوا أباك وثأرهم لم يقتل[5]
ودع البراجم إن شربك فيهم ... مُرٌّ عواقبه كطعم الحنظل[6]
بات الفرزدق يستجير لنفسه ... وعجان جعثن كالطريق المُعْمَل
أين الذين عددت أن لا يدركوا ... بمجر جعثن يابن ذات الرّمَل[7]
أسلمت جعثن إذ تُجَرُّ برجلها ... والمنقري يدوسها بالمنشل
تهوى استها وتقول يا لمجاشع ... ومشق نقبتها كعين الأقبل
لا تذكروا حلل الملوك وأنتم ... بعد الزبير كحائض لم تغسل[8]

---

(١) البيت ساقط من ديوانه المطبوع.
(٢) الأصل: بأمر ناجية... يوم العذل، والمثبت من الديوان.
(٣) الأصل: ما لم أسل، والمثبت من الديوان.
(٤) الديوان: وضغا البعيث.
(٥) الديوان: قتلوا أباك وثأره.
(٦) الديوان: مُرٌّ مذاقته.
(٧) الديوان: يا بن ذات الدُّمل.
(٨) الديوان: حلل الملوك فإنكم

[٣٨٩] ما كان ينكر في يدي مجاشع أكل الخزير ولا ارتضاع الفيشل

حُكِيَ أنه ممن كان محمد بن عبد الرحمن خليفة الأندلس يلحقه برعايته، ويلحظه بعنايته، وكان قد سافر عنه مدة أطال شَقَّتَها، وحمل وقر أعبائه شقتها، ثم آن له العود إلى ذلك النديّ، وقرب بحيث شم سوابق عرفه الندي، ولم تبق إلا مرحلة يقطعها وسوط مطيةٍ تمتد به أذرعها، فهاجه قرب الدار إليه شوقاً، وطار به إليه سوقاً، فصنع لحناً في شعر الحسين بن مطير[1]: [الطويل]

ولما تنكبنا الكثيب وأطلعت لنا السدة العلياء قلت لصاحبي

ألا فانشرح صدراً فلم تبق بيننا وبين المنى إلا كناخة راكب

ورفع ببيتيه عقيرته تغنى في النداء، وصاغه بين غناء الركبان والحداء، وسمعها في النفر من منه حفظها، وأداها كما منه تلفظها، فما أتى وضيح باب محمد بن عبد الرحمن إلا وقد سبق بها الخبر إليه، كانما ألقتها الريح في أذنه، فحين دخل عليه، قال له: لينشرح صدرك، فلم يك قد كان بقي بينك وبين المنى إلا إناخة راكب، فهات الآن ما صنعت، فاندفع يُغَنِّي فيه، ومحمد بن عبد الرحمن يميل حتى كاد يسقط عن السرير، ثم عجل له بتخت من القماش، وثلاثمائة من الدنانير.

ومنهم:

١٠٤ ـ ابنُ سَعِيد، كَامِل[2]

أثمرت بالسرور أنامله، وتم تمام البدر كامله، وشغل أوقاته بالطرب، فجاءت طيوره سانحة، وجادت له بالأيام مانحة، ولزم المؤيد هشاماً، وقد وطئ البلاد بهيبته، وسر العباد بأوبته، وكان في عنفوان ملكه كجده هشام بالشام، وقد بسط ظله على الأنام، وأجار بعدله من الأيام، وكان يحضر مجلسه الخاص حيث يكون رواق الليل سجافه، ورقيب السمع سميره، وبطون الجواري سريره، وكان منه بألّاً يتحاشى، ولا يجد

---

(١) الحسين بن مطير، شعر: ٧٦.

(٢) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

منه إيحاشا، وكان يدخل على جواريه [٣٩٠] الحجاب، ويعلمهن ما ظهر من الإعجاب، ويلقي عليهن غناء يطرب سامعه، وتكثر به نقوط كل حاضر تجري مدامعه، ومن أصواته المشهورة: [الوافر]

تكلم أيها الطلل القديم ... عفت منه أجيرةَ فالحريمُ
تأبد ما بدا للريح منه ... وآلاء بتيمن لا تريم
إذا ما قلت أقصر عن صباه ... فكان كحين يحتضر القسيم
تأوبه خيال من سليمى ... كما يعتادُ ذا الدين الغريم

والشعر لسلمة بن الخرشب الأنماري، والغناء فيه خفيف الرمل، وكذلك صوته[1]: [الطويل]

سقى طلل الحي الذي أنتم به ... بشرقي سلع صيِّفٌ والربيعُ[2]
مضى زمن والناس يستشفعون [بي] ... فهل لي إلى لبنى الغداة شفيعُ[3]
فسوف أسلي النفس عنك كما سلا ... عن البلد النائي البعيد يروع
يقولون صبٌ بالنساءِ مولعٌ ... وهل ذاك من فعل الرجالِ بديعُ

والشعر لقيس بن ذريح، والغناء فيه في الطريقة الرابعة من الهزج.

وكذلك صوته[4]: [الكامل]

ومتيم جرح الفراق فؤاده ... فالدمع في أجفانه يترقرق
هزته ساعة فرقه فكأنما ... في كل عضو منه قلب يخفق

والشعر لابن المعتز.

---

(١) قيس بن ذريح، الديوان: ١٢.
(٢) الأصل: طيف والربيع، والمثبت من الديوان.
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة من الديوان.
(٤) ابن المعتز، الديوان: ١/٣٤٠.

ومنهم:

١٠٥ ـ حصينُ بنُ عَبْدِ بن زِيَاد[1]

أصله من بَرّ العُدْوة، ودخل الأندلس متمسكاً بالعروة، وكان مطرباً أورد الأنس الوافر، ورد السرور النافر، ورق به قلب الليل على أنه كافر، وشجع قوي القلب وكان أجبن من صافر، ولج بلاد النصارى وتوغل في ولوجها، وسكنها وسكن إلى علوجها، ثم عاد إلى حوز المسلمين، ورجع ما كسب إلا الغناء [٣٩١] بعد طول سنين، فاتصل بالعالي واتصف باقتناء الغالي، فأعلى العالي كعبه، ولمَّ شعبه، وكان لا يزال يحضره في خلوته، وتجنبه نزع هفواته.

ومن أصواته[2]: [الطويل]

دعتنا بكهف دون حنفاء دعوةً ... على عجلٍ دهماء والركب رائحُ
إذا الناس قالوا كيف أنت وقد بدا ... ضمير الذي بي قلت للناس صالح
ليرضى صديق أو ليسخط كاشح ... وما كل من سلفته الود ناصح
وإني لتلحاني على أن أحبها ... رجال تعزيهم قلوب صحائح

والشعر لتميم بن أبي مقبل، والغناء فيه مزموم الرمل.

وكذلك صوته[3]: [الكامل]

نام الخلي وما أحس رقادي ... والهَّم محتضر لدى وسادي
من غير ما سقم ولكن شفَّني ... همٌّ أراه قد أصاب فؤادي
ومن الحوادث لا أبا لك أنّني ... ضُربتْ علي الأرض بالأسداد
لا أهتدي فيها لموضع بلغةٍ ... بين العراق وبين أرض مراد

والشعر للأسود بن يعفر النهشلي، والغناء فيه ثاني الثقيل.

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

(٢) تميم بن أبي بن مقبل، الديوان: ٤٨.

(٣) المفضل الضبي، المفضليات: ٢١٦ والشعر فيها للأسود بن يعفر.

ومنهم:

١٠٦ ـ سَاعِدَة بنُ بُرَيم[١]

مطرب تعلق بالسُّها، وعلق بالمسامع بما ألهى، وكان لنوافر القلوب مؤلفاً، ولم يقدم وراءه مخلفاً، حُكِيَ أنه كان من أبناء النصارى، طلع في سواد المسوح قمراً زاهراً، وسكن الديارات فأعاد ذواءها يانعاً زاهراً، وخلا في جانب مكانه فحل عزائم البرهان، وشد زناره على غصن بان، ففتن بحسنه القسوس، وجرى في حبه ما هوَّن حرب البسوس، فترك النصرانية وأسلم إسلاماً الله يعلم ما وراءه، وماذا صرف إليه فيه آراءه، ثم غوي الغناء وطلبه، وتتبعه ليجلبه، وركب فيه ثبج البحر وقد لانت عريكته، وألقيت أريكته، ثم بلغ من هيجه مبلغاً أفضى فيه إلى التلف، وانتقم منه أضعاف ما سلف، إلا أنه سلم على لوح من ألواح [٣٩٢] المركب، وقد ظن أن روحه فيما ينكب، فخرج إلى مصر ثم أتى إلى الشام والعراق، وورد ما راق، ورد ما طلبته ما تضيق به الأوراق.

ومن مشاهير أصواته[٢]: [الطويل]

إذا حضرت من ذكر بثنة حضرة ... عصتني شئون العين فانهل ماؤها[٣]

فإن لم أزرها عادني الشوق والهوى ... وإن زرتها شفَّ الفؤاد لقاؤها

وإن قلت أسلوها تعرض طيفها ... وعاود قلبي من بثينة داؤها

وكيف بنفس أنت هيجت سقمها ... ويمنع منها يا بثين شفاؤها

لقد كنت أرجو أن تجود بنائل ... فأخلف نفسي في الوعود رجاؤها

إذا قلت قد جادت لنا بنوالها ... أبت ثم قالت خطة لا أشاؤها!

والشعر لجميل والغناء فيه، وهذا الصوت من قصيدة من الغُرّ منها هذا:

أعاذلتي فيها لك الويل فاقصري ... من اللوم عني اليوم أنت فداؤها

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما أطلعنا عليه من مصادر.

(٢) جميل بثينة، الديوان: ١٨.

(٣) الديوان: إذا خطرت... خطره

إذا قعدت في البيت يشرق بيتها وإن برزت يزداد حسناً فناؤها
قطوف ألوف للحجال يزينها مع الدل منها جسمها وحياؤها
فهذا ثنائي إن نأت وإذا دنت فكيف علينا ليت شعري ثناؤها

ومنهم:

١٠٧ ـ سَعْدُ المجُذَّع(١)

مولى أم سليمان بن الحكم، ذكَرٌ غَلَبَ عليه التَّخْنِيثُ، ورجل شارك النساء في التأنيث، وكان جدَّ خبيث، ومجد سُرَى حثيث، إلا أنه لا يسري إلى إلى حان، ولا يسير إلا بحذاء ألحان، قَبُحَ عند الامتحان، ونقص عند الرجحان، وكان لا يرى إلَّا عقير عقار، أو عقيب خمار، أو في نادى نسوة، أو جاعلاً نفسه لهن أسوة، يَغُلُّ بالخضاب يده، ويلغف بالسواد حاجبيه، ويلبس فاخر الثياب على خزى يحسده، ويقلب عنقه بالعقود، ليته بالسيوف قلده، وكان مع هذا الدُّبُر الذي فنيت فيه الزُّبُر، وقدّ به قميصه من دُبُر، زنَّام زمر [٣٩٣] وإمام غناء مشتبه الأمر، ومنبع طرب يسكر مثل ابنة الأعناب، ومنبت عيدان يا قُبُحَ ما تجني جناة الحسن من عناب.

ومن أصواته(٢): [الخفيف]

أقفرت بعد عبد شمس كداء فكُدَيّ فالركن فالبطحاء
فمنى فالجمار من عبد شمس مقفرات فبلدع فحراء
قد أراهم وفي المواكب إذ يغـ ـدون حلو نائل وبهاء
وحسان مثل الدمى عَبْشميّا ت عليهن بهجة وحياء
حبذا أنت حين قومي جميع لم تفرق أمورها الأهواء
قبل أن تطمع القبائل في ملـ ـك قريش ويشمت الأعداء

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما أطلعنا عليه من مصادر.
(٢) عبيد الله بن قيس الرقيات، الديوان: ٨٧.

والشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات، والغناء فيه من خفيف الرمل، وهذه الأبيات من قصيدة غراء منها:

أيها المشتهي فناء قريش … بيد الله عمرها والفناء
إن تودع من البلاد قريش … لا يكن بعدهم لحي بقاء
أو تقفى وتترك الناس صاروا … غنم الذئب غاب عنها الرعاء
هل ترى من خلدٍ غير أن الله … يبقى وتذهب الأشياء
يأمل الناس في غد رغب الدهـ … ـر ألا في غد يكون القضاء
فرضينا فمت بدائك عنا … لا تميتن غيرك الأدواء
لو بكت هذه السماء على حيـ … ـي كريم بكت علينا السماء

قلت: وفي هذه القصدية ذِكْرُ حَمْزَةَ وعلِيٍّ وجعفر والزبير وابن الزبير رضي الله عنهم، ومن العجب أن يغني شاعر بني أمية في شعر فيه ذكر هؤلاء، وإن لم يأت في الصوت[1].

ومنهم:

١٠٨ - رداح[2] جَارِيَة عَبْد الرَّحْمَن[3] [٤٩٤]

المستظهر، وكانت أيُّ هيفاء دراح، وسمراء تنتضي من جفونها السود بيض الصفاح، ذات جمالٍ بغيرُ البدر إن سفرت، ودلال يغيرُ الغصنُ إن خطرت، وغنج يعيد سحر بابل إن نظرت، هذا إلى نَغَمٍ يُعَلِّمُ الحمائم في الأراك، ويوقع العشاق في الأشراك، ويفعل فعل البابلي، ويغسل حتى قلب الخلي، ويغلُّ النار في الجوانج، ويشعر طرفها

(١) استغراب العمري في غير مكانه، فابن قيس الرقيات قرشي، وهو شاعر مصعب بن الزبير قبل بني أمية ثم هو يتحدث عن زمانه وقد طمعت القبائل العربية في الخلافة وانتزاعها من قريش، أثناء فتنة عبد الله بن الزبير.
(٢) الأصل: دارح والمثبت من بقية الترجمة.
(٣) لم نجد لها ترجمة فيما أطلعنا عليه من مصادر.

الكاسر بأن الظباء تصيد الجوارح. قيل إنَّهُ كان يقال إنها بدعة القيان، وإنها بهذا كانت تُدْعى، ويُحْكَى عنها لطائف وظرائف، ولها شعر ليس بطائل، ولها أعمال صنيعة، وأصوات بديعة، فمنها هذا[١]: [الطويل]

أتعرف رسماً كاطِّرد المذاهب ... لعمرة وحشاً غير موقوف راكبِ[٢]
ديار التي كادت ونحن على مِنىً ... تحلُّ بنا لولا نجاءُ الركائبِ
تبدت لنا كالشمس تحت غمامة ... بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجبِ
ولم أرها إلَّا ثلاثاً على منى ... وعهدي بها عذراء ذاتَ ذوائبِ

والشعر لقيس بن الخطيم، والغناء فيها، ومن هذه القصيدة:

فلما رأيتُ الحرب حرباً تجددت ... لبست مع البردين ثوب المحاربِ
رجالٌ متى يدعوا إلى الموت يُرقِلوا ... إليه كإرقال الجمال المصاعبِ
إذا فزعوا مَدُّوا إلى الليل صارخاً ... كموج الأتي المزبد المتراكب
صبحناهم الآطام حول مزاحمٍ ... قوانس أولى بيضها كالكواكب[٣]
إذا ما فررنا كان أسوا فرارنا ... صدود الخدود وازورار المناكب[٤]
إذا قصرت أسيافنا كان وصلنا ... إلى نسب من جذع غسان ثاقب[٥]
صبحناهم شهباء يَبْرقُ بيضها ... تبين خلاخيل النساء الهوارب[٦]
فأبنا إلى أبياتنا ونسائنا ... وما من تركنا في بعاث بآيبِ[٧]

وحُكِيَ أن عبد الرحمن [٣٩٥] عزم على التفسُّحِ في بعض الظواهر مدة يقيم بها

---

(١) قيس بن الخطيم، الديوان: ٧٦.
(٢) الديوان: غير موقف راكب.
(٣) الديوان: صبحنا بها... بيضنا كالكواكب.
(٤) الأصل: أسوء فارنا والمثبت في الديوان.
(٥) الديوان: كان وصلها. خطنا إلى أعدئنا فنصارب.
(٦) الأصل: تبين مفاخيل، والمثبت من الديوان.
(٧) الديوان: إلى أبنائنا ونسائنا.

في مضارب نصبت له على نهر يروق انحداره، وربيع بقَلَ في وجنة الروض عذاره، وكان الشتاء قد كلح، وساء به مزاج الزمان ثم صلح، فلما عزم على الخروج أتينا جواريه لوداعه، ورداح بينهم قد اغرورقت مقلتها بالمدامع، وقطعت لديها أعناق المطامع، فوقفت وقفة المتعني، ثم اندفعت في صوت صنعته تغني: [البسيط]

شط المزار بحدوى وانتهى الأمل ... فلا خيال ولا عهد ولا طلل
إلا رجاء فما ندري أندركه ... أم يستمر فيأتي دونه الأجل

والشعر لعمرو بن أحمر الباهلي[١]، والغناء فيه من الهزج، ثم اتبعته بصوت آخر صنعته: [الطويل]

إذا ما كَتَمْنا الحب نمّت عيوننا ... علينا وأبدته العيون السواكب
وإن نحن أخفينا ضمائر حبنا ... أشارت بتسليم علينا الحواجب

والشعر فيه مجهول، فبكى عبد الرحمن لبكائها، وطفق يضمها إليه، ثم أقبل على جواريه فقال: هل كان فيكن واحدة فعلت مثل فعلها، ثم أمر بأن تخرج معه فأبت، فقالت: والله لاخرجت إلا أنا وصويحباتي، قال: فليخرجن، ثم خرجن معه، فلم يكن أحسن من ذلك المربع، ولا من أيام مضين فيه.

وحُكِيَ أن عبد الرحمن نظر إلى جارية عند بعض نساءه الحرائر فأحبها، وفطنت الحرة لذلك، فحجبت الجارية عن نظره، وطالت مدة حجابها، وزيادة ما يجده من الجوى بها، ونُمي الخبر في جواريه، واستفاض حال غرامه بها وعدم قراره لأجلها، فصنعت رداح صوتاً وجودته ثم دخلت عليه وهي تغني به، والصوت[٢]: [الطويل]

تمسك بحب الأخيلية واطرح ... عدا الناس فيها والوشاة الأدانيا[٣]
فإن يمنعوا ليلى وحسن حديثها ... فلم يمنعوا مني البكا والقوافيا[٤]

---

(١) الأصل: لعمر بن أحمد الباهي والصواب ما اثبت.
(٢) توبه بن حمير، الديوان: ٥١.
(٣) الديوان: تمسك بحبل.
(٤) الديوان: فإن تمتعوا... فلن تمنعوا.

يلومك فيها اللائمون فصاحةً   فليت الهوى باللائمين مكانيا[1]
لَوَ أن الهوى في حب ليلى أطاعني   أطعت ولكن الهوى قد عصانيا[2]

[٣٩٦] والشعر لتوبة بن الحُميّر، والغناء فيه كان في مذهب شيخي، لم يتمالك معه عبد الرحمن أن فاضت عينه بالبكاء، وقال: ما الحيلة يا رداح؟ قالت: عزيمة مثلك، قال: هيهات أن تنفع العزيمة، ولكن قد يجيء في أحداث الدهر مالا يتوقعه المنتظر، فنقل المجلس إلى تلك الحرة، فقالت: هو ولي النعمة وأنا أمته والجارية أحداث الدهر، قالت: فأَحْمُدُ الله يا أمير المؤمنين، فَخَرَّ ساجداً ثم نهض حتى دخل على الحرة فشكر لها، ثم ضم الجارية إلية وأسنى جاريته رداح، وتماثل حاله، وكان قد يئس من الصلاح.

ومنهم:

١٠٩ ـ خُلَيْد مَوْلَى الأدَارِسَة[3]

ومحيي تلك الأطلال الدراسة، كان يحيى به كُلُّ أرض يحلها، وتهتز أذن كل سامع تطلُّها، أكثر إحياء لها مدِّ الثرى من المطر، وأهزَّ للقدود من كل رديني أتى طرَّ بعض أعاديه، فَحَمِيَتْ حماليقُهُ بنار الغضب، وأخذ من العود ثم ضرب به خلاف ما ضرب، وأصاب به عينه فأساء فيها الآثر، ونكت بها نكته، على أن العود الضارب فيها عثر ثم أقبل عليه بالرضى واعتذر، وآنسه أنساً أزال عنه الحذر، ثم أولى إليه الجوائز، ونبَّه له الحسد حتى من أهل الجنائز، فكان لا يرى ذلك العمى في عينه إلا كالحور، ولا يزال نظراؤه تضعف أيديهم عن جسِّ العود الخور، وحسدته الناظرة سحراً إليه كالحول، ويقول: من للحول بالعور، وكان على عوره بصيراً بالصنعة، مطلا للدمع الذي لا يقال له صرعة.

ومن أصواته[4]: [الوافر]

ألم ترها تريك غداة بانت   بملء العين من كرم وحسنِ

---

(١) الديوان: اللائمون نصاحة.

(٢) الديوان: الهوى عن حب ليلى.

(٣) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

(٤) النمر بن تولب، شعره (ضمن شعراء إسلاميون): ٣٩٠.

فأعطت كلما سئلت شباباً | فأنبتها نباتاً غير حجنِ
فقلت وكيف صادتني سليمى | ولما أرمها حتى رمتني
ألا يا ليتني حجر بواد | أنام وليت أمي لم تلدني

[٣٩٧] والشعر للنمر بن تولب، والغناء فيه في سادس الهزج، وكذلك صوته في شعر الكميت بن زيد[١]، ودست عليه الشيعة الأموية من قتله لأجل تغنيه[٢] به، وهو هذا[٣]: [الطويل]

ألم ترني من حب آل محمد | أروح وأغدو خائفاً أترقبُ
على أي جرم أم بأية سيرة | أعنف في تقريظهم وأكذب
أناس بهم عزت قريش فأصبحوا | وفيهم بناء المكرمات المطيب
وهم رئموها غير ظأر وأسلبوا | عليها بأطراف القنا وتجلببوا
فإن هي لم تصلح لحي سواهم | فإن ذوي القربى أحق وأقرب
وإلا فقولوا غيرها تتعرفوا | نواصيها تردى بنا وهي شُزَّب

والغناء فيه ثقيل الرمل، وكان يتغنى به أيام استظهار الأدارسة فأصبح قتيلاً على باب داره.

١١٠ ـ سُعْدى جَارِيَة المُعْتَمِد بن عَبَّاد[٤]

وكانت جارية يسعد بها ضجيعها، وينعم ولو ورد مدامعه نجيعها، فاتنة الطرف كأنها مهاة، أو أمنية مشتهاة، لو تجلت لمحيي البدر سافرة لتبرقع أو لمرأى الشمس لأمتع، لو طرقت جريراً لما قال ارجعي بسلام أو لاقت جميلاً لما قنع بالكلام، أو كانت في عصمة ابن ذريح لما أَطَاعَ فيها أباه، أو لاحت لابن الملوح لنسي ليلى حتى إنها لم

(١) الأصل: بريه، والصواب ما اثبتناه.
(٢) الأصل: أن يغينه، والصوات ما اثبتناه.
(٣) الكميت، شعره: ١٨٨/٣.
(٤) لم نجد لها ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

تمثل بكل سبيل إليه، زادت ملك ابن عباد حسناً، وطلعت في سمائه القمراء وأسنى.

ولها أصوات بها تغني، فمنها[1]: [البسيطي]

لولا عيون من الواشين ترمقني ... وما أحاذر من قول حراسي
لزرتكم لا أكافيكم بجفوتكم ... مشياً على الوجه أو سعياً على الرأس

والشعر للمعتمد، والغناء فيه.

وحُكِيَ أن المعتمد عزم على إخراج حظاياه من بلد إلى آخر، فخرجن في أول الليل كأنهن النجوم الطوالع، وخرج [٣٩٨] يشيعهن وقلبه لأوامر صبره غير طائع، فسايرهن ليلة كلها حتى قوض بناء الليل، وأقبل الصباح في كتيبته الشهباء مَبْثُوث الحيل، فرجع وقد صدعت أحشاؤه مغارب تلك النجوم، وأغرت مقلته سحائب تلك الدموع السجوم، فقال: [الكامل]

سايرتهم والليل غفل ثوبه ... حتى تبدى للنواظر مكلّما
فوقفت ثم مُوَدّعاً وتسلمت ... مني به الأصباح تلك الأنجما[2]

ثم بعث بها إلى سعدى وأمرها أن تغني فيها صوتاً، فغنت فيه.

ومن أصوات سعدى المشهور لها[3]:[السريع]

إن الذي هامت به النفس ... عاودها من سقمها نكسُ[4]
كانت إذا ما جاءها المبتلى ... أبرأه من كفها اللمس
وابأبي الوجه الجميل الذي ... قد حسدته الجن والإنس
إن تكن الحمى أضرت به ... فربما تنكسف الشمس

والشعر للعباس بن الأحنف، واقترحه المعتمد عليها.

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢٦/٥ والشعر للمعتمد بن عباد.
(٢) الأصل: فقوقف، والصواب ما اثبت.
(٣) العباس بن الأحنف، الديوان: ١٦٠.
(٤) الديوان: أن التي هامت بها.

وقد دخل على جارية له، رآها مدنفة مصفرة لتوالي الحمى، قد امتقع بالصفرة بياض صفحتها، وردّى الغيار محاسن لمحتها، فبرزت كالشمس في الكسوف، والقمر في الخسوف، ولوحه هجير الحمى، ثم فارقها ووجهها كأنه الدينار المشوف، وكان المعتمد لا يزال على جواريه يقترح، ولأزندة خواطرهن يقتدح.

ومنهم:

١١١ - مَيْمُون الجَوْهَري[١]

وهو ممن جهر به النداء، وجأر بتفضيله الأعداء، لاذ ببني جهور حتى نسب إلى ولائهم، وحسب واحداً منهم لما غمر من آلائهم، وكان نديماً لا يمل لـه محاضرة، ولا تفي الرويات المعدة بأجوبته الحاضرة، وكان الغناء أغلب فنونه عليه، وعيونه التي لا تحصى ما ينظر منها لديه، وداخل بها رؤساء الأندلس وكبراءه، وداني علماءه ووزراءه، وأمر أمره [٣٩٩] فعلا قدره وجالس أمراءه، وكان مما جرى الفأل بتسميته ميمون النقيبة ممنون الرغيبة، ما خالل أحداً إلا سمق، ولا خالط إلا من ظن أنه من السماء وإن رمق.

وله صنعة في أصوات، منها[٢]: [الطويل]

وجفن سلاح قد رزيت فلم أمت ... عليه ولم أبعث إليه البواكيا
وفي جَوْفِهِ مِنْ دارمٍ ذو حَفِيْظةٍ ... لَوَ أنَّ المنَايَا أنسَأتهُ ليَالِيَا

والشعر للفرزدق، والغناء فيه في ثقيل الرمل.

وكذلك صوته[٣]: [المنسرح]

يا ليلة بت في دياجيها ... أسقى من الراح صفو صافيها
ما أن تشاء العين أن ترى حسناً ... إلا رأته في وجه ساقيها

---

(١) لم نجد لها ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.
(٢) الشعر لم يرد في ديوان الفرزدق المطبوع.
(٣) أبو نواس، الديوان: ١٩١.

وصيفة للغلام تصلح لـلأ ... مرين كالغصن [في] تثنيها[1]
فير قرطن زانه تحرسها ... قد عقربت صدغها مداريها

والشعر لأبي نواس، والغناء فيه في الهزج.

ومنهم:

١١٢ ـ طَرِيْفُ بنُ عَبْدِ الله السَّمِيْع القَابسيّ[2]

وكان مغني أهل بادية، ومطرب حي أسْمَعَ صوته كل عادية، أول ما الف ما عهده حيث تنصب الخيام، ويَنصَّب عليه الحيام، ثم دخل مدن[3] إفريقية، وقد وافاها أقوام مصر، كان فيهم من تلبس بالغناء، كان ترفع به عقيرته، وتجل به حقيرته، فانحاز إلى فئتهم، ودخل بينهم مثل هيئتهم، فأصغى إليهم بسمعيه، ودخل غناءهم دبر أذنيه، فانثنى إليهم ناسياً ما كان تعلم، سالباً سواه وإن يتم، وأسف على زمنه الذاهب، وجهل كل طريق إلا تلك المذاهب، فأعمل الرحلة إلى مصر، وماله رفيق إلا ظله، ولا له طريق إلا حيث قذف به جهله، وأتى مصر وبها ذَماءٌ من أهل هذا الشأن تخلفوا على حفر اللحود، وسلالة مَصَّ منهم الثرى بقية الماء من العود، إلا أنهم فاتوا أهل كل إجادة، فعاد عنهم موفوراً، ورجع وقد جمع عطاء موفوراً [٤٠٠]

ومن أصواته: [الطويل]

ونحن بطحنا يوم ألف فلم تعد ... سليم بن منصور بشهباء فيلق
غداة أسرنا في الجبال ملوكهم ... غناة بني الصباح وابن المحلق
صبحناهم والشمس خضراء غضة ... بذات اللظى حد السنان المخرق
غداة ابتقرنا بالسيوف أجنة ... من الحرب في منتوجة لم تطوق

والشعر لمليح بن الحكم الهذلي، والغناء فيه.

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من الديوان.
(٢) لم نجد له ترجمة في ما أطلعنا عليه من مصادر.
(٣) الأصل: مدون، والصواب ما أثبت.

ورُوِي له صوت آخر، وهو هذا[1]: [المنسرح]

ماضرَّ جيراننا إذا انتجعوا ... لو أنهم قبل بينهم ربعوا
أن لُبيني قد ضرّ أقربها ... ولو أرادوا أن ينفعوا نفعوا
هم باعدوا بالذي كلفت به ... أليس بالله بئس ما صنعوا
بانوا فقد فجعوا لبينهم ... ولم يبالوا بحزن من فجعوا

والشعر للأحوص بن محمد، والغناء فيه.

وكذلك صوته: [الطويل]

تلومينني في طارق بعد هجعة ... تجيء به دامي الأظل طليح
تنكل ثوب الليل عنه كأنه ... من الضر من كلتا يديه جريح
فإن كنت قد أنكرت يوماً خلائقي ... فإن اجتماعاً بعده لقبيح

والشعر لأعرابي مجهول، والغناء فيه في ثقيل الرمل.

ومنهم:

١١٣ ـ زَيْد الغِنَاء بن المُعَلَّي بن عبد العظيم[2]

روح غناء، ودرج اجتناء، وبوح اجتلاء، عرف بالغناء حتى أضيف إليه، وأفيض تعريفاً عليه، ودعي به بين ندمائه، ثم أطلق عليه فكان أشهر أسمائه، وكان إذا غنى أوقف الطير، وعقل المنطلق على السير، فرغ لها باله، وهيج بلباله، حتى أتقنه إتقاناً صار به علمه عنده مستقراً، وعمله عليه مستمراً، وعمل فيه أعمالاً نقلت، وأطلقت يده التي على العود عقلت [٤٠١].

وحُكِيَ أنه حج وأتى منى فوقف عند جمرة العقبة، وقد كظَّ المُحصَبّ، وبان البنان العاطل و المخضَّب، وقد شغل الأيدي حصى الجمار، وملأ العيون سنا الأقمار،

(١) الأحوص الانصارى، الديوان: ١٧٨.

(٢) لم نجد لها ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

ثم اندفع يغني فانصرف إليه كل نظر، وبقي دأب كل من حضر، فلما فرغ من صوته عاد إلى رمي الحصاب، وعرف العاطل من ذات الخضاب.

ومن أصواته[1]: [الطويل]

خصيم الليالي والغواني مظلم ... وعهدي والغواني مذمم
رأيت سواد الرأس واللهو تحته ... كليل وحلم بات رائيه ينعم
وصفراء بكر لاقذاها مغيب ... ولا سر من حلت حشاه مكتم
هي الورس في بيض الكؤوس فإن بدت ... لعينيك في بيض الوجوه فعندم
سقتني بها بيضاء فوها وكأسها ... شبيهها مذاق عند من يتطعم
من الهيف لو شاءت لقامت بكأسها ... وخاتمها في خصرها يتختم

والشعر لابن الرومي، والغناء فيه.

وجملة هذه القصية التي منها الصوت جميلة، منها في المدح:

بنو مصعب فينا سماء رفيعة ... لها درر ليست يد الدهر تعدم
سماء أظلت كل شيء وأعلمت ... سحائب شتى صوبها المال والدم
ليمد حكم من شاء جهد مديحه ... فللشعر فيه بعده متردم
أناس إذا دهر تبسم مرة ... فعنهم وعن آياته تتبسم
يرى أبداً فيهم جواد معدل ... وليس يرى فيهم بخيل ملوم
ولم أر مالاً حازه مثل عزمهم ... يروح ويغدو وهو نهب مقسم
تحكم في أموالهم من أطاعهم ... وأسيافهم فيمن عصا تتحكم
نجوم الدجى منها شهاب على العدا ... ومنها سماك للعفاة ومرزم
أعمهم مدحاً وأختص منهم ... اخاهم عبيد الله والحق يلزم[2]

---

(١) ابن الرومي، الديوان: ٣/٢٠٧.

(٢) هذا البيت وما تلاه في الديوان من هذه المقطوعة فقط.

[٤٠٢] يُعَدُّ إذا عُدَّ الملوك مُبدّأ ... كما عُدّ رأساً للشهور المحرم
فتى ليس من يوم يمر ولا يرى ... لنعماه فيها أو لبؤساه أنعم
تمر العطايا والمنايا لأهلها ... على هيبة منه ولا يتندم
فتى عزمه سيف حسام وسيفه ... قضاء إذا لاقى الضريبة مبرم
يباشر أطراف القنا وهو حاسر ... ويلقى لسان الذم وهو مُلأمُ
هو الغرة البيضاء من آل مصعب ... وهم بعده التحجيل والناس أدهم

ومنهم:

١١٤ ـ جَارِيَة تَميْم(١)

جد المُعزُّ بن باديس، جارية طار بلبها الهوى، وطاف بقلبها الجوى، ورمى بها الأغراب مراميه، وأطال بها النوى لياليه، حتى سارت بتشتيت الفراق، وصارت إلى المغرب من العراق، ثم كانت لا تزال تتذكر نادي ذلك الفريق، وتنادي بلسان عرائها نار ذلك الحريق، وتتلفت إلى العراق، وظل ريفه الظليل، ومبسم مرآه الجميل وظبائه الجآذر، ولها بينهم مقيل فنان حسرة بين عوادها، وتبكي وإنما بدلت قطعة من فؤادها، إلى أن عادت بلطيف الحيلة، إلى أكناف تلك الخميلة، فذهب بحق صبابتها باطلة، والتقى كل ذي دين ومَاطِله.

وحُكي أن أبا الحسين ابن الأشكري المصري قال: كنت رجلاً من جُلاسِ الأمير تميم بن أبي تميم وممن يخف عليه، فأرسل إلى بغداد فابتيعت له جارية فائقة رائقة الغناء، فلما وصلت إليه، دعا جلساءه، قال: وكنت فيهم ثم مُدَّتِ السِّتارةُ وأمرها بالغناء، فغنت: [الكامل]

وبدا له من بعدما اندمل الهوى ... برق تألف موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذرى متمنع أركانه
فمضى لينظر كيف لاح فلم يطق ... نظراً إليه وصده أشجانه

---

(١) لم نجد لها ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سمحت به أجفانه

[٤٠٣] قال: فطرب الأمير تميم ومن حضر طرباً شديداً، قال ثم غنيت: [البسيط]

أسْتَوْدِعُ الله في بغدادَ لي قَمَراً بالْكرخِ من فَلَكِ الأزرارِ مَطْلَعُهُ

وهذا لمحمد بن زريق الكاتب. فاشتد طرب تميم وأفرط جداً، ثم قال لها: تمني ما شئت، فقالت: أتمنى عافية الأمير وسلامته، فقال: والله لا بد أن تتمني، [فقالت](١): على الوفاء أيها الأمير؟ فقال: نعم، فقالت: أتمنى أن أغني بهذه النوبة بغداد، فامتقع لونه وتغير وجه وتكدر المجلس، وقام وقمنا.

قال ابن الأشكري: فلقيني بعض الخدم، وقال لي: ارجع فالأمير يدعوك، فرجعت فوجدته جالساً ينتظرني، فَسَلَّمتُ عليه وقمت بين يديه، فقالك ويحك أرأيت ما امتحنّا به؟ فقلت: نعم أيها الأمير، فقال: لا بد من الوفاء لها، ولا أثق في هذا بغيرك، فتأهب لتحملها إلى بغداد، فإذا غَنَّتْ هناك فاصرفها، فقلت: سمعاً وطاعة، قال: ثم قمت، وتأهبت، وأمرها بالتأهب وأصحبها جارية سوداء له تعادلها وتخدمها، وأمر بناقة ومحمل أدخلت فيه، وجعلها معي، وصرت إلى مكة مع القافلة، فقضينا حجنا، ثم دخلنا قافلة العراق، فلما وردنا القادسية أتتني السوداء عنها فقالت: تقول لك ستي، أين نحن؟ فقلت لها: نزول بالقادسية، فانصرفت إليها فأخبرتها، فلم أنشب أن سمعت صوتاً قد ارتفع بالغناء منها، وغنت: [مجزوء الكامل]

لما وردنا القادسيـ ـة حيث مجتمع الرفاق
وشممت من أرض الحجا ز نسيم أنفاس العراق
أيقنت لي ولمن أحبْ بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقا ء كما بكيت من الفراق
لم يبق لي إلا تجشم هذه السبع الطباق
حتى يطول حديثنا بصفات ما كنا نلاقي

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة يقتيضها السياق.

قال: فتصايح الناس من أقطار القافلة: أعيدي بالله أعيدي، قال: فما سمع لها كلمة. [٤٠٤]

قال: ثم نزلنا الياسرية، وبينها وبين بغداد نحو خمسة أميال في بساتين متصلة، ينزل بها الناس فيبيتون ليلتهم ثم يبكرون لدخول بغداد، فلما كان وقت الصباح، إذا بالسوداء قد أتتني مذعورة، فقلت: ما لك؟ فقالت: إن سيدتي ليست بحاضرة، فقلت: ويلك! وأين هي؟ فقالت: والله ما أدري، قال: فلم أحس لها أثراً بعد تلك، ودخلت بغداد، وقضيت حوائجي بها وانصرفت إلى الأمير تميم، فأخبرته خبرها، فعظم ذلك عليه، واغتم له غماً شديداً، ثم لم يزل ذاكراً لها، آسفا عليها.

ومن أصواتها هذا[1]: [مجزوء الكامل]

يا أيها الساقي الهوى ... ضجراً بأن صد الحبيب
اسمع فإني قائل ... قوفاً سيعرفه اللبيب
الحب داء ما يلين ... بمثله حرقته القلوب
والحبُّ ليس له سوَى ... مَنْ قد كَلِفْتُ به طبيبُ

والشعر لأبي نواس، والغناء فيه في الطريقة الرابعة من الهزج.

ومن أصواتها: [الطويل]

تذكرت ريا وانبرى لك حبها ... ومن دونها الأعداء خزر عيونها
وحنت قلوصي آخر الليل حنةً ... فيا روعة ما راع قلبي حنيها
حنت في عقاليها وشامت عيونها ... سنا البرق علوياً فجن جنونها
فقلت لها حنى فكل قرينة ... مفارقها لا بد يوماً قرينها

والشعر للصمة بن عبد الله، والغناء فيه في أول الثقيل، وهذا القول من قطعة جملتها ثمانية أبيات، وتمامها:

وقلت لها حثي رويداً فإنني ... وإياك تخفي عولة سنبينها

---

(١) لم ترد الأبيات في ديوان أبي نواس المطبوع.

فما برحت حتى ارعوينا لصوتها وحتى انبرى منا معين بعينها
ظللت بها أبكي بعين حزينة مراها الهوى حتى استهلت جنونها
[٤٠٥] تعز بصبر أن تلام فإنما على النفس ما جرت وللنفس دينها

ومنهم:

١١٥ ـ الكِيْنُوا أحْمَد بنُ مُحَمَّد[1]

ابن أحمد اللخمي من أهل تونس، قال شيخنا أبو حيان: حضرت معه في بستان كان استدعاني إليه الكاتب أبو الحسن بن ديسم، وكان يحسن الضرب بالعود والغناء، وأنشدنا لنفسه هذا: [الرمل]

كل معنى من معانيه بدا لست أسلو عن هواه أبدا
مطلق الحسن خلا عن مشبه وأنا في الحب ممن قيدا
إن غيِّي في هواه رشدي وضلالي فيه لا شك هدى
شهد الكون له أجمعه لا ترى في حبه من فنّدا

وأنشدنا أيضاً مما قاله في السماع: [مجزوء البسيط]

ماذا يريد العذول مني صمّتْ عن العاذلين أذني
بمهجتي شادن ربيب يسبي البرايا بكل فن
رشا كناس قضيب آس رياش حسن هلال دجن
قلبي مقيم على هواه إن ضج أو لج في التجني
فحدثوا بالدلال عنه وحدثوا بالخضوع عني

قال: ولما توفي الدعي المسمى بالفضل ملك إفريقية، كان هذا ابن الإمام يمدحه ويهجو من عاداه، ويصرح بذلك في تونس، فلما قتل الدعي وتولى أبو حفص، قتله لما كان بلغه من ذمه وهجيه.

(١) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

ومنهم:

١١٦ - أبو عبدالله السلآلجي(١)

[من أصوته](٢): بالطويل]

تعاللت كي أشجى وما بكِ علة ... تريدين قتلي قد ظفرت بذلكِ
وقولك للعواد كيف ترونه ... فقالوا قتيلاً قلت أيسر هالك
لئن ساءني أن نلتني بمساءة ... لقد سرني أني خطرت ببالك

وهذا آخر معروف بالغناء [٤٠٦] بالجانب الغربي على ما أنفذنا فيه وسع الحيلة، وتسمحنا فيه لتكثير الفئة القليلة، وقد تكلفنا له فوق الجهد والطاقة، ودخلنا فيه من الباب والطاقة.

المغنون في مصر

فأما في مصر فإنها وإن حوت الجماهير، وجمعت المشاهير، فإن أفراد أهل الغناء بها أقل من وجود الصديق، وجود الزمان بالعيش الخالي من الترنيق، ومنهم أناس سنذكرهم ونعرفهم ولا ننكرهم.

ومنهم:

١١٧ - ناطِقَة جَاريَة الزَّاغُوني(٣)

جارية تفتك بالمهج، وتُقْبِلُ ولا إثَم عليها ولا حَرجَ، هَزَّتْ من قدها رمحاً، وسَلَّتْ من أجفانها سيفاً لا يعرف صفحاً، فملكت القلوب عنوة، وأنست الهوى المغلوب علوة، وكانت في أفق الدور الأموية شمس صباحها، وبدر صباحها، وكأس

(١) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة يقتضيها السياق والشعر لابن الدمينة.
(٣) لم نجد لها ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

شمولها، وقصارى مأمولها، إلى أن غلبت الأهواء، وأعلت وأغلت الدواء، وأضحت تجاوب في قتل أهل الغرام بها عوداً إلى أن ينطلق له لسان، ولا يسفك بمثل إشارته دم إنسان، وكانت أيام الإخشيد تغشى مجلس ابن الفرات، وتحاور منه في جانب النيل الفرات، وكان يصلها بالمواهب، ويقدمها على كل مواظب، ثم قطعها أيام المعز، وكان لها لا يُبَزُّ.

ومن أصواتها المشهورة(١): [الطويل]

إذا كنت ذا نفس جواد ضميرها ... فليس يضير الجود إن كنت معدما
رآني بعين الجود فانتهز الذي ... أردت ولم أفغر إليه بها فما
ظلمتك إن لم أجزك الشكر بعدما ... جعلت إلى شكري نوالك سلما
وإنك لم تترك يداك ذخيرة ... لغيرك من شكري ولا متلوما

والشعر لمسلم بن الوليد، والغناء فيه في مزموم الرمل.

ومنهم:

١١٨ ـ بَدِيُع جَارِيَةُ المحَلمي(٢)

وكانت جارية سمراء تحكي الأسمر البرني قَدًّا كانه أنبوب، والأبيض الأيزني طرفاً [٤٠٧] تقدُّ به القلوب، كأنما خلقت من ليل كله سحر، وسواد طرفٍ ملؤه حور، ألذ من الظل للمحرور، وأحسن من اختلاط مسك وكافور، وكان سيدها قد أخذها بالتأديب، واقتنصها من البر اقتناص الظبي الربيب، واشتراها صغيرة من مولدات الصعيد، وحظي بها إنه لسعيد، ولقيت أهل التعليم، وبقيت تفهم بالإيماء فهم التكليم، حتى كانت إذا نطقت أذابت صبر الجليد، وألانت قلب الجلمد والحديد.

ومن أصواتها المشهورة(٣): [الرمل]

---

(١) مسلم بن الوليد، الديوان: ٢٦٩.
(٢) لم نجد لها ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.
(٣) ابن الرومي، الديوان: ٢/١٤٤.

بدل الطرف من النوم السهر | حين صد الظبي عني وهجر
رشأ أودع قلبي حسرة | وحمى عيني من الدمع النظر
وله ثغر شتيت نبته | وبعينيه من السقم حور
بأبي ذاك حبيباً هاجراً | لم يدع في الحب عن مصطبر

والشعر لابن الرومي، والغناء فيه في مزموم الرمل.

وكذلك من أصواتها[1]: [الكامل]

بان الخليط وفاتني برحيله | خود إذا ذكرت لقلبك بشغف
تجلو بمسواك الأراك منصباً | عذباً إذا ضحكت تهلل ينطف
وكأن ريقيها على علل الكرى | عسل يصفى في القلال وقرقف
وإذا تنوء إلى القيام تدافعت | مثل النزيف ينوء ثُمت يضعف

والشعر لأعشى همدان، والغناء فيه في ثاني ثقيل.

ومنهم:

١١٩ ـ صافِيةُ جَاريةُ بَدْرٍ أمير الجيُوش[2]

وكانت شمساً لا تصلح إلا لبدر، وقلباً لا يضم إلى كل صدر، لا تطرف له عنها عين غافية، ولا تكدر له في النطف صافية، وكانت تزري بالقضيب، وتسبي بالبنان الخضيب، وتسفه رأي الملك الضليل، إذا قال: (أفاطِمُ مَهْلاً بعضَ هَذَا التدلُّل)، والصادق الحب جميل إذا شكا من حب بثينة التململ لا يعلق له بغيرها أمل، ولا يرى إلا أنه بها قد تم تمامه وكمل، لا تلائم جنبه إذا فقدها المضاجع، ولا [٤٠٨] إذا وجدها قال جفنه للنوم: متى أنت راجع، وكانت قمرية مجلسه، وأيكة دوحه النابت في مغرسه، ولها أصوات في أشعار مختارة، وكانت لاتميل إلا إلى هذا ومثله، ولا تعجب إلا به وبشبهه.

---

(١) أعشى همدان، الصبح المنير: ٣٣٤.

(٢) لم نجد لها ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

ومن أصواتها المشهورة[1]: [الطويل]

وإن دماً لا تعلمين جنيته ... على الحي جاني مثله غير سالم
ولكن لعمر الله ما طل مسلماً ... كغر الثنايا واضحات الملاغم
رمين فأقصدن القلوب ولم نجد ... دماً مائراً إلا جوى في الحيازم
وخَبَّرَكِ الواشُونَ أنْ لا أحبكم ... بَلَى وسُتُورِ الله ذاتِ المحارِمِ

والشعر لأبي حية النميري، والغناء فيه في ثاني الرمل، ولها أصوات في شعر الصمة بن عبد الله، كان يقترح عليها، فمنها هذا[2]: [الطويل]

لعمري لئن كنتم على النأي والقلى ... بكم مثل ما بي إنكم لصديقُ
إذا زفراتُ الحبِّ صَعَّدن في الحَشَى ... رُدِدن ولم تُنْهَج لهنَّ طريقُ

ومنها أيضاً[3]: [الطويل]

إذا ما أتتنا الريح من نحو ارضها ... أتتنا برياها وطاب هبوبها
أتتنا بريح المسك خالطَ عنبراً ... وريح خُزَامى باكرتها جنوبها

ومنها أيضاً: [الطويل]

نظرت وطرف العين يتبع الهوى ... بشرقي بصرى نظرة المتطاول
لأبصر ناراً أوقدت بعد هجعةٍ ... لريا بذات الرمث من بطن حائل

ومنها أيضاً: [الطويل]

خليلي قوماً فاشرقا القصر فانظرا ... بأعياننا هل يؤنسان به الرندا
فإني لأخشى أن علوناه علوة ... ويشرق أن يزداد ويحكما وجدا
نظرت وأصحابي ندورة نظرة ... فلو لم تفض عيناي أبصرتا نجدا

---

(١) أبو حية النميري، شعره: ٨٦.
(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٦/٢٩٢.
(٣) الأصفهاني، الأغاني: ٦/٢٩٢.

[٤٠٩] إذا مر ركب يصعدون ظننتني مع الرائحين المصعدين لهم عبدا
وكلها في أزمان

ومنهم:

١٢٠ - عَيْنَاء جَارِيةُ بَدْرِ أمِيْرِ الجُيُوش[١]

وكانت جارية جائرة، فاتنة فاترة، تتلفت تلفت الريم، وتسفر إسفار الصباح في الليل البهيم، بمحيا لو غاب البدر ثم أسْفَرَتْ أطْلَعَتْهُ، وعيون لو نظرت إلى سرب المها صَرَعَتْهُ، مع إحسان في كل ضرب، وأجفان تقيم كل حرب، وظرف ما كان مثله لعريب جارية المأمون، ولا لبدعة وهي التي مثلها في الدينا لا يكون، وكان بدر يرى أنها شمس نهاره، وأسنى أقماره.

ولها عدة أصوات مشهورة، فمنها هذا[٢]: [الطويل]

وهل خلة معسولة الطعم تجتنى من البيض إلا حيث واش يكيدها
مع الواصل الواشي وهل تجتني يد جنى النحل إلا حيث نحل يذودها

والشعر لابن الرومي، والغناء فيه في الثقيل.

ولها صوت في شعر الصمة بن عبد الله: [الطويل]

أمارد ردي منَّةَ الوصل بيننا ولا تشتمي بي الكاشحين الأعاديا
أمارد لا والله ما بي عن البكا عزاء وما فيه شفاء لما بيا

والغناء فيه رمل مزموم، ولم تقع إلينا من أصواتها سواهما.

---

(١) لم نجد لها ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.
(٢) ابن الرومي، الديوان: ٤٤١/١.

ومنهم:

١٢١ - مُغَنِّي الصَّالح بنِ رُزِّيْك[1]

وكان لا يزال يُغْشَى مجلسه، ويستدعي أُنْسَهُ، ويشغله عن كل خاطر، وكان مجيداً في علم الغناء، إذا غنّى اطَّرَحَ الوقار، ورمى الأوائل بالاحتقار، وكان يغنيه غناء عاماً، ويدنيه إدناءً تاماً، وصنع عدة أصوات في مواضع من شعره، كان يقترحها عليه ويقترحها من إضاءتيه، وكان لا يزال حباؤه متكاثراً لديه متواتراً تواتر المطر السكوب إليه.

وحُكِيَ أنه غَنَّى [٤١٠] بين يديه: [البسيط]

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إن الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ ... وهل تُطيقُ وداعاً أيُّها الرَّجُلُ

فوثب القاضي الفاضل وكان إذ ذاك يكتب للصالح، وأنشأ يقول: [البسيط]

دعوا هريرة إن حلت وإن رحلت ... فيكم تحل وعنكم ليس ترتحل
فتىً على فترة للجود عارضة ... فما رأى الناس إلا أنكم رسل
دمتم لنا وأدام الله دولتكم ... وسخرت لكم الأملاك والدول
هذا شجاع وهذي مصر في يده ... والعمر والحسن والإقبال مقتبل

فوقعت منه وممن حضر ألطف موقع، وأمرَ الُمغنِّي فصنع فيه صوتاً، وغنَّى به لوقته.

ومنهم:

١٢٢ - سُرُوْر جارِيةُ العَزِيْز[2]

وكانت لا تُعْدَلُ بها امرأةٌ، ولا تُذْكَرُ بقبيح إلا كانت عنه مبرأة، وكانت جارية لامرأة بالقاهرة، علَّمتها الخط وحفَّظتها القرآن، وعلمتها النحو واللغة والأدب، وروَّتْهَا

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

(٢) لم نجد لها ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

الأشعار، ووفَّرتها على تصفح الأخبار، وأخذتها بصناعة الغناء، حتى فاقت كل جارية كانت تسمى، ولا تماثل بها ظلوم وأمثالها إلا ظلماً، ورأها العزيز زمان أبيه فهوي بها ولم يقدر على ملك رقها خوفاً من أبيه، حتى ملك السلطنة ووليها، وكانت بينهما مدة حياة أبيه مراسلات وأشاير وعلامات وآماير.

حكي أنها أهدت إليه مرة أكرة من العنبر فيها زر من الذهب، فلم يفهم معناه، ولا كشف مُعَمّاه، فأخبر الفاضل وكان لا يكتمه من أمره حاضرة ولا غائبة، ولا آيبة ولا ذاهبة، فأنشده الفاضل: [السريع]

أهْـدَتْ لـكَ الـعْـنـبَـرَ فـي وسْـطِـهِ زرٌ مـن الـتِّـبْـر خَـفِـي الـلـحـامِ

والـتِّـبْـر فـي الـعْـنـبـرِ مـعَـنـاهُـمَـا زُرْ هـكـذا مُـخْـتَـفِـيَـاً فـي الـظَّـلامِ

وكتبت إليه مرة أخرى رقعة تعرض عليها فيها أن يشتريها، وكتبت في أولها قول [٤١١] ابن الرومي[1]: [المنسرح]

كَثِّرْ بِشَخْصِي مَن اصْطَنَعْتَ من النـ ـاس فـإن لـمْ أزنـكْ لَـمْ أشِـنِ

مـا حَـقَّ مـن لان صـدُرهُ لـكَ بـالـ ـعُود لـقـاءٌ بِـجَـانـبِ خَـشِـنِ

فلم يكن له هم إلا مشتراها أول ما ملك.

ومن أصواتها المشهورة:

ومـهـفـهـف حـلـو الـلـمـى خـنـث سـبـقـت مـحـاسـنـه إلـى الـوصـف

كـالـلـيـل قـد جـمـعـت كـواكـبـه فـي مـوضـع الـتـقـبـيـل والـرشـف

والشعر لابن الجلال المصري، والغناء فيه لها.

وحكي أن العزيز هوي عليها جارية اسمها ألوف، فتبدل بها حال سرور، وتنكرت عليها بسببها من أحوال العزيز أمور، فلما رأت ازورار جانبه وتقلص أُنْسِهِ من جوانبه، أخلدت إلى القطيعة، وعصت فيها نفسها المطيعة، فأخذته العزة حتى صار انجماعه

---

(١) ابن الرومي، الديوان: ٣/٣٨٨.

غضباً، وفتوره عنها لهباً، وهم بإخراجها من داره، فخافت بأس اقتداره، وأتت إليه قبل اقتداره، ولم تكلمه حتى ترامت على قدميه، واندفعت تغني بين يديه[1]: [البسيط]

وأنتم النخلة الطولى التي بسقت قدما وبورك منها الأصل والطرف
فإن زوى عني الجمار طلعته فلا يصبني بشوكه السعف

والشعر لابن الرومي، والغناء فيه خفيف رمل، فلم يتمالك العزيز أمر نفسه حتى ضمها إلى صدره، وقبلها وبلغها من عَوْدِ عاطفته أملها؛ ثم رجع إليها الكرَّةَ وترك هوى ألوف، ولا أليف لها إلا طول الحسرة.

ومنهم:

١٢٣ ـ فُتُونُ العَادِلِيَّة[2]

جارية تعيب البدرَ إذا بزغ، وتعين الشيطان إذا نزغ، بصورة جلَّ خالِقُهَا، وجلب الكرى المشرد ليراعها عاشقها، أقتل من الصدود وأقل رضى من الشيء المعدود، [٤١٢] بتأت يُعذرُ به من أحبَّها، ومَلَكَ قلبُهُ حُبَّها، أهديت من ملوك الروم إلى الملك العادل، ودنت فأسكت نايها كل مجادل، وكانت حاذقة بالضرب بأنواع الملاهي، مغلبة للمباهي، إلى طيب مجالسة، وإمتاع مؤانسه، وابتداءات مبهتة، وأجوبة مسكتة، وكانت زينة القصر، وجليلة ذلك العصر.

ومن مشاهير أصواتها: [مجزوء الكامل]

أدر المدامة يا نديم واطرب فقد رق النسيم
وأملأ كؤوسك واسقني صفراء صانعها حكيم
من كف أهيف كالقضيب كلامه العذب الرخيم
ومن العجائب طرفه لي مسقم وهو السقيم

(١) ابن الرومي، الديوان: ٤٣٩/٢.
(٢) لم نجد لها ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

رقت معاقد خصره / وكأنه جسمي الأليم
دبت عقارب صدغه / فلذاك عاشقه سليم

والشعر لابن محارب من قصيدة يمدح فيها الصاحب بن شُكْر، ومنها في المديح:

ومديح مولانا الوزير / هو الصراط المستقيم
يروى براحته الصدى / ويرى بطلعته النعيم
وله حديث مكارم / تروى ومسندها قديم
في كفه القلم الذي / وجه الزمان به وسيم
وخطابه الحق المبيـ / ـن وخطبه النبأ العظيم
قبل يديه مبادراً / فبيمنه يشفى الكليم

وكذلك من أصواتها في شعر الباخرزي: [المتقارب]

أروحُ وفي القلبِ منّي شجى / أغْدُو وفي القلبِ مِنّي شَجَنْ
أبكي ولا طوق لي بالفراق / إذ ذات طوق بكت في فنن
فللماء من مقلتي ما بدا / وللنار من مهجتي ما كمن
[٤١٣] ومن لجفوني بشيء نسيت / وأحسبه كان يدعى الوسن

وحُكِيَ أنها دخلت عليه بكرة يوم والصباح المقبل قد ركض جبينه في أحشاء الشجر، ونفض العنبر المغلف على أصداغ الطرر، والشمس قد همت بأن تحدُرَ النقاب، ثم تمنعت وتطلعت من الألقاب، والفضاء قد أصبح فضياً، والروض قد أضحى سماوياً أرضياً، والطير قد هتف للإعجاب، وبشر بتقشع الظلام المنجاب، والماء قد أرْفَضَّ إذْ تَكَشَّفَتِ السماء، ولم يبق بينه وبينها حجاب، فَسُرَّ بزيارتها، وقدح زند فجره المشرق بأثارتها، واستدعى منها الغناء فغنت: [الخفيف]

مرحباً بالصباح لما وافى / وانتضى في الدجى له أسيافا
رافعاً في الظلام جنح دجاه / عاجلاً مثلما رفعت السجافا

مثل سيف الدين المليك المفدى عندما جاء شقق الأسدافا
كان كل الزمان بالظلم ليلا فمحاه واطلع الإنصافا

فأعجبه الشعر والغناء، وهما لها، ثم سألها حاجتها، فذكرت له أسيراً في يد الفرنج سئلت فيه الفداء فعجل به.

ومنهم:

١٢٤ ـ عَجِيْبَة مُغَنِّيةُ الكَامِلِ(١)

وكانت في نساء زمانها عجيبة، وفي أوانس أخدانها غريبة، من المغاني المشهورات، الغواني المذكورات، شغف بها الملك الكامل على دثور عقله، ووفور فضله، وكان لا يصبر عنها ليلة من الليالي، ولا يدع استيزارها ولو بين تشتجر العوالي، وكانت ظريفة تأخذ بمجامع القلوب، وتخلب صوادف النفوس، وكانت تطلع إلى الملك الكامل وجنكها محمول معها ووراءها الجواري والخدم، وكانت تحضر مجلسه سراً وعلانية، وتغنيه على الجنك وبالدف، وبها قدح فيه ابن عين الدولة القاضي لما قال له الملك الكامل في قضية من القضايا: أنا أشْهَدُ عندك بكذا، فقال: السلطان يأمُرُ وما يشهد، فأعاد عليه السلطان القول [٤١٤] وأعاد عليه القاضي الجواب، فلما زاد الأمر، قال له السلطان: أنا أشهد، تَقْبَلْنِي أنت أولا؟ فقال: لا ما أَقْبَلُكَ، وكيف أقبلك وعجيبة تطلع إليك بجنكها كل ليلة وتنزل، تأتي يوم بكرة وهي تتمايل على أيدي الجواري والخدم، وينزل ابن الشيخ من عندك أنحس مما نزلت، فقال له السلطان (يا كنفرخ) وهي لفظة شتم بالفارسية، فظن ابن عين الدولة أنه قال له: كل فراخ، فقال: ما في الشرع كل فراخ، اشهدوا عليَّ أني قد عزلت نفسي، وقام فجاء ابن الشيخ إلى الملك الكامل وقال له: المصلحة إعادته لئلا يقال لأي شيء عزل القاضي نفسه، فيقال(٢): لأنه شهد السلطان عنده فما قبله، فيقال: لأي شيء ما قبل؟ فيقال: لأجل عجيبة، فَتَتَمضمضُ

(١) لم نجد لها ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.
(٢) الأصل، قال، والصواب ما اثبت.

بنا العوام، وتطير بها الأخبار إلى بغداد وإلى الملوك، فقال له: صدقت، ونهض إلى القاضي فَتَرَضَّاه، وأعاده إلى القضاء، وتأخر الأمر الذي كان يريد أن يشهد به.

عدنا إلى ذكر عجيبة والذي نعرف من أصواتها: [البسيط]

رفقاً على ما أبقيت مـــن رمقي ... لا تأتسي لي بأن أبقى ولا تبقي
هيهاتَ أين البقا مـــن مُوجْعٍ كَمِدٍ ... عليـك صب بنار الشوق محترق
يا سائلي عن دمي لا تطلبوا أحداً ... بعدي به فدمي المسفوك في عنقي
إني حملت على نفســي لشقوقها مثــل الجبال من البلوى فلم تطق
فمن رأى ليت شعر مثـــل موقفنا ... يوم النوى أبحراً تجري من الحرق
يا آمري في دموعي بعد ما فنيت ... بأن أصُونّ وأحْمِي ما عساه بقي

والشعر لابن حجاج.

وحُكِيَ أنه مَرَ بها فأُحْضِرَتْ والغيم قد فرق في السماء قطعه، وطرز مُذهّب البروق خلعه، وتشرين قد أرسل نجائب السحائب محبرة، والخريف قد جاء وراياته المختلفة مبشرة، وثغر الروض قد راق، وقت السرور قد لاق، ولمى النهر قد حلا في فم من ذاق، وحر الهجير قد خمد لهيبة، وسيح الفحم قد آن في المواقد ذهيبُه، والبيوت قد هُيِّئِتْ للكَنِّ، والمنازل [٤١٥] قد قربت إلى الدنِّ، والرواق قد رفعت صلبه المعلقة، والكؤوس بنطف الماء مخلقة وغير مخلقة، وقد حصل العود والعود، وأزلف المجلس لتطلع فيه طوالع السعود، وابدعت تُغنِّي بصوت صنعته في بعض المشارقة، وصدعت به صباح تلك الشارقة، وهو هذا: [الطويل]

مشوق إذا ما ارتاح هيجه الحب ... وصبِ لوَبْلِ الدمع في خده صب
وإن لاح وهْناً برقه منه ينثني ... وفي جفنــه للدمع قد خده غرب
نضا عضب جفنيه عليَّ عذاره ... فمن مهجتي جفن ومن جفنه عضب
يعذب قلبي ظالماً عذب ظَلْمه ... ولكـــــن تعذيبي لمرشفه عذب

فلم يبق في المجلس إلا من مال، ودب للسكر بطربها في مفاصلهم نمال،

واستدعى بها يوماً وهو بداره بالفسطاط المطلة على النيل، وقد نضدت رواشنها، وتلبثت قدامها أنواع المسك، وبرزت وعليها جواشنها، والنيل قد صفى مشربه، وخفي بتكاثر الأمواج مسربه، والبرق قد كحل دفن السحاب بمروده، والليل قد ذَرَّ في عين الشمس من إثمِدِه، والهلال بقطع الغيم قد احتجب، والهلال المولى قد بَلَّلَ جناحه ليطير، وهذا من العجب في وقت غفل عنه الرقيب، ولم يحضره إلا مثل إسحاق أو حبيب، وأقبلت تحدثُه وتغنِّيه، وتفتح على يديه السؤل وتمنيه، ومم غنته من أصواتها، والشعر قديم: [المنسرح]

دعه يداري فنعم ما صنعا لو لم [يكن] عاشقاً كما خضعا
وكل من في فؤاده وجع يطلب شيئاً يسكن الوجعا
وارحمتا للغريب في البلد النا زح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعا

ودام معها ليلته كلها، والبدر لا يعرف السرار، والبحر لا يدرك له قرار، والشموع كأنها عشاق تجري دموعها وتلتهب قلوبها الحرار، حتى هم الفجر أن يبوح بسره المكتوم، ويفك عن سفط النجوم طوابع الختوم، وقطرت أعطاف السحب متصببة، وجرت [٤١٦] دموع النرجس في خدود الشقيق متصوبة، وقارب طلوع الصباح والجو بين برديه، وسيف البرق بين غمديه، واضطرب النسيم مذبذبا مبلبلاً تلك الحدائق، واضطر الفجر إلى أن يقبل في ثغر الصبح المفتر تلك العقائق، فأشرف الملك الكامل، ومن مجر الرعد قد هول، والصباح الآتي قد فض ذيل الليل وقصر منه ما طول، فدعاها إلى الصبوح، وأقام بوجهها عذره عند الدهر الصفوح، فلما دارت به الحُمَيَّا، وذكرته هنداً ومَيَّا، أمرها أن تصنع لحناً في شعر بعض متيمي العرب، فصنعت في شعر ذي الرمة[1]: [الطويل]

أراني إذا هومت يامي زرتني فيا نعمتا لو أن رؤياك تصدق

---

(١) الديوان: ٤٧٨.

يلوم على مي خليلي وربما يجور إذا لام الشقيق ويحرق
غداة منى النفس أن تسعف النوى بمي وقد كادت من الوجد تزهق
لها جيد أم الخشف ريعت فأتلعت ووجه كقرن الشمس ريان يشرق

فوقع منه موقعاً كاد يجتديه، ويأخذ بسمعه إليه ولو أراد أن يجتنيه، ثم أفاض عليها سجاله، ووسع في الكرم عليها محاله ومما يتبقى من محاسن هذه القصيدة المختار منها الصوت:

وتيها تودي بين أرجائها الصبا عليها من الظلماء جُلّ وخندق
غللت المهارى بينها كل ليلة وبين الدجى حتى أراها تمزق
فأصبحت أجتاب الفلاة كأنني حسام جلت عنه المداوس مخفق
نظرت كما جلى على رأس رهوة من الطير أقنى ينفض الطل أزرق
طراق الخوافي واقع فوق ريعة ندى ليلة في ريشه يترقرق

ومنهم:

١٢٥ ـ الكَرْكِيَّة(١)

مغنية الظاهر بيبرس، وكانت من أبرع النساء نطقاً، وأبدع أهل الغناء حذقاً، تجيد لمختلف الأصوات التآلف، وتجوز الغاية في الثقيل والخفيف، وتأتي بما بعد على بدعة في زمانها، ولم تنفرد به فريدة في أوانها، ولا تجيء دنانير حَبَّةً في [٤١٧] ميزانها، هذا إلى قريحة قادرة، وحلاوة في نادرة، وسرعة جواب، وصنعة إتقان لا يخرج اللحن فيها عن صواب.

حكى لي شيخنا أبو الثناء الحلبي عنها قال: لو كنت أستحسن أخرج خبية لأضحكت به الحزين الثاكل، واقتديت به الجحود الناكل، وبهذا ومثله كانت تستلين من الظاهر وأهل دولته أولئك الصخور، وتستنزل أولئك الشم وما منهم [إلا](٢) كُلَّ

(١) لم نجد لها ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة يقتضيها السياق.

مختال فخور، وهيهات إن كان يندى لأحد منهم راحة، أو تبل لواحد منهم يد بسماحة.

ومن أصواتها: [الكامل]

سن الظُّبا من طرفه الوسنان ورمى فراش سهامه ورماني
وبدا فذاب البدر من حسد له فلذاك ما ينفك من نقصان
ماء النعيم يرف في وجناته يسقي رياض شقائق النعمان
قالت عقود نهوده لقوامه من أنبت الرمان في المران

والشعر للتاج بن نصر مظفر بن محاسن بن علي بن نصر الله الدمشقي المزوق الذهبي، وكذلك صنعت لحناً كانت تغني به في شعر ابن الحلاوي: [الطويل]

حكاه من الغصن الرطيب وريقه وما الخمر إلا وجنتاه وريقه
هلال ولكن أفق قلبي محله غزال ولكن سفح عيني عقيقه
وأسمر يحكي الأسمر اللدن قدره عذاراً سقى قلب المحب رشيقه
على خده جمر من الحسن مضرم يشب ولكن في فؤادي حريقه
أقر له من كل حسن جليله ووافقه من كل معنى دقيقه
على سَالفيه للعذارِ جديدُهُ وفي شَفَتَيْهِ للسُّلافِ عَتِيْقُهُ

وكذلك صوتها في شعر راجح الحلي: [الوافر]

فؤادٌ عن هواكم لا يحولُ وجسمٌ مَادَ يَخْفِيْهِ النُّحولُ
[٤١٨] فكيف يميلني عنكم ملام ويطمع في مخادعتي عذول
أبى لي أن أبيت صحيح قلب نسيم من خيامكم عليل
سأبعث في القولب لكم سلاماً رجاء أن يقابله قبول
أحملها تحياتي إليكم لو أَن الريح تفهم ما أقول

وهذه من أول قصيدة طنانه في كل سمع، منها:

ومما شاقني لمعان برق طربت له وقد جنح الأصيل
تبسُّ في عبوس الدجن حتى تحدر دمع ديمته الهطول

أرني بالفرات نخيل أرضي وغاب ولا الفرات ولا النخيل

يقول منها:

وذي أمل يحث به المطايا وأدنى السير وخد أو ذميل
أقول لهم هلم فأي عذر لسعيك أن يجاريك الدليل
أمامك ظل عز الدين فانزل بأبلج لا يضام له نزيل
وراءك أيها الراجي مداه فدون بلوغه طرف يهول
تزحزح عن طريق العيب واطلب نجاة لا تغيرك السيول
به سار من السلطان يعلي دعائم ملكه وبه نصول
وعينا في جناب أبي سعيد رياضاً لا تحول بها المحول
تراوح زهره ريح التصافي ويضحك نوره الغيث الهطول
فلا عدمت تُوافي الشعر مولى إلى الآمال أنعُمُه تميل

وكذلك صوته في شعره أيضاً: [الطويل]

ملكت كما شاء الهوى فتحكم وإلا ففيم الهجر لي وإلى كم
ولو جحدت عيناك قلبي وأنكرت أقَرّ به خَطّ العذار المنمنم
متى تسمح الأيام منك بعطفة وهل في منى من راحة لمتيم
[٤١٩] وهبني أرضى بالخيال وزورة فمن لي [بمن] يجفو بجفن مهوم

وهذه من قصيدة مدح بها المعظم عيسى:

وفي شعب الأكوار أبناء مطلب شعارهم ترصيع شعر منمنم
هداهم غلام من خزيمة عالم بقطع الفيافي بالمطي المحرم
إلى ملك من دوحة شادوية يفيء على ورد من الجود مفعم
إلى الأبلج الطلق الذي قد غدا به مشوقاً من دهرنا كل مظلم
إلى من كان لا يدين بظله من الأمن ما بين الحطيم وزمزم
تريه وجوه الغيب مرآة فكره فيؤمنه من كل ظن مرجم

ويغشى غمار الموت في كل معرك | يراع له قلب الخميس العرمرم
ويطربه خلع النفوس على العنا | إذا رنحت أعطافها حمرة الدم
له نشوة في الجود ليست لحاتم | وشنشنة في المجد ليست لأخزمِ

يقول منها في وصف القصيدة:

فدونكها أحلى من الأمن موقعاً | وأطيب من وصل إلى قلب مغرم
إذا حدثت أبياتها عن غلامكم | عدت أم أوفى دمنة لم تكلم

ومنهم:

١٢٦ ـ الزَّرْكَشِي أبو عَبْد الله(١)

ناصر الدين الفقيه الحنفي، فقيه بارع، ونبيه لكل عُلاً قارع، هذا على أنه أتقن علم الموسيقى وحققه، وأجال النظر في فنها ودققه، ووقف منها على طرف الأوائل التي عفا أثرها، وذهب أكثرها، وبقيت كمدارج النمل الخوافي، ومناهج الرمل تحت السوافي.

حدثني ابن كر عنه أنه كان في صناعة الزركش بدمشق، ثم كان فقيهاً بالمدرسة الشبلية بسفح قاسيون بين ظهراني الفقهاء، ويجتمع إليه أهل الطرب والإلهاء، ودام على هذه المدة ثم تَخَرَّصوا له المعايب، وأرادوا ترديته بالمثالب، فأتى مصر واتخذها داراً وقراراً حتى مات.

قيل: وكان واحد زمانه [٤٢٠] لا يقصر عن الأوائل، قال: وهو ممن أخذت عنه، واستفدت منه، وكنا نجتمع ونتذاكر، ونغدو ونبكر صبيحة كل يوم يسمع كل واحد منا صاحبه، ولم أر مثله، وحدثني عنه غيره.

وله أصوات منها: [الخفيف]

خبروها أني مرضت فقالت | أضنىً طارفاً شكا أم تليدا
وأشاروا بأن تعود وسادي | فأبت وهي تشتهي أن تعودا

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

وأتتني في خيفة وهي تشكو ألم الوجد والمزار البعيدا
ورأتِني كَذاَ فَلَمْ تَتَمَالَكْ أنْ أمَالَتْ عليَّ عِطْفَاً وجِيْدا

والشعر للطغرائي، وكذلك صوته في شعر الحاجري، وهو هذا: [الطويل]

بحقك ذكّرْها العقيق لعلها تجد راحة في عودها وسراها
إذا ما حدا الحادي بنجد تمايلت كأن سلافاً في النشيد سقاها
كأنكم يوم الرحيل رحلتم بنومي فعيني لا تلذ كراها
وكنت شحيحاً من دموعي بقطرة فقد صرت سمحاً بعدكم بدماها

وكذلك صوته في شعر ابن حجاج، وهو هذا: [البسيط]

نامي هنيئاً لعينيك الرقاد فما أمسيت أعرفُ إلا السهد والأرقا
وإن أردت حياتي فاحفظي رمقي إن كان عندك شيء يمسك الرمقا
يا شامتاً إذا رأى قلبي رهين أسى وشر ما فيه أن الرهن قد علقا
إن فرق الدهر شخصينا مراغمةً فثم قلبان لا والله ما افترقا.

ومنهم:

١٢٧ ـ ابنُ كَرّ أبو عَبْد الله(١)

الشيخ شمس الدين محمد البغدادي الأصل، المصري الدار والمولد، هو في علم الموسيقى فرد لا يخلف، لحق بالأوائل وما تخلف، وأتى ببدائع الألحان وما تكلف، [٤١٢] لا يختبي على مثله الوجود في بردتيه، ولا يجنى شبيه النهار بُكَرُهُ وآصالَهُ بوردتيه، يطرب قبل الإنشاد، ويحرك حتى الجماد، وتخرس لديه أصواته المثاني والمثالث وما يتجنح، وتهتز المغاني والأغاني وما يتزحزح، نقل مذاهب القدماء، كابن المهدي وإسحاق، وجدد طوالع تلك الأهلة التي أكلها المحاق، لا يمر به صوت مما ذكره أبو الفرج الأصفهاني إلا ويجيء به ويجيده، ويعيده ويزيده، وصنف كتاباً يقال له أحسن ما

(١) لم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من مصادر.

صنف لجمع وشنف لسمع، وقد خطأ الفارابي في هذا العلم، وأنكر عليه أهل المعرفة ثم سلموا إليه أنه إنما قاله عن علم، وابن كر هذا من بيت امرأة تناقل سلَفُه في بغداد إرثها حتى ملكها التتار، فلزم أبوه مصر، فأجري عليه راتب عاد إلى ابنه هذا بعضه، وهو الآن في زاوية قريب المشهد الحسيني بالقاهرة المعزية من وقفه أووقف أبيه، وله عز نفس، وشمم عفاف، ما اتخذ هذه الصناعة الطربية إلا ريحاناً له لا استرزاقاً به، وله بي صحبة أعرف حقها له، كان يتردد إليَّ ويتودد ويتفقد ولا ينفقه، ولقد غنى فأضحك وغنى فأبكى، وغنى فأنام، فرأيت بعيني منه ما سمعته أذناني عن الفارابي، فصدق الخُبْرُ الخَبَرَ، وحقق العين الأثر، ورأيت منه واحداً، سبحان من وهبه ما لا هو في قدرة البشر.

وله أصوات في أشعار لي، فمنها قولي: [الكامل]

أفدي حبيباً قد فتنت بحبه	لو كان يرثي للمحب إذا شكا
والله ما هبت نسيم دياره	إلا اعتلقت بذيلها متمسكا
يا عين أنت شكيتي في حبه	لما نظرت له وأنت المشتكى
قالت عليك بأدمعي فأجبتها	لو كان دمعي البحر أفناه البكا

ومنها قولي: [الطويل]

قفاني على الوادي أودع مهجتي	وأستودع الأحباب مني ما بقي
فيا ليت شعري هل نعود إلى الحمى	ويجمعنا سفح الكثيب فنلتقي
[٤٢٢] ونعقل في ظل النخيل ركابنا	**ونشرب من ماء الغزيز ونستقي**
ونشكو الذي نلقاه من ألم الهوى	وهيهات ما عند الحبيب تشوقي

ومنها قولي: [مجزوء الرمل]

يا أخلائي بنجدِ	لي فؤاد مستهام
وجفون قد جفاها	بعد أجفاني المنام
إن وصلتم فسرور	واغتباط والتئام
أو هجرتم ـ وكُفِيْنا ـ	فعلى الدنيا السلام

قائمة المصادر

إحسان عباس

- ديوان الخوارج، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٨م.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)

- الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
- الإماء الشواعر، تحقيق نوري القيسي ويونس السامرائي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م.

أعشى همدان

- شعره، ضمن كتاب الصبح المنير، بيروت، ١٩٩٣م.

البحتري

- الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٤.

البهاء زهير

- الديوان، تحقيق محمد الجيلاوي، دار المعارف، القاهرة.
- الديوان، تحقيق عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٦٢م.

أبو تمام

- الديوان، شرح التبريزي، تحقيق محمد عزام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

توبه بن حمير

- الديوان، جمع وتحقيق خليل عطية، بغداد، ١٩٦٨م.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد

- يتيمة الدهر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

جرير بن عطية

- الديوان، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

جميل بثينة

ـ الديوان، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م.

ابن حجر

ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تصحيح بعد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

أبو حية النميري

ـ شعر، جمع وتحقيق يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، ١٩٧٥.

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد

ـ وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م.

دعبل الخزاعي

ـ الديوان، تحقيق عبد الكريم الاشتر، دمشق، ١٩٨٣م.

ابن الدمينة

ـ الديوان، صغة ثعلب، تحقيق أحمد رابت النفاخ، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٩٥٩م.

أبو دهبل الجمحي

ـ شعر، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، النجف، ١٩٧٢م.

ذو الرمة

ـ الديوان، تحقيق عبد القدوس أبي صالح، المكتب الإسلامي، دمشق.

ابن الرومي

ـ الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

السري الرفاء

ـ الديوان، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

ابن شاكر الكتبي

ـ فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.

الشريف المرتضى

ـ الديوان، تحقيق رشيد الصغار، المؤسسة الإسلامية، بيـــروت، ١٩٨٧م.

الصفدي

ـ أعيان العصر وأعوان النصر، دارا لفكر، بيروت، ١٩٩٨م.

الصفدي

ـ الوافي بالوافيات، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٩م.

ابن طيفور، أحمد بن طاهر

ـ بغداد، تصحيح عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة ٢٠٠٢م.

العباس بن الأحنف

ـ الديوان، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

عبيد الله بن قيس الرقيات

ـ الديوان، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت.

عروة بن حزام

ـ الديوان، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥م.

عمر بن أبي ربيعة

ـ الديوان، شرح محمد محي الدين عبد الحميد، دار السعادة، القاهرة، ١٩٦٥م.

أبو الفرج الوأواء

ـ الديوان، تحقيق سامي الدهان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

أبو فراس الحمداني

ـ الديوان، تحقيق محمد التونجي، دمشق، ١٩٨٧م.

ابنْ الفوطي، عبد الرزاق

ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، تحقيق مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

القطامي

ـ الديوان، تحقيق السامرائي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م.

قيس بن الحطيم

ـ الديوان، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار صادر بيروت، ١٩٩١م.

قيس بن ذريح

ـ الديوان، تحقيق عفيف حاطوم، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

كثيرة عزة

ـ الديوان، تحقيق إحسان عباس دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٨م.

كشاجم

ـ الديوان، تحقيق خيرية محفوظ، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٠م.

الكميت الأسدي

ـ شعر، تحقيق داود سلوم، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٧م.

المتنبي

ـ الديوان، شرح العكبري، تحقيق السقا، والأبياري، والشلبي، دار المعرفة، بيروت.

مروان بن أبي حفصة

ـ شعر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

ابن المعتز، عبد الله

ـ الديوان، صنعة الصولي، تحقيق يونس السامرائي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٧م.

المسيب بن علس

ـ شعر، جمع وتحقيق أنور سويلم، جامعة مؤته، الكرك ١٩٩٤م.

مسلم بن الوليد

ـ الديوان، تحقيق سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م.

المفضل الضبي

ـ المفضليات، تحقيق محمود محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م.

النمر بن تولب

ـ شعر ضمن شعراء إسلاميون، بيروت، ١٩٨٤م.

ياقوت الحموي

ـ معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

فهرس كشاف الشعر

١٣ ـ طَرِيْفُ بنُ مُعَلَّى الهَاشِمَي

١٤ ـ تحُفَة جَاريَة المُعْتَز

١٥ ـ إسْحَاق المُنَجِّم

٣٩ ـ تيماء جارية خزيمة

٤٠ ـ سُكُون جَارِيَة طَاهِر بن الحُسَيْن

٨٠ ـ خَالِد

م	أول البيت	آخره	البحر	رقم الصفحة

٨٤ ـ عمر بن خضر بن جعفر

٣٩٧	أيا طفلة	جهنم	الطويل	١٩٨
٣٩٨	عسى	وعود	الطويل	١٩٨
٣٩٩	يمينا	العهد	الطويل	١٩٨
٤٠٠	فضح	رنا	الكامل	١٩٩
٤٠١	أصل	يرضيكم	السريع	١٩٩
٤٠٢	وكنت	خدي	الطويل	١٩٩
٤٠٣	وأحسن	المطالب	الطويل	١٩٩
٤٠٤	فتى	الكلام	الوافر	١٩٩
٤٠٥	فؤاد	تغرق	الطويل	٢٠٠
٤٠٦	مر	ميعاد	الكامل	٢٠٠
٤٠٧	ولا توعدي	مثلهم	الطويل	٢٠٠
٤٠٨	رنا	المقوم	الطويل	٢٠٠
٤٠٩	اليوم	غد	الكامل	٢٠١
٤١٠	عبث	المستهام	المديد	٢٠١
٤١١	تملكتم	ورعاكم	الطويل	٢٠١
٤١٢	تبل	ثناياها	الوافر	٢٠١
٤١٣	يقول	فمي	الطويل	٢٠١
٤١٤	عليك	سروري	الطويل	٢٠٢
٤١٥	لحاظك	أسروا	الوافر	٢٠٢
٤١٦	صحا	يصحو	الطويل	٢٠٢
٤١٧	إذا ما	الضفائر	الطويل	٢٠٢
٤١٨	طاب	قتلي	الكامل	٢٠٣
٤١٩	هل	زمام	الكامل	٢٠٣

فهرس المحتويات